مجله المجمع العلمي



الجزء الثاني والستون

١٤٠[illegible]هـ

١٩٨[illegible]م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
(المعهد السويسرى سابقا) بالزمالك

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين فى السنة)

الجزء الثانى والستون

رمضان ١٤٠٨هـ - مايو ١٩٨٨م

المشرف على المجلة :

الدكتور مهدى علام

رئيس التحرير :

إبراهيم الترزى

الفهرس

مؤتمر الدورة الرابعة والخمسين :

● كلمة الافتتاح
للدكتور ابراهيم مدكور
رئيس المجمع
ص ٧

● **كلمة الدكتور أحمد فتحى سرور**
وزير التعليم العالى
ص ٨

● **كلمة الدكتور ابراهيم مدكور**
رئيس المجمع
ص ١١

● **كلمة الأستاذ عبد السلام هارون**
الأمين العام للمجمع
ص ١٥

● كلمة الأعضاء العرب
للدكتور اسحق موسى الحسينى
ص ٢٧

البحوث :

● لغة الاعلام
للأستاذ حسن عبد الله القرشى
ص ٣١

● المعجم العربى الوسيط
للدكتور عدنان الخطيب
ص ٣٤

● قصيدة أخى
للدكتور حسن على ابراهيم
ص ٤٢

● لغة الاعلام
للدكتور تمام حسان
ص ٤٤

● اللغة والنحو فى فكر الفارابى الفيلسوف
للدكتور عبد الكريم خليفة
ص ٥٦

● لغة الوثيقة الدبلوماسية
فى مغرب الأمس بين التأثير والتأثر
بالنسبة للغات الأخرى
للدكتور عبد الهادى التازى
ص ٧٣

● قصيدة تحية ومودة وأسى
للدكتور ابراهيم السامرائى
ص ٨٧

● أثر الشئون الاجتماعية فى خصائص
اللغة وتطورها بوصفها أهم وسيلة
للاعلام
للدكتور على عبد الواحد وافى
ص ٩١



● من كناشة النوادر (٨)
للأستاذ عبد السلام هارون
ص ١٠٥

● مع الرازى
للدكتور حسن على ابراهيم
ص ١٢٦

● اللغة بين التطور وفكرة الصواب والخطأ
للدكتور كمال محمد بشر
ص ١٣٢

● قول فى قضية جمع الجمع
للأستاذ محمد شوقى أمين
ص ١٦٤

● حول حذف كلمة « ابن » بين الأعلام
للدكتور أمين على السيد
ص ١٦٨

● مع المرزوقى فى عمود الشعر
للدكتور عبد الله الطيب
ص ١٨٢

● حول تحقيق مؤلف « الرسالة العذراء » المنسوبة لابراهيم بن المدبر
للدكتور محمود على مكى
ص ١٩٠

● الفصحى رباط وحدة الأمة وأداة ارتقاء العلم والحياة
للأستاذ محمد بهجة الأثرى
ص ٢٠٢

● تحية المجمع
للدكتور عبد الله الطيب
ص ٢٠٨

● الاعلام واللغة الاعلامية
للأستاذ منير البعلبكى
ص ٢١٠

● غزو الأساليب الأعجمية للعربية والغزو الأجنبى للعربية
للأستاذ ابراهيم السامرائى
ص ٢٤٥

● حساب القلم الفاسى
للأستاذ محمد الفاسى
ص ٢٥٤



شخصيات مجمعية

تأبين :

● كلمة الدكتور ابراهيم مدكور فى تأبين
المرحوم الدكتور عمر فروخ
ص ٢٦٣

● كلمة الدكتور عبد الكريم خليفة
ص ٢٦٤

● كلمة الدكتور ابراهيم مدكور فى تأبين
المرحوم الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى
ص ٢٧٥

● كلمة الدكتور عدنان الخطيب
ص ٢٧٦

كلمة الافتتاح

للدكتور إبراهيم مدكور

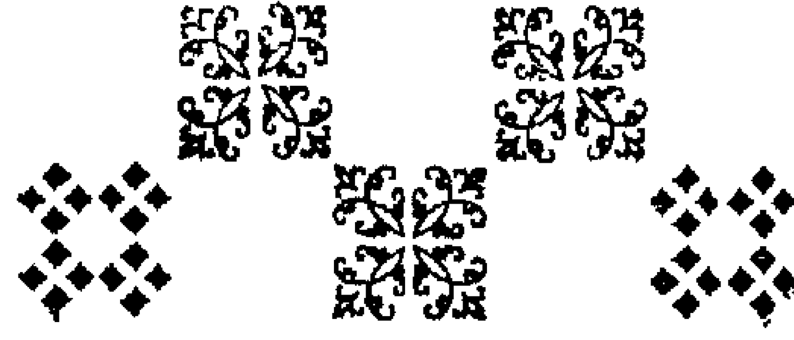
رئيس المجمع

فى افتتاح الدورة الرابعة والخمسين

لمؤتمر المجمع

بسم الله وعلى بركة الله نفتتح جلسة مؤتمرنا فى الدورة الرابعة والخمسين ،

والآن مع كلمة الأستاذ الدكتور أحمد فتحي سرور وزير التعليم .



كلمة الدكتور أحمد فتحي سرور
وزير التعليم العالي

الأستاذ الجليل رئيس المجمع :

الأساتذة الأعضاء الأجلاء :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

يسعدني أن ألتقي بكم للمرة الثانية ، في رحاب مجمعكم العريق ، مفتتحا معكم مؤتمر دورتكم المجمعية ، الرابعة والخمسين . . كما يسعدني أن أرحب بالأعضاء الأشقاء من العرب ، وبالأعضاء الأصدقاء من غير العرب ، الذين قدموا إلينا من بلاد شقيقة وصديقة ، للمشاركة في أعمال مؤتمركم ومتابعة النشاط المجمعي ، بالنظر والتقييم ، والبحث والدراسة ومعالجة أهم القضايا اللغوية والأدبية والعلمية ، التي تتصل من قريب أو بعيد بلغتنا العربية الخالدة .

أيها السادة :

لست في حاجة إلى التنويه والإشادة بماضي لغتنا ، حين سادت لغات الدنيا قرونا عديدة ، كانت فيها اللسان المعبر عن الحضارة العربية والإسلامية ، بل الحضارة الإنسانية . . . وقد ظلت هكذا طوال هذه القرون الزاهرة حتى أدركها الجمود والركود ، حين وقعت أمتنا العربية والإسلامية فريسة الفرقة ، وداهمتها قوى الاحتلال ، فشلّت حركتها الحضارية ، وسلّطت على لغتنا عوامل الضعف والتخلف ، فعاشت في الماضي ، عاكفة على التقليد ، متوقفة عن الإبداع والتجديد .

ثم أقبل العصر الحديث ، وهبت على العالم رياح التحرير ، فهبت أمتنا العربية تضع عن كاهلها أثقال الجمود والتخلف ، لتستطيع الانطلاق واللحاق بركب الحضارة الذي لاتتوقف مسيرته ، في كل مجالات العلم والأدب والفن . . وكانت لغتنا وسيلتنا الأولى لإحراز التقدم الحضاري . . . فلا حضارة

بدون لغة ولا لغة بدون حضارة . . ولهذا تتابعت جهود المصلحين لإنشاء مجمع لغوى ، حتى توجت بإنشاء هذا المجمع الذى جمع فى رحابه جهابذة العربية وعشاقها ، من المصريين وغير المصريين ، ومن العرب وغير العرب . . وهاهو مجمعكم قد بلغ عامه الرابع والخمسين : حارسا للغة العربية ، باذلا كل الجهد لتكون لغة علم وحضارة ، حتى تعود إلى مكانتها الطليعية بين اللغات العالمية . .

ولعل خير مايشهد بذلك ما أصدره مجمعكم من عشرات الآلاف من مصطلحات العلوم والفنون ، ومئات القرارات فى ضوابط اللغة ، وألفاظها وأساليبها ، ورسوم كتابتها ، وما أخرجه المجمع من نفائس التراث اللغوى كما أن لمجمعكم مكان الريادة فى ميدان التأليف المعجمى ، فقد أصدر من المعجمات العامة : المعجم الوسيط ، والمعجم الوجيز وجزأين من المعجم الكبير . . ومن المعجمات المتخصصة : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ومعجم ألفاظ الحضارة والفنون ، والمعجم الفلسفى ومعجم التربية وعلم النفس والمعجم الجغرافى ، والمعجم الجيولوجى ، والمعجم البيولوجى ، ومعجم الكيمياء والصيدلة ومعجم الفيزيقا الحديثة ، ومعجم الفيزيقا النووية ، ومعجم الحاسبات الالكترونية ، ومعجم الهيدرولوجيا (علم المياه) .

والمجمع بهذه المعجمات العلمية المتخصصة يسهم أعظم إسهام فى حركة تعريب التعليم الجامعى ، الذى تتطلع إليه أمتنا العربية منذ أمد بعيد !

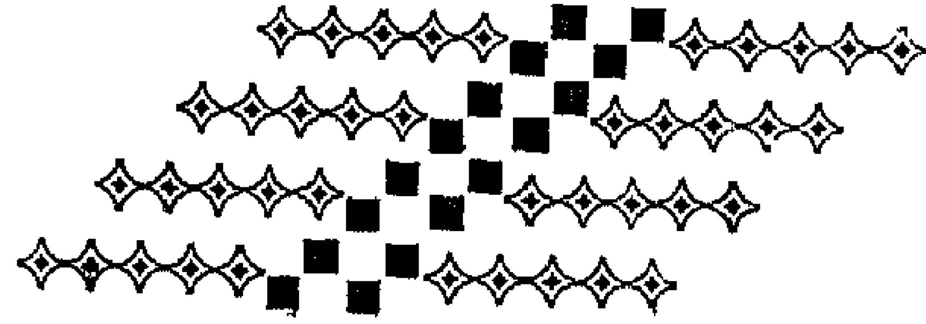
وها أنتم فى مؤتمركم هذا تضيفون الجديد والعديد ، من المصطلحات والقرارات والمواد المعجمية إلى ذلك الرصيد العظيم . . . كما تتجهون ببحوث مؤتمركم إلى معالجة قضية من أهم قضايانا اللغوية المعاصرة ، وهى « لغة الإعلام » . . فللإعلام دوره الخطير فى دعم التعليم ، بتنشئة أبنائنا على لغة عربية قويمة واكتسابهم معرفة واسعة بأحداث العصر ومستحدثاته وقيما نبيلة وجليلة تنير لهم

طريقهم وحياتهم . . وهكذا يصبح الإعلام والتعليم جناحين ينهضان بشباب الأمة إلى مستويات رفيعة من التكوين العقلى والنفسى واللغوى ، والإعلام بوصفه وسيلة الاتصال التى تنقل ثقافتنـــا العربية يجب أن يتخذ لغة صحيحة معبرة أصدق تعبير عما تحمل من ثقافة .

أيها الأساتذة الأجلاء :

أجدد التحية لكم ، والترحيب بمؤتمركم ، سائلا الله تعالى أن يشد أزركم ، ويمنحكم عونه وتوفيقه .

« والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »



كلمة الدكتور إبراهيم مدكور
رئيس المجمع

أيها السادة :

يسعدنى حقا أن أضم صوتى إلى صوت السيد وزير التعليم فى الترحيب بضيوفنا الكرام وزملائنا الأعزاء من أعضاء عاملين ومراسلين .

وهم يدركون مدى شعورنا وحرصنا على لقائهم والإفادة من بحثهم ودرسهم . وقد كنا نقضى فى هذا المؤتمر قديما نحو شهرين ولكن أعباء الحياة ومسئوليات زملائنا فى بلادهم قضت علينا أن نقصر هذه المدة على النحو الذى هى عليه الآن .

وهى ولاشك مدة قصيرة بالنسبة لما يعرض فيها من أعمال مجلسنا طوال عام كامل ولكن إخواننا فى شغفهم وحبهم لخدمة لغتهم يقفون أنفسهم على هذه المهمة ليلا ونهارا .

ونحن ولاشك نسعد بأن نتلقى مساعداتهم فيما نحتاجه من مواد علمية ، ونخص بالذكر هنا شيخ الجزيرة الأستاذ حمد الجاسر حيث يتحفنا فى كل عام بملاحظاته القيمة فى المعجم الكبير ، خاصة مايتعلق منها بالبلدان والأماكن الجغرافية والأنساب وغيرها ، ونحن نفيد حقيقة من جهد إخواننا وأصدقائنا الذين يساهمون معنا فى أعمال هذا المؤتمر .

ولهذا الجهد القيم أثره وثماره فيما ننتهى إليه من قرارات ونخرجه من مطبوعات .

أيها السادة :

نحن ملتزمون حقا بأن نضع أمامكم كل مايقره مجلسنا من بحوث ودراسات

لكى تستكمل وضعها القانونى . ودرجنا على أن نوجه النظر إلى موضوع معين نتطلع فيه إلى دراسات زملائنا وآرائهم من مصريين وغير مصريين وموضوع هذه الدورة هو «لغة الإعلام» ، وكالعادة لكل زميل أن يعالج مايعن له من درس وبحث .

ولغـة الإعـلام ذات شأن كبير فى حياة اللغة العربية والنهوض بها . هى لغة الوضوح والبيان ، ولغة الحياد والواقع ، ولغة العامة والخاصة . نتلمسها فى صحفنا اليومية ومجلاتنا الأسبوعية أو الشهرية . وإلى جانب الصحافة تجىء الإذاعة مرئية كانت أو مسموعة ، وقد قلت منذ زمن إنها مدرسة الشعب ، وفى الحق إن النهوض بها نهوض باللغة الدارجة وارتفاع بمستوى الحديث لدى الزارع والصانع فضـلا عن الباحث والدارس .

وإذا ألقينا نظرة على ماضى صحافتنا فى أوائل هذا القرن بادئين بصحيفة «الجريدة» التى أنشأها «لطفى السيد» أستاذ الجيل ومتابعين الخطى فيما تلا ذلك من صحف سياسية وحزبية وأخرى ثقافية وأدبية لاحظنا أن لغة الصحافة اليوم تخطو خطوات حثيثة نحو لغة واضحة اللفظ ، قصيرة الجمل ، سهلة الأسلوب قد لاتخلو من هفوات فى اللفظ أو السبك والتركيب متأثرة بلفظ دارج أو آخر أجنبى معرب ولكن هذه العيوب أخذت فى التلاشى شيئا فشيئا ومن أهم مايلفت نظرنا فى الصحافة العربية اليوم أنا نقرؤها عن مصادرها المختلفة فى مشرق العالم العربى أو مغربه ولايكاد يعز علينا شىء مما يرد فيها ولصحفنا الكبرى توزيع فسيح المدى لايقف عند العالم العربى بل يمتد إلى أوربا وأمريكا وقد جاوز هذا إلى اخراج صحف عربية فى بعض العواصم الغربية الكبرى كباريس ولندن و واشنطن ونيويورك وبذا أحسست جالياتنا العربية المقيمة فى الخارج أنها على صلة وثيقة بلغتها وقوميتها . وقد مضى الزمن الذى كان يتردد فيه اليونسكو فى أن يعد العربية إحدى اللغات العالمية الكبرى وأصبحت اليوم ذات شأن فى لقاءاته ومطبوعاته ومكتبته .

أما وسائل الإعلام الأخرى من إذاعة مسموعة أو مرئية فهى تنهج النهج نفسه وتتابع السير فى التطوير والتجديد وسلاسة اللفظ ووضوح العبارة . وأخذ كثير من إذاعاتنا فى إعداد تدريب كامل للمذيعين يمكنهم من النطق الواضح والعبارة المستقيمة وما أجدرنا أن نتوسع فى هذا التدريب وأن نعاود النظر فى أمر المذيعين من حين لآخر لكى نطمئن إلى وضوح نطقهم وإلى سلامة عبارتهم وأن نخلصهم ما أمكن من اللفظ الساقط والتعبير الركيك ، وقد أخذت إذاعتنا المسموعة فعلا بمناقشة بعض الألفاظ والتعبيرات فتقر منها ماتقر وترفض ماترفض ، ولها برنامج متتابع بعنوان « قل ولاتقل » وكم يذكرنى هذا بصنيع أستاذ جليل هو المرحوم أحمد العوامرى ولكنى أرجو ألا يغلو أصحاب برنامج « قل ولاتقل » فى التضييق على الناس دون حاجة ، وما أحوج المذيعين عامة أن يرجعوا إلى مقررات المجمع فى ألفاظه وأساليبه ومصطلحاته وتعبيراته؛ وعنده فى ذلك زاد كبير يكفى أن أشير فيه إلى أن لغة لعبة كرة القدم مثلا كانت مما عنى به مجمع القاهرة أقر فيه ما أقر ورفض مارفض ، وللألفاظ الحضارة التى تقوم عليها لجنة خاصة منذ عدة سنين بوجه عام صلة وثيقة بالإذاعة المسموعة والمرئية وهنا أيضا أحب أن أشير إلى أن الإذاعة العربية يتقارب بعضها من بعض ويلتقى عندها السامع فى العالم العربى جميعه . فقد زرت الجزائر منذ عشرين عاما ، وكنت أجد صعوبة فى التخاطب والتفاهم ، اللهم إلا بالاستعانة باللغة الفرنسية ، وقد تغير الحال اليوم حيث تجد الشباب العربى فى الجزائر أبناء العشرين والخمسة عشر عاما يتكلمون لغة عربية جيدة ، وفى زيارتى الأخيرة للرباط لاحظت أثر الإعلام فى نشر اللغة العربية بصورة كبيرة بين أبناء المغرب العربى .

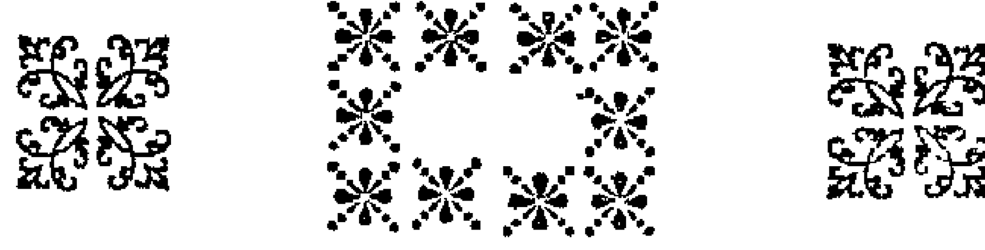
وهناك تبادل إذاعى بين الأقطار العربية أحبذه وأدعو إلى الإكثار منه ، وقد حرصت دائما فى زياراتى للأقطار الشقيقة على أن أستمع إلى إذاعتها لكى أتلمس فيها مواطن التقارب والشبه بين المذيعين المختلفين ، وقد خطت الإذاعة المصرية

فى هذا خطوات فسيحة ولا أشك فى أن الأقطار الشقيقة ستنتهج النهج نفسه .

وفى اختصار أستطيع أن أقرر أنه قد انقضى الزمن الذى كانت تعد فيه إذاعة القسم العربى بالإذاعة البريطانية النموذج الأمثل للإذاعة السليمة الواضحة ووصلنا فى كثير من إذاعتنا العربية إلى درجة لاتقل عن الإذاعة البريطانية إن لم تزد عليها .

وختاما أكرر ترحيبى وسعادتى بصحبة الزملاء الكرام .

والسلام عليكم ورحمة الله .



كلمة الأستاذ عبد السلام هارون

الأمين العام للمجمع

السيد الأستاذ الدكتور وزير التعليم

السيد الأستاذ الدكتور رئيس المجمع

السادة الزملاء الأجلاء من مصر ، وشقيقاتها ومن سائر أطراف الدنيا .

السادة الضيوف الأعزاء من مصر ، وسائر الوطن العربي :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وأثابكم الله ثواب المخلصين بما تنبض به قلوبكم من إعزاز ووفاء للغتكم العربية التي تجمع شعوبنا على الفكر الواحد ، والأمل الواحد مهما طوحت بنا جنبات الأرض شرقها أو غربها أو شمالها أو جنوبها .

إن لغتنا هي الأمانة الغالية في أعناقنا وهي التي يهدر خائنها ، ويغضب الله ويغضب العروبة والإسلام من يفرط في حقها أو يتهاون في جليل شأنها .

نحن جميعا أمناء على لغتنا لغة القرآن ، حراص على كيانها وعلى نقائها وتنمية تطويعها ، وعلى رفع شأنها في هذا الخضم العارم من لغات الناس في هذه الأرض .

وإن من ضل عن منهجها المحكم ، ومسلكها المبرم ، فقد ضل سواء السبيل ما اجتمعنا اليوم وما نجتمع في كل عام للحج إلى هذا المؤتمر إلا لنجمع قلوبنا المتزامنة في نبضاتها ، وعقولنا المتناسقة في خلجاتها ، وآمالنا المتساوية في أهدافها على خير ما يجمع هذا كله ، هو الجلوس في مؤتمرنا للتشاور ، يعلو فيه الحق ، ويندحر الباطل والشك . إخلاص في النية

ومسارعة إلى انتهاج أقوم السبل ، في خدمة لغتنا الخالدة ، وأنتم صفوة العلماء ونخبة الرجال ، الذين يمثلون ثقافة بلادهم أصدق تمثيل ، كما يمثلون غرة العلم ، وسلطان الخلق النبيل.

هذه عودة كريمة أخرى نحظى فيها باللقاء جميعا على مــدى أسبوعين لنتدارس ما أنجزته لجان مجمعكم الجامع ، وما أقره مجلس المجمع في هذا العام بعد انفضاض الدورة السابقة التي مرت كأنها الأمس . كما أن هناك بحوثا تلقى ، ودراسات تقدم لتكون موضع مناقشة ومدارسة مثمرة إن شاء الله . وما ذلك إلا رغبة منا جميعا في رفــع شأن الفصحى ، والبرهان على صدق طواعية كلماتها ومشتقاتها وأساليبها للتعبير السليم في مجالات العــلوم والآداب والفنون .

إن قرارات مجمعنا ، وهي وليدة الشورى والتحقيق الجماعي ، إنما تستمد شرعيتها من هذا المؤتمر الذي هو بمثابة المحكمة العليا التي لها السلطان الأعلى ، ولا فضل هنا لرأي على رأي إلا بما ينال من إجماع ، أو ما يحظى به من رضوان .

إن مجامعنا كلها تقوم على الشورى الفكرية والعلمية وعلى إنكار الذات وإنكار الذوات أيضــاً . ومن هنا كان لابد للمخططين أن يحاولوا النيل من جهودكم الساميــة التي تسري وحدها إلى مساريها دون ضجيج أو هدير . وهل هذه المعاجم التي أصدرها المجمع التي كادت أن تقارب العشرين ، هل هذه المعاجم العتيدة إلا وليدة جهد خارق غير مصحوب بضجيج أوهدير وقديما قالوا : إنما يعرف الفضل من الناس ذووه ، وليس يفوتني أن أعبر بالنيابة عن مجمعكم — عن عظيم شكرنا وتقديرنا لحضوركم أيضاً أيها الزملاء العرب الأشــقاء والزمــلاء ، المستعربون الأصدقاء . راجين لكم طيب إقامة في بلدكم هذا .

* * *

المجمع بين مؤتمرين

المؤتمر السابق :

حفل مؤتمر العام الماضى – مثل غيره من مؤتمرات الأعوام التى سبقته – بالعديد من الأعمال المجمعية التى تعد زادا وفيرا للباحثين والدارسين على اختلاف مشاربهم . وقد عقد المؤتمر السابق أربع عشرة جلسة ، أربع منها علنية :

الجلسة الأولى :

افتتح بها المؤتمر السابق أعماله ، وعقدت فى نفس هذه القاعة التى نجتمع فيها اليوم وكانت بدايتها كلمة جامعة للأستاذ الدكتور أحمد فتحى سرور وزير التعليم أعقبه الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع الذى ألقى كلمة تحدث فيها عن دور المجمع فى خدمة اللغة الفصحى التى تعد عماد رسالته والهدف الأسمى الذى يسعى إلى تحقيقه ، ثم تلاه من يشرف الآن بالتحدث إليكم فألقى كلمة أحصى فيها جهود المجمع فيما بين دورتى انعقاد المؤتمر السابق والمؤتمر الحالى .

الجلسة الثانية :

أما ثانية هذه الجلسات العلنية فكانت لتأبين المغفور له الأستاذ على الفقيه حسن عضو المجمع من ليبيا ، وعقدت فى هذه القاعة أيضا حيث ألقى كلمة المجمع فى توديع الراحل الكريم الأستاذ الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة عضو المجمع من تونس .

الجلسة الثالثة :

خصصت هذه الجلسة والتى عقدت فى نفس هذه الدار للاستماع إلى محاضرة عامة تناول فيها صاحبها الأستاذ الدكتور كمال بشر عضو المجمع موضوع : « التغريب فى اللغة والثقافة » .

الجلسة الرابعة :

عقدت هذه الجلسة فى نفس هذه الدار ، وخصصت لتوديع رائد من رواد العمل المجمعى فى الوطن العربى هو المغفور له الدكتور حسنى سبح عضو المجمع من سورية ورئيس مجمع اللغة العربية بدمشق ، حيث ألقى كلمة

المجمع فى تأبين الفقيد الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع من سورية .

* * *

أما الجلسات العشر الباقيات فكانت مغلقة عرض فيها على المؤتمر ما أعدته لجان المجمع من أعمال ، وأقره مجلسه من مصطلحات فى :

- الهندسة .
- الفيزيقا .
- علوم الأحياء والزراعة .
- ألفاظ الحضارة (مصطلحات فى المسرح)
- النفط .
- علم النفس .
- التربية .
- المعالجة الإلكترونية للمعلومات .
- الرياضة .
- العلوم الطبية .
- القانون (فى التأمينات الاجتماعية) .
- الكيمياء والصيدلة .
- الاقتصاد .
- الجغرافيا .
- التاريخ والآثار .

وقد أقر المؤتمر أكثر ماعرض من هذه الأعمال .

أما لجان المجمع اللغوية فقد نظر المؤتمر أعمالها وانتهى إلى مايلى :

المعجم الكبير :

أقر المؤتمر نموذج المعجم الكبير الذى عرض عليه وضم المواد من أول (ح ج ج) إلى (ح ن دا) بعد استيفاء الاستدراكات التى أبديت عليه .

لجنة الأصول :

أقر المؤتمر المسألتين اللتين عرضتهما اللجنة وهما :

- لزوم الفعل الثلاثى وتعديه .
- التضمين .

لجنة الألفاظ والأساليب :

أقر المؤتمر الألفاظ والأساليب التى عرضتها اللجنة وهى :

- المهمة .
- كافة .
- تسييس .
- مصداقية .
- جبهوى .

- تحجيم .
- تغيا الشيء .
- أرض رعوية .
- تصحر الأرض الزراعية .
- نفس الشيء".

كذلك حفل المؤتمر السابق ببحوث ودراسات أكثرها حول موضوع : التأليف المعجمى فى القديم والحديث - أنماطه ومذاهبه » .

كما كانت ثمة موضوعات أخرى كثيرة تنوعت مابين أدبية ، ولغوية ، وفلسفية ، وتاريخية . وقد كان للشعر نصيب كبير فى مؤتمر العام السابق فاستمعنا واستمتعنا بثلاث قصائد :

الأولى - هى الفصحى :

قصيدة أراد صاحبها الزميل الكبير الأستاذ محمد بهجة الأثرى أن ينشدها فى حفل افتتاح المؤتمر السابق ولكن حالت ظروف خاصة دون تحقيق إرادته هذه فلم نسعد برؤيته فى المؤتمر السابق وألقاها نيابة عنه الزميل الذى رحل عنا قبل أسابيع قليلة مضت الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى .

- مجمع الخالدين :

قصيدة نظمها الأستاذ حسن عبد الله القرشى عضو المجمع المراسل من السعودية تحية لمجمعنا العتيد .

- مرثية وداع :

نظمها الزميل الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب عضو المجمع من السودان فى توديع ابن وطنه المغفور له الأستاذ جمال محمد أحمد عضو المجمع المراسل من السودان .

وفى الجلسة الختامية أصدر المؤتمر التوصيات التالية :



توصيات

مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى الدورة الثالثة والخمسين

١٩٨٧/٢/٢٣ - ١٩٨٧/٣/٩ م

---

١ - يؤكد المؤتمر توصياته السابقة التى تنص على أن يكون التعليم فى مرحلتى التعليم الجامعىّ والعالى باللغة العربية أسوة بالمتبع فى بعض البلدان العربية الشقيقة.

٢ - يوصى المؤتمر بضرورة الحرص على تعليم قدر كاف من القرآن الكريم حفظاً وتلاوة وتفسيراً فى مراحل التعليم الأساسى

٣ - يوصى المؤتمر بأن يلتزم المدرسون فى مرحلة التعليم الأساسى باللغة الفصيحة فى مختلف المواد حتى تعتادها الناشئة.

٤ - يوصى المؤتمر أيضاً بالعناية بعرض مختارات منتقاة من المأثور فى الأدب العربى شعرًا ونثرًا مع دراستها بعناية خاصة لكى يتمثل التلاميذ الصياغة العربية السليمة.

٥ - يوصى المؤتمر بأن يعنى فى جميع مراحل التعليم العام بتدريس قواعد اللغة العربية وزيادة الساعات المقررة لها.

٦ - يؤكد المؤتمر ضرورة العمل بحزم على مقاومة كتابة لافتات المحال التجارية ونحوها والمؤسسات على اختلاف أنواعها بأى لغة غير العربية السليمة كما يوصى بتجنب كتابة الأسماء التى هى أجنبية فقط بحروف عربية حفاظاً على الانتماء العربى.

٧ - يؤكد المؤتمر ضرورة العمل على توحيد المصطلحات العلمية فى الوطن العربى ويوصى بتكوين هيئة تتولى إدارة مركز للمعلومات تسجل فيه جميع المصطلحات العلمية لاستخدام الآلة الحاسبة.

٨ - يوصى المؤتمر بنشر ما وضعه المجمع من مصطلحات فى مجال الحاسبات الإلكترونية بهدف توحيدها على امتداد الوطن العربى.

٩ - يوصى المؤتمر بأن تكون اللغة العربية السليمة لغة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وكذلك مسارح الدولة.

١٠ – يدعو المؤتمر القادة والمسئولين فى جميع أرجاء الوطن العربى إلى أن يحرصوا على أن تكون خطبهم الرسمية وكلماتهم الموجهة إلى الجماهير باللغة العربية الفصيحة لما لذلك من أثر بالغ فى التوجيه اللغوى السليم .

١ – ينتهز المجمع هذه المناسبة ليعلن أن بعض الهيئات العلمية والتعليمية التى تعنى بشئون اللغة العربية رحبت بما سبق للمجمع من توصيات ووضعت كثيراً منها فى موضع التنفيذ .

اعمال المجلس واللجان فى الدورة الحالية :

عقد مجلس المجمع منذ انتهاء المؤتمر السابق إلى قبيل انعقاد المؤتمر الحالى ثلاثاً وعشرين جلسة أربع منها علنية حيث ودع المجمع فى ثلاث منها ثلاثة شيوخ أجلاء من شيوخ المجمعيين هم :

– المغفور له الأستاذ الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش .

– المغفور له الأستاذ مصطفى مرعى .

– المغفور له الأستاذ الدكتور محمد طه الحاجرى .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمدهم برحمته ، وأن يوسع لهم فى رياض جنته .

أما الجلسة الرابعة العلنية فكانت لاستقبال ثلاثة من صفوة العلماء سعد المجمع بضمهم إلى قافلة الخالدين وهم السادة :

– الأستاذ الدكتور أبو شادى عبد الحفيظ الروبى .

– الأستاذ الدكتور أمين على السيد .

– فضيلة الأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى .

وأما بقية جلسات المجلس فكانت مغلقة نظر فيها ما أنجزته لجان المجمع المختلفة من مصطلحات فى :

– الفيزيقا .

– النفط .

– الكيمياء والصيدلة .

– العلوم الطبية .

– الرياضة .

– الجغرافيا .

– التاريخ والآثار .

ـ الفلسفة (المنطق الرمزى) .

ـ التربية .

ـ علم النفس .

ـ القانون (القانون العقوبات) .

ـ الاقتصاد .

* * *

كما نظر المجلس أعمال اللجان اللغوية وهى :

لجنة الأصول :

عرض على مجلس المجمع من أعمال هذه اللجنة ثلاثة موضوعات هى :

ـ استغناء الفعل المبنى للمعلوم بمادته عن الفاعل .

ـ استغناء الفعل المبنى للمجهول بمادته عن نائب الفاعل .

ـ جواز إثبات الياء فى اسم الفاعل المنقوص النكرة .

وقد وافق المجلس على هذه الموضوعات الثلاثة ، وستعرض على مؤتمركم هذا لإقرارها .

لجنة الألفاظ والأساليب :

عرض على مجلس المجمع من أعمال هذه اللجنة عشرة ألفاظ وافق على سبعة منها هى التى ستعرض على المؤتمر لإقرارها وهذه الألفاظ السبعة هى :

ـ تجريف الأرض .

ـ الفرجة ـ متفرج .

ـ التسول .

ـ القطاع .

ـ الشطب ـ التشطيب .

ـ الفوطة .

أما الألفاظ الثلاثة الباقية فقد ردها المجلس إلى اللجنة مرة أخرى لإعادة النظر فيها ، وهذه الألفاظ هى :

ـ جذّر الفكرة .

ـ نبّط عليه .

ـ الزّعل .

كما أقر طائفة كبيرة من الألفاظ المستدركة على المعاجم المتداولة وهى ثلاثة وثلاثون لفظاً مستخرجة بشواهدها التاريخية الصحيحة من كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وهى :

ـ الإثم : جمع آثام بمعنى الذنب .

– الإياسة بمعنى الياس .

– البُدلة بمعنى الكثيرة التبدل أو التبديل

– الجرار بمعنى العود الذى يعرض فى فم الفصيل .

– تجلَّب الدم بمعنى يبس .

– الحتَمات بمعنى الأَحكام الواجبة التنفيذ .

– الحاكية بمعنى من يحسن التقليد .

– لاشاهم ، ثلاشوا ، بمعنى أفناهم ، وفنواهم .

– محامد ، ومشاتيم ، بمعنى كثيرى الحمد ، وكثيرى الشتم .

– زرده ، وتزرد ، بمعنى حمله على الابتلاع ، وابتلع .

– السِّجاعة : بمعنى صناعة السجع .

– أَطلعه ، بمعنى جعله يطلع .

– الغِواص ، بمعنى الغوص .

– انتجزه ، بمعنى طلب إنجازه .

– أبو العفَّاق ، بمعنى الذئب ، وكذلك أَبو اليقظان .

– الرِّسال ، بمعنى المراسلة .

– التجريض ، بمعنى الغَصَص .

– استجزى ، بمعنى استحق الجزاء .
واستحرى بمعنى كان حرياً .

– الحِيالة ، بمعنى الحيلولة .

– راغث ، والرغاث بمعنى ، أرضع ، والرضاع .

– ارتكشت الحامل : تحرك جنينها فى بطنها .

– الزُّوّار بمعنى السؤال .

– الشهير ، بمعنى السيف المسلول من غمده .

– نحّر بمعنى أكثر من النحر .

– الثاغرة والثواغر بمعنى الحسنة الثغر ، والحسان الثغور .

– اعتقل : رضى بالعُقْل ، أى الدية .



مسابقات المجمع

المسابقة الأدبية :

• (أولا : كان موضوع المسابقة الأدبية للعام المجمعى السابق (٨٦ – ١٩٨٧ م) هو : « على الجارم أديباً وباحثاً » . وقد تقدم إلى هذه المسابقة عدد من المتسابقين فاز من بينهم .

– الأستاذ على على الفلال . بالجائزة الأولى .

– الأستاذ محمد الغزالى حرب بالجائزة الثانية .

(ثانياً) : وافق مجلس المجمع فى ختام دورته السابقة (مايو ١٩٨٧ م) على تقرير لجنة الأدب الذى اقترحت فيه أن يكون موضوع التسابق فى العام المجمعى الحالى (٨٧ – ١٩٨٨ م) هو : « مجموعة قصص قصيرة » .

* * *

مسابقة احياء التراث :

(أولا) : كان موضوع « إحياء التراث » للعام المجمعى السابق (٨٦ – ١٩٨٧ م) هو : « مسابقة ذات مستويين لأجود نص من التراث العربى ينشر لأول مرة محققاً تحقيقاً علمياً منهجياً فى متن اللغة العربية أو فى أحد فروعها ، أو فى نص من نصوصها الأدبية شعراً أو نثراً » .

وقد رأت اللجنة حجب الجائزة فى هذا العام لعدم ارتقاء أى نص من النصوص المقدمة إلى مستواها .

(ثانياً) : وافق مجلس المجمع فى ختام دورته السابقة (١٩٨٧ – ١٩٨٨ م) على تقرير لجنة « إحياء التراث » الذى اقترحت فيه أن نطرح للتسابق موضوعاً يدور حول : « أجود نص يقدم إلى المجمع من التراث العربى الذى ينشر لأول مرة محققاً تحقيقاً منهجياً فى متن اللغة العربية . أو فى أحد علومها ، أو فى نص من نصوصها الأدبية (شعراً أو نثراً) فى السنوات الخمس الماضية .

مطبوعات المجمع

يواصل المجمع نشر العديد من المطبوعات التي تتنوع ما بين معجمات لغوية وأخرى علمية فضلا عن كتب التراث التي يحرص المجمع على نشرها بانتظام مضافاً ذلك إلى مجلته ودورياته المختلفة ، وكل مطبوع من هذه المطبوعات القيمة يعد تتويجا لجهد من الجهود المخلصة الطيبة التي يبذلها المجمع خدمة للغة العربية ورفعاً لشأنها .

وقد أصدر المجمع خلال هذه الدورة المطبوعات التالية :

- معجم الجيولوجيا .
- معجم الحاسبات الإلكترونية .
- الجزء الثالث من كتاب «غريب الحديث » .
- الجزء الثالث من كتاب « التكمله والذيل والصلة » .
- الجزء الخامس من كتاب « التكملة والذيل والصلة » .
- الجزء السادس من كتاب « التكملة والذيل والصلة » .
- الجزءين الثاني والخمسين والثالث والخمسين من مجلة المجمع .
- الأجزاء من الخامس والخمسين إلى السابع والخمسين من مجلة المجمع .
- الأجزاء من السادس والعشرين إلى الثامن والعشرين من : « مجموعة المصطلحات العلمية والفنية » .

* * *

عضو جديد في المجمع :

سعد المجمع في هذه الدورة بضم عضو فاضل إلى رحابه هو :

- الأستاذ الدكتور عبد الرازق عبدالفتاح إبراهيم .

وسيقوم المجمع باستقباله في أقرب جلسة يعقدها مجلسه بعد انتهاء أعمال المؤتمر إن شاء الله .

* * *

أيها الزملاء الكرام :

يعز عليّ – وكما يعز عليكم جميعاً – أن يغيب عنا اثنان من أفاضل المجمعيين كنا نسعد فى كل عام برؤيتهما وإسهامهما فى أعمال المؤتمر هما الزميلان العزيزان :

– الأستاذ الدكتور عمر فروخ .

– الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى .

وكما جرت عادة المجمع فى مثل هذه المناسبات ، ووفاءً منه الراحلين الكريمين سيقوم بتوديعهما فى جلستين علنيتين تعقدان لهذا الغرض فى فترة انعقاد المؤتمر إن شاء الله .

* * *

وقبل أن أختتم كلمتى هذه لايفوتنى أن أبعث بأطيب أمنيات الصحة والعافية للإخوة الزملاء الذين حالت ظروف طارئة لهم دون حضورهم هذا المؤتمر ، والله نسأل أن يسعدنا برؤيتهم فى المؤتمر المقبل إن شاء الله والزملاء المعتذرون هم :

الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد (الأردن)

الأستاذ الشاذلى القليبى (تونس)

الأستاذ الدكتور أحمد طالب الابراهيمى (الجزائر)

الأستاذ الدكتور رودلف زلهايم (ألمانيا)

الأستاذ الدكتور روبرت سرجانت (بريطانيا)

الأستاذ أحمد حسين شرف الدين (اليمن)

الأستاذ سعيد الأفغانى (سورية)

أيها السادة :

إنه ليسعدنى فى ختام هذه الكلمة أن أرحب وأعبر عن ترحيب المجمع بجميع من شارك فى هذا الحفل السنوى التاريخى ، من السادة الضيوف ، ومن رجال الإعلام مقدماً إليهم بالنيابة عن المجمع تحية الشكر والتقدير .

وأما أنتم أيها الإخوة الوافدون من بلادنا العربية ، ومن أقطارها المعمورة قاطبة ، فإليكم منا التحية أزكى ما تكون التحية والشكر أجزل ما يكون الشكر ، على ما تحملتم من عناء السفر وما تكبدتم من مشقة الارتحال حرصاً منكم على شهود هذا المؤتمر والمشاركة فيه بعلمكم وفضلكم ، ونأمل أن تسعدوا فى بلدكم هذا بظلال الأخوة التى نبسطها لكم أفسح ما يكون البسط وبصدق المودة التى نبذلها لكم أروع ما يكون الصدق .

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

كلمة الأعضاء العرب

للدكتور إسحق موسى الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

سيادة وزير التعليم الدكتور أحمد فتحي سرور .

سيدى الأستاذ الدكتور رئيس المجمع .

الزملاء الكرام .

أحييكم أطيب تحية وأستأذنكم فى التعبير عن مشاعرنا جميعاً فى لقائنا الرابع والخمسين لمجمع اللغة العربية فى القاهرة ، قال مرة (مقدسى) زار القاهرة وفتن بجمالها وآثارها ومجمعها وأزهرها وتراثها القديم وحفاظها على العروبة والإسلام إنَّه لا أحد يستطيع أن يفى مصر حقها من الشكر إلَّا شخص واحد هو المقيم بيثرب محمد بن عبد الله . فهو وحده القادر على إيفاء أرض الكنانة حقها لأنها صانت كتابه ، وأعلت لسانه ، وشرحت بيانه ، ودافعت عن إعجازه .

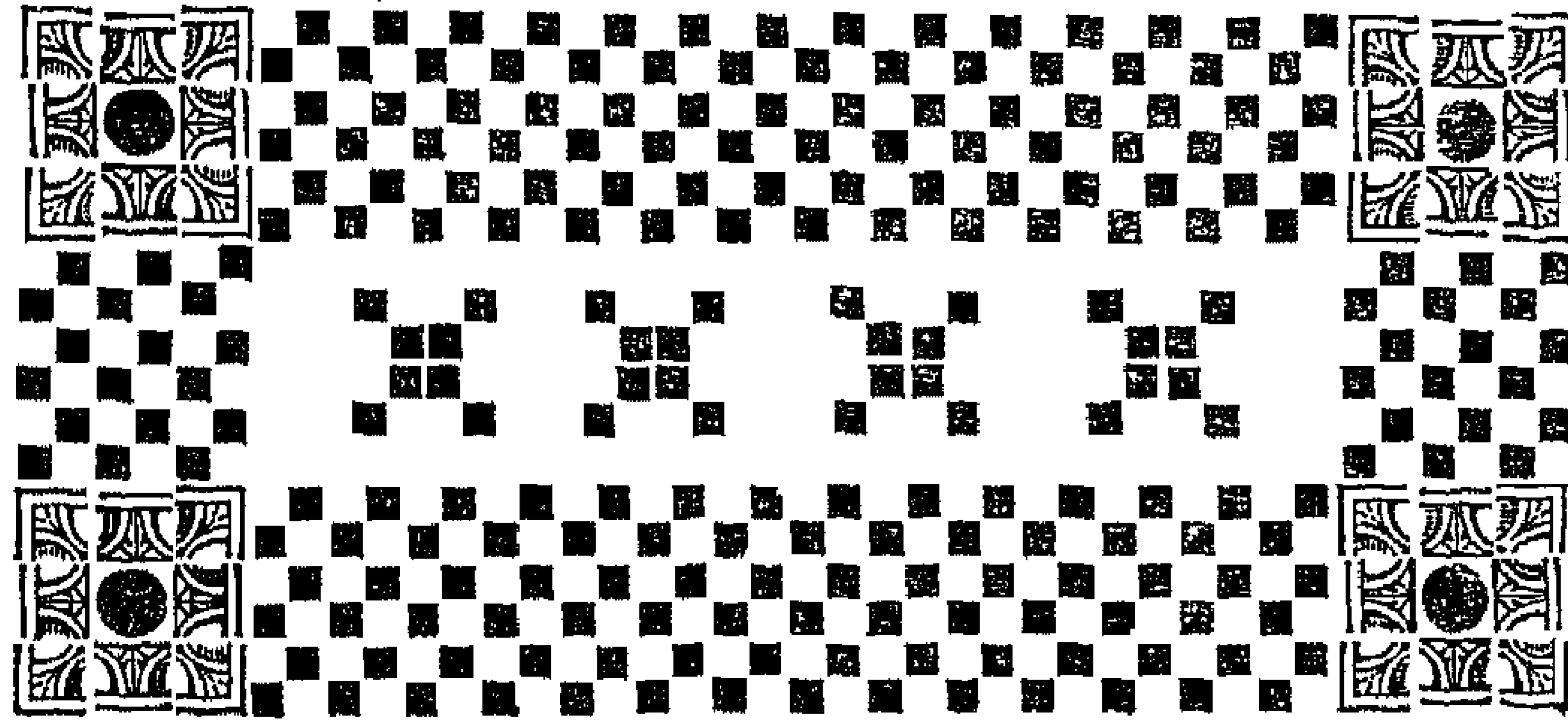
إن مجمع اللغة العربية فى القاهرة مافتىء منذ إنشائه إلى اليوم ينعقد عاماً بعد عام متحدياً المحن التى ألمت بالبلاد العربية وما أكثرها إيماناً بأن رابطة اللسان هى العروة الوثقى التى يجب علينا جميعاً أن نحافظ عليها .

لقد حاول أعداء العرب أن يحلُّوا هذه العروة مرة بالدعوة إلى العامية ، ومرة بالدعوة إلى الحروف اللاتينية ، ومرة بالدعوة إلى إلغاء النحو ولكنهم ردوا على أعقابهم خاسرين « ويأبى الله إلَّا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

أيها السادة إن ما أنجزه المجمع فى خلال نصف القرن أوسع وأجل من أن يختصر بكلمات . ولكن يجب أن أشير إلى معجم القرآن الكريم وإلى المعجم الوسيط والوجيز وإلى المخطوطات النادرة التى نشرت لأول

مرة ، وإلى مصطلحات العلوم والفنون فكلها شاهد صدق على العزيمة وتواصل الجهد . أخيرًا هل أنا قادر على أن أفى مصر حقها وهى التى ردت الغزاة قديماً وحديثاً ، وهى التى ترفع اليوم علم العروبة والإسلام فى كل مجال شرقاً وغرباً . ألا إننى لعاجز وفى اللسان عقدة ، وفى القلب جذوة ، وفى العين دمعة ، ولكننى أصمت لتظل فرحتنا بهذا اللقاء غلابة ، على كل ما فى القلب من حزن .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .




البحوث

لغة الإعلام

للأستاذ حسن عبد الله القرشي

كان الإعلام ، ومتفرعاته – وما زال – أحد العوامل المهمة التى ترتكز عليها الأمم في إظهار الوجه الحسن لتراث الأمة ، ورصد مراحل تطورها وإبراز ماهى عليه من عزة وَمَنَعه وما تتمتع به من حاضر مرموق ،وما ينتظرها من مستقبل باهر .

وخلال الحروب الباردة والساخنة معا كان الإعلام هو المعوان لصد أطماع الأعداء والإيماء إلى القوى الكامنة والمدخرة لدى الشعوب .

وقد أصبح للإعلام خبراء ، ومستشارون وكليات جامعية متخصصة ووزارات تُرصد لها الأموال الكثيرة وشركات ومؤسسات كبرى تُستثمر فيها الملايين من الدولارات ويعمل بها مئاتُ الآلاف من الفنيين والمختصين فى مختلف الحقول ، وأصبحت ركائزه من صحافة ، وإذاعة ، ومكتبات وتلفَزة ، وأدوات نشر مؤسسات ضخمة مؤثرة تضم الآلاف من ذوى التخصصات الراقية فى مجالات الثقافة ، والفكر ، والاجتماع ، والاقتصاد ، يسخرون أفكارهم وأقلامهم لمسيرة هذا المرفق الحيوى الهام الذى هو مرفق الإعلام .

لذلك فليس غريباً أن يتجه الحديث إلى (لغة الإعلام) ومناهج القول فيها مما عناه بتخصيص مجمعنا اللغوى العريق .

وإذا كانت اللغة هى أهم أسباب نجاح الإعلام على الإطلاق فما هو المنهج الأصوب الذى يجب أن تسير عليه لغة الأعلام ؟

لاشك أن اللغة الإعلامية ينبغى أن تنقسم قسمين :

القسم الأول : اللغة التى نستخدمها فى الوسائل المطبوعة (من كتب وصحف ومجلات وروايات ، وقصص) فهذه يتعين أن تكون اللغة الفصحى .

(*) ألقى البحث فى الجلسة الثانية ليوم الثلاثاء ٢٣ / ٢ / ١٩٨٨ م .

ولا يغرب عن البال أن الفصحى قد أصيبت بالكثير من أدواء العُجمة نتيجة التقهقر الذى عرا تدريس هذه اللغة فى المدارس ، والمعاهد ، والجامعات ، والتدنى فى مستويات التحصيل ، مما يتطلب تلمس العلاج الناجح لذلك .

ورغم ما توافرت المجامع اللغوية مشكورة على تسهيله واشتقاقه من عبارات ... وما استحدثته من مصطلحات للتمشى مع روح هذا العصر المعجل فإن الضعف مايزال سمة ملازمة للغة الفصحى فى الإعلام .

أما القسم الثانى : فنظرًا لأن الإذاعة والتلفزة بخاصة تخاطبان جميع الطبقات التى تتكون من متعلمين وأميين فإن الطريقة المثلى – فى رأيى – هى أن تكون لبعض موادهما لغة مبسطة بعيدة عن التعقيد تكون مفهومة للمتعلم وغيره على السواء رغم ما جنحت إليه بعض أجهزة الإذاعة المرئية والمسموعة من تخصيص ما يسمى بالبرنامج الثانى لفئة الطبقات المتعلمة .

ولا أقصد بتبسيط اللغة بالنسبة لغير المتعلم الهبوط بمستواها ، ولكننى أقصد أن تكون لغة ميسرة سهلة مشتقة من الفصحى ذاتها هدفها الارتقاء بالمفهوم العادى وصقله ويمكن أن تقدم بها المواد الترفيهية ، وما يماثلها . وربما اندرج تحت هذا المفهوم اللغة التى يجب أن يخاطب بها الطفل فى وسائل الإعلام .

وإذا كانت اللغة هى الوسيلة للإعلام فإن مضمون الإعلام ذاته يجب أن يكون مضمونا صادقاً ، فلا ينبغى أن يكون مثلا أداة طيعة للأهواء أو تزييف حقيقة والدعوة لمبدأ هدام أو الترويج لسلعة تافهة .

إن من آفات الإعلام الجنوح إلى اصطناع منهج الكذب والتدجيل ، وإلباس الباطل ثوب الحق ، وخداع القارئ أو السامع أو المشاهد وكل أولئك أردية خَلِقة سرعان ما تتكشف للناس ، ويبدو زيفها وخواؤها مما يؤثر تأثيرًا بالغاً على سمعة إعلام الدولة وتخلخل الثقة به ، وانعدام مصداقيته .

ونحن نعرف مثلا أن هناك محطات للإذاعة يؤثر السامع سماع أنبائها على أنباء سواها – وما ذلك إلا لأنها انتهجت تحرى الصدق فى بث الأنباء حتى أصبح ذلك تقليدًا لها فى هذا المضمار .

فتحري الحقائق المجردة . ورصد الوقائع التابعة هما الأداء الصحيح للإعلام الناجح ومهما ضاعفنا من جهود فى هذا السبيل فإنها الجهود التى تؤتى ثمارها ، وتصيب أهدافها .

وهناك اقتراح يمكن ايلاؤه عناية خاصة ويتلخص فى حث المسئولين فى وزارات الإعلام فى الدول العربية على ضرورة استخدام اللغة العربية الفصحى فى نشرات الأخبار وإبعاد الكلمات العامية والحواشية منها نهائياً فيما تقدم من مواد إعلامية غير الإذاعتين المرئية والمسموعة كى تكون هذه النشرات واجهة حية للغتنا العربية .

إن هذا البحث وهو لغة الإعلام —والذى آثرت أن أوجز القول فيه خشية الإطالة والإملال — هو جديد الموضوع بكل تفاصيله إذ أننا نبحث عن أمثل الطرق للوصول إلى القارئ والسامع ، والمشاهد وفى نفس الوقت يجب ألّا تنسى ولو للحظة واحدة أن تراثنا هو لغتنا العربية لغة القرآن الكريم الذى أنزله الله تعالى وتعهد بحفظه ، وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن الأنسب دائماً أن نبحث فى هذا العصر ما يعزز هذه اللغة وقيمها ويزيد من رقعة انتشارها ورفع مكانتها .

ولعل من بوادر الخير ما أصبحنا نلاحظه فى المؤتمرات الدولية والمحافل العالمية من التزام مندوبى الدول العربية وبعض الدول الإسلامية الحديث باللغة العربية بهدف ترسيخها والتعريف بجمالها وأصالتها وجرسها المحبب وفرضها على مجتمعات العالم ما أمكن ذلك .

أخيراً أكرر تقديرى للزملاء الصفوة الفضلاء على تلطفهم بحسن الإصغاء وما توفيقى إلّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حسن عبد الله القرشى
عضو المجمع المراسل من السعودية

* * *

المعجم العربى الوسيط

للدكتور عدنان الخطيب

كان مؤتمر الدورة الثالثة والخمسين غنياً بالبحوث التى أُلقيت فيه . غنياً بالأفكار والمقترحات التى وردت فى تلك البحوث . وإذا كان الكلام على « المعجم العربى » قد استحوذ على الغالب منها . فإن الفِكَر التى جاءت على لسان الزملاء الأجلاء دلت على ما يجيش فى صدورهم من حب بالغ للفصحى . ورغبة عارمة فى رؤيتها تئد ما يزاحمها من لهجات وتقضى عليها . وكلهم يأمل فى أن يقوم المجمع الموقر بالدور الكبير فى تحقيق رغباتهم .

ثم كان الوقت المخصص لمناقشة تلك الفِكَر والآراء والتعليق عليها أضيقَ من أن يفى بما تستحقه من عناية بها ومناقشة ما فيها وإقرار الممكن منها . وخاصة لأنها كانت واسعة مترامية الأطراف . عميقة بعيدة الأغوار . يحمل بعضها طموح الشمال فى أن يرى « المعجم العربى » غداً سجلا يضم شتات ما فى الحضارة العربية الإسلامية من ألفاظ وكلمات . ويحمل بعضها الآخر آمال الجنوب فى أن يكون ما يعنى به « مجمع اللغة العربية » معجماً عصرياً ينهض بالعربية السليمة . خلواً من الحوشى المستغرب والعامى المبتذل . وفى جميع هذه الآمال والأفكار خير للفصحى التى نريد .

غير أنى أرى أن جميع ما عرض علينا من أفكار ومقترحات لا يمس شغاف العمل الذى نجح مجمعنا فى تحقيقه ووضعه بين أيدى الناس . ألا وهو « المعجم الوسيط » وهو إنجاز هام يسجل إخراج المجمع له فى طبعات ثلاث بمداد الفخر .

لقد كان « المعجم الوسيط » منذ صدور طبعته الأولى سنة ١٩٦٠ م جليسى المفضل آناء الليل وشطرا من النهار . تشهد بهذا صفحات مجلة مجمع دمشق ومقدمة اللجنة المشرفة على إخراجه

(*) ألقى بحث فى الجلسة الثانية ليوم الثلاثاء ٢٣ / ٢ / ١٩٨٨ م .

فى صدر طبعته الثانية الصادرة سنة ١٩٧٢ م ، وإنى وإن كنت ، فيما كتبت عن « المعجم الوسيط » أشرت إلى مـــا أراه نقصا يجب إتمامه أو عيبا يجب إصلاحه ، فإن نقدى لم يكن ليتضمن أى انتقاص من جهود المشرفين عليه والقائمين على إخراجه ، إنما كان النقد طلبا للإصلاح وسعيا وراء الكمال ، خدمة للفصحى ، وهى الهدف الأول لنا ، وكلنا خطّاء . وخير الخطائين من يعمل على إتقان عمله .

وأنا اليوم أعرض عليكم بعض الملاحظات حول « المعجم الوسيط » ممهدا لها بكلمة عن أثر علوم اللسانيات على ما يكتب عن المعجم الوسيط ، مع وشل مما كتب .

إن ما يسمى بالعلوم اللسانية أو باللسانيات ، علوم حديثة النشأة ولكنها سريعة الخطوات ، دخلت جامعات الأقطار العربية متأخرة ، غير أنها سرعان ما اشتد ساعدها وقوى أنصارها .

ونحن غير المختصين فى أى علم من علوم اللسانيات . نرى أنها إن كانت تستهدف الكشف عن أفضل الأساليب التربوية لتعليم لغة من اللغات أو تستهدف استخدام الرموز اللغوية للكشف عن طبيعة السلوك البشرى أو البحث عن الجذور الأولى للغة من أجل مقارنتها بجذور اللغات الأخرى لتبيان العلاقة بين اللغة ووظائف الدماغ البشرى أو ما شاكل هذا من الأهداف التى تغنى المعرفة أو تفيد فى تبسيط قواعد اللغة أو تسهل اتقانها ، فلها منا كل تقدير وتشجيع .

أما إن كان من أهداف اللسانيات تطويع العربية للمبادىء المستنبطة من دراسات لغات أجنبية ، فإننا نرفض ذلك ما دام يتنافى مع مميزات العربية وقواعدها التى تختلف عن أصول وقواعد اللغات الأجنبية .

وكل من يظن أن بإمكانه تطويع العربية إلى أساليب مستنبطة من قواعد تقبلها اللغات الأجنبية ، خارج الحدود التى يقرها مجمع اللغة العربية يظن

خطلا ، ولو ادعى أنه يعمل على تأهيل العربية للانتشار الواسع . أو تسهيل ترويضها على التنميط (التبرمج) والإدخال فى الحاسبات الإلكترونية أو فى (بنوك) المعلومات أو المصطلحات العلمية والفنية حتى تماشى لغات العالم المتحضر .

أقول هذا مدفوعاً بما قرأت ولمست من نهضة علمية فائقة قامت فى القطر التونسى الشقيق ، وكان نصيب العربية منها كبيرا ، والقسم الأعظم من هذا النصيب انصبّ على « المعجم العربى » .

إن نفرا من شباب تونس اللامعين أمضوا شطرا من حياتهم فى أوربة وعلى الغالب فى فرنسة ، وتخصصوا باللسانيات التى استولت عليهم جدتها وطرافتها ، ففكروا بأن النهوض بالعربية يمكن أن يتم عن طريقها ، فكونوا حلقة منهم باسم « جمعية المعجمية العربية بتونس » وكان من أهم إنجازاتها إخراج « مجلة المعجمية » التى صدر العدد الثانى منها فى أواخر عام ١٩٨٦ ، كما قامت الجمعية بعقد ندوات علمية وأنهت طباعة وقائع ندوتها الأولى التى عولج فيها « إسهام التونسيين فى إثراء المعجم العربى » كما نشرت عددا من بحوث أفرادها ومؤلفاتهم .

إن اللولب فى هذه النهضة وكاتب أكثر بحوثها طرافة هو صديقى وزميلنا الدكتور محمد رشاد الحمزاوى .

وأهم ما يجلب الانتباه فى تلك البحوث والمؤلفات الروح العالية التى سادت فيها بدافع خدمة اللغة العربية وإثراء معجمها العلمى لتساير النهضة العلمية الحديثة فى العالم ، غير أن اللسانيات بعجزها وبجرها كانت السائدة فيها .

يقدم زميلنا الدكتور الحمزاوى عمله فى كتابه (من قضايا المعجم العربى) « بيروت ١٩٨٦ بقوله : . . . . نعتمد فيه بالخصوص على معطيات من اللسانيات الحديثة فاستندنا إليها لنقرأ المعجم القديم أو الحديث قراءة جديدة لاستقراء محاولاته الجريئة تنظيراً وتطبيقاً . .)

وبعد أن درس بعض المعجمات القديمة في ضوء النظريات الحديثة ، أتى على ذكر معاجم العصر ، لبيان منزلتها من الدراسات اللسانية ، وبعد تعريفه المعجم اللغوي وكيف يميز عن المعجم اللغوي الموسوعي الذي يستوعب أسماء الأعلام والبلدان ، قال : « . . وبهذا الاعتبار تبين لنا أن الموسوعة الرائجة في العصر الحديث هي دائرة المعارف العربية للبستاني » وإن لم نكتمل فقط ½ حرف الألف ، وإن المعجم الموسوعي العربي المشهور هو « المنجد » وإن كنا نحترز في هذا الرأي ، وإن المعجم اللغوي الجديد هو « المعجم الوسيط » . . .

ثم يقارن الدكتور الحمزاوي بين الوسيط والمنجد ويقول : (إن المعاجم العربية الحديثة ، لا سيما المنجد والمعجم الوسيط ، يعتبران أنهما موجهان إلى الأدباء والمثقفين والطلاب . . . »

وبعد أن بين الدكتور الحمزاوي منهج كل واحد من المعجمين قال : « . . . لا شك أن المعجم الوسيط قد جدد كثيرا بالنسبة « للمنجد ، فيما سنراه ، في مناسبات عديدة ، وصحيح أنه يستمد قوته من مجمع عربي ، وهو مجمع اللغة العربية الذي يدعو إلى إجماع لغوي عربي ، إلا أن هذا الموقف لا يخلو من مذهبية تعتبر أن وضع المعجم من حق العرب المسلمين ، وليست من حق العرب المسيحيين لأن « العربية لا تتنصر . قولة قالها الشميني وردد معناها المعجم الوسيط في مقدمته » . (كذا) !

وبعد الاستشهاد بأمثلة ضعيفة الدلالة على ما يراد منها .

وبعد تفصيل الكلام على المعجم من حيث النظام اللغوي ووضع الكلمة في المعجم ومقارنة التعريفات في كل من الوسيط والمنجد واستقراء دلالة كل ذلك . كاد المنجد أن يحرز قصب السبق لولا أنه تعثر أمام المصطلحات التي حواها المعجم الوسيط .

وفي ندوة أقامتها جمعية المجمية بتونس لتفصيل الكلام عن إسهام

التونسيين فى إثراء المعجم العربى .
قال وزير مسؤول يثنى على الجمعية :
(. . . هى الجمعية الأولى من نوعها فى العالم العربى ، تؤسس فى وقت تتزايد فيه الحاجة إلى العناية بقضايا اللغة العربية التى ما انفكت تواجه التحديات الكبيرة ، ولا شك أن من أهم مجالات اللغة مجال المعجمية .
ثم تكلم السيد الوزير عن تيار تأليف المعاجم فى الأقطار العربية وعن حركة الإحياء اللغوى . فانتهى إلى أن قال :
(. . . ولكنه إحياء متعثر لأن المحدثين قد زكنوا إلى تقليد القدامى فتسارعوا إلى مناهجهم القديمة يطبقونها وإلى معاجمهم القديمة ينتقون من مادتها انتقاء لم يخضع فى معظم الأحيان للمنهجية العلمية ولمقتضيات العصر الحديث . فكانت المعاجم الحديثة لذلك فى معظمها صورا مصغرة للمعاجم القديمة فيها نفس نقائصها وعيوبها . .) . . ولم يكتف الوزير الذى كان فى عهد غير مسؤولا بما قال ، بل أخذ يتحدث عن سبب تأخر المنهجية العلمية عند العرب قائلا : (. . . هو أن نظرة العرب . حتى فى القديم ، إلى اللغة العربية هى نظرة تقديسية تعتبر أن ما وصلته اللغة العربية إنما هو شىء كامل لم يخضع إلى التطور بالمعنى الشامل . . .) !

أنا لا أستغرب هذا الكلام من وزير مسؤول كان فى عهد سادت فيه عند كثير من المثقفين قوله : « كن تونسيا وتكلم بأى لغة شئت » (انظر تحطيم هذه القولة من قبل الزميل محمد أبو القاسم كرو فى مجلة العمل ١٩٨٧) .

أنا لا أزعم أن أحدا من علماء اللسانيات تجرأ على مس قدسية القرآن الكريم . غير أن مفسرى الكتاب العزيز لم ينجوا من بحوث أولئك العلماء ودراساتهم . وحتى صديقنا الحمزاوى يختتم كتابه المعنون (العربية والحداثة بيروت ١٩٨٦) بقوله :
(. . . وفى النهاية لست أعلم ما هو حظنا من المساهمة فى الهيئات والمؤسسات المختصة فى البحث عن أحسن الطرق لتطبيق النظريات بغية تعليم اللغات . .)
إلى أن يقول : (. . . هذا فى عجالة تصورى لقضية تطبيق مبادىء النظريات اللغوية الحديثة على العربية وتدريسها » :

على أنه ليس كل ما كتب أو يكتب من نقد المعجم الوسيط يعد لغوًا لا قيمة له ، بل إن ما فيه هو حق ، ويجدر باللجنة المشرفة على المعجم أن تتدارسه حتى إذا ما وجدته صحيحاً ، أقرت الأخذ به فى الطبعة التالية ، وبهذا يبقى المعجم الوسيط متجددًا يتكامل مع الزمن ، شأن معجمات اللغات الأجنبية الكبرى .

ولكن لابد للمعجم الوسيط من بعض الموظفين يكون شغلهم الشاغل استقصاء ما يكتب عن المعجم فى مختلف البلاد يجمعونه ويصنفونه تمهيدا لدراسته من قبل العلماء المشرفين على إصدار الطبعة الجديدة منه .

وأخيراً سأعرض عليكم بعض المقترحات التى أجد الأخذ بها صلاحا واقترابا من الكمال ، تتضمنها النبذ الأربع التالية

١ ـ لفظة تبحث عن هوية :

كان المجتمعون فى ندوة علمية بصدد انتخاب لجان تتقاسم العمل الموكول إليهم ، فإذا بأحدهم يسأل : هل لفظة « لجنة » عربية التجار ؟ فتصدى آخر ورد عليه قائلا : الكلمة ذات جذر صحيح معانيه عديدة ، ولفظة « لجنة » تدل على معنى اصطلاحى يطابق المعنى الذى يهدف الانتخاب إليه وأردف لدعم عربية الكلمة ، قائلا : الكلمة كثيرا ما ترد فى جلسات مجامع اللغة العربية وتدون فى محاضرها ، وكل واحد منها لديه أكثر من لجنة .

فانبرى السائل الأول يقول : ما بال المعجم الوسيط إذن يصف الكلمة بأنها (مولدة) ، لأنها لو كانت فصيحة صحيحة لرفع رمز التوليد من التعريف بها أو استبدله على الأقل ، برمز يدل على أن المجمع قد أقرها ؟

هذا الحوار دفعنى للعودة إلى المعجمات انظر فيما ذكرته عن الكلمة فوصلت إلى ما يلى : إن أشمل ما دونته المعاجم جاء فى التاج شرحاً لما ذكره الفيروزآبادى فى القاموس ، وزبدة ما فى التاج هى .

(اللجن : اللحس) كذا فى النسخ والصواب الحبس ، وكل ما حبس فى الماء فقد لجن . . و (اللجنة) بالفتح (الجماعة يجتمعون فى الأمر ويرضونه . .)

وقال الشيخ أحمد صاحب (متن اللغة) مانصه .

واللجنة : الجماعة يجتمعون فى الأمر ويرضـــونه » وضبطها صاحب التكملة بضم اللام » وتستعمل فى فريق من المجلس يختص فيه البحث ببعض أعماله « استعمال مولد حديث عثمانى » . وقد أطلقها مجمع دار العلوم على ما يعرف (بالقومسيون) إ هـ .

ومن الطريف أن تعريف الكلمة جاء فى الجزء السادس من كتاب (التكملة والذيل والصلة) للصاغانى الذى أخرجه مجمعنا الموقر سنة ١٩٧٩ بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم رحمه الله ومراجعة أستاذنا الجليل الدكتور علام . بالنص الآتى :

اللَّجنة : الجماعة من القوم يجتمعون فى الأَمر وَيُروِّضونَه (أو يَروضونه فالكلمة غير مشكولة) .

ولم يعلق المحقق على التعريف بغير الإشارة إلى أنه جاء فى نسخ أخرى مخطوطة (ويَرْضونه) وهل فى معاجم اللغة عن راض الأَمر يروضُه رياضة وروَّضه ترويضا غير معنى ذلَّله ورواده ، وهل مهام اللجان غير تذليل صعاب مايعرض عليها وإروائه بالبحث والدراسة واستخلاص النتائج ؟

* * *

٢ - كلمة يجب اثباتها فى المعجم :

كلمة حاخام غير عربية . تدل على رتبة أو منصب دينى لدى الموسويين . دخلت العربية بحكم وجود طائفة يهودية فى أكثر الأقطار العربية ، غير أن المعجم الوسيط لم يوردها لأنه غير ملتزم بإيراد أمثالها من الدخيل ، وقد استحسنت له فى النظرات التى نشرتها فى عقد الستينيات إثباتها ، ولكنه لم يفعل فى طبعتيه الثانية والثالثة . وآمل اليوم أن يثبتها فى طبعته الرابعة ، لا لأنها دخلت فى لغتنا المحكية والمقروءة والمسموعة فحسب . بل لأنها كلمة دخلت حرم المجمع وأُثْبِتت فى محاضره وفى كتب نشرها ، يوم كان أحد أعضائه المؤسسين يحمل تلك الرتبة وقد أُثبتت فى ترجمته جملة (فأختير حاخاماً الطائفة الموسوية فى بلاد الدولة العثمانية) .

٣ ـ **العامية مقبولة بشروط :**

أثيرت فى الدورة الماضية مسألة احتواء المعجم الوسيط بعض الكلمات العامية ، وأنا لا أرى ضررا فى أن يثبت المعجم أى كلمة عامية دارجة على ألسنة الناس ، شريطة النص على عاميتها ،ومن المستحسن أن يشار فى تعريفها إلى الكلمة الفصيحة التى يمكن أن تحل محلها ، أما أن يغفل النص على عاميتها فهذا يؤذى العربية ، فكيف إذا رافق التعريف بها مايضعف هويتها ، كما حدث فى تعريف كلمة (الشُّبُّورة) فقد نص الوسيط على أنها : الضباب فى الصباح ، وألحق بالتعريف قوله : (محدثة) مما أدى إلى تسرب الكلمة إلى أكثر من قطر عربى على لسان بعض المذيعيين وعلى أقلام بعض المحررين . وإذا كان تعريف الكلمة بضباب الصباح غير واف فتمكن الإشارة إلى كلمات كثيرة عربية صحيحة مثل (الهَيْدب والدَّجْن والحَبِّى والمُسِف) .

٤ ـ **تماثل التعريفات سمة المعجم الحديث :**

من المألوف أن يكون الأسلوب الذى يسود فى أى معجم واحدا ، سواء أألفه شخص واحد ، أم اشترك فى تأليفه أكثر من واحد لأن المفترض فيهم وضع قواعد مسبقة من أجل التحرير تتماثل فيها تعريفات الكلمات المتشابهة : وهذامتطلب من متطلبات عديدة فى المعاجم الحديثة فى الدول الراقية .

وسنختار سبع كلمات من المنحوتات الخفيفة الجرس المعرَّفة فى المعجم الوسيط لنرى إلى أى حد تتفاوت فى تعريفاتها :

١ ـ بسمل بسملة : قال : بسم الله الرحمن الرحيم أو كتبها .

٢ ـ حسبل : قال حسبى الله (منحوت من : حسبى الله) .

٣ ـ حمدل : قال : الحمد لله (منحوت من الجملة) .

٤ ـ حوقل فلان ، قال : لاحول ولا قوة إلا بالله .

٥ ـ حولق حولقة : أى قال : لاحول ولاقوة إلا بالله (منحوته) .

٦ ـ حيعل المؤذن : قال حى على الصلاة .

٧ ـ سبحل فلان : قال : سبحان الله .

عدنان الخطيب
عضو المجمع من سورية

قصيدة "أخى"

للدكتور حسن على إبراهيم

ماكنت أحسب أنى سوف أفقده ... ولا تخيلت أن الدهر مُرصدُه

خلال عُمرى إذ قد كنت أكبره ... والموت ليس له سن تحدده

مشيئة الله كل الأمر فى يده ... يدبر الكون بالسلطان واحده

مصير كل امرئ مهما علا وسما ... شئٌ من النور ثم الرمس مرقده

قد سرت أمشى حزيناً فى جنازته ... أمام عينى ماضٍ سوف أسرده

جئت الحياة غريراً لست أعرفها ... وبعد حولٍ تولَّى كان مولده

عشنا الطفولة لا همٌّ يشاغلنا ... فالعيش أنعمه والدهر أرغده

كنا شقيقين بل خِلَّين لفَّهما ... ودٌّ وحبٌّ ولا أضغان تفسده

ما كان يحزننى كم كان يحزنه ... وما سعدت به قد كان يسعده

وحين آن أوان الدرس ألحقنا ... أبى بمدرسة للعلم نقصده

خفت الطريق وقد سرنا لمدرسة ... وأمسكت بيدى من خوفه يدُه

ما كان خُطوا لدرس بل لمصطخب ... فى ذى الحياة ودرس سوف نشهده

جلست فى الدرس جنبى لصق جانبه ... وجاءنا العلم ماضيه ووافده

إلفان فى الدرس والتحصيل لفَّهما ... حب الدراسة والتصميم أصلده

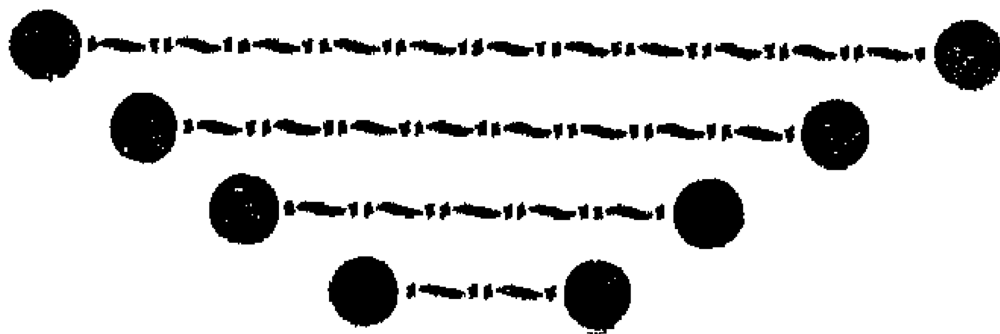
دراسة الطب تضنى من يحاولها ... ومن بغى الطب يوماً فهْو يجهده

خضنا الحياة معاً والطب يجمعنا ... كلٌّ له فى طريق الطب منشده

كنا قنوعين فى التطبيب نتقنه ... فمن جرى خلف مال فهو فاقده

(*) ألقيت القصيدة فى الجلسة الثالثة ليوم الأربعاء ٢٤ / ٢ / ١٩٨٨ م.

وكم لحانا زميل فى مكاسبنا | كيف التواضع فى كسب نقيّده
الطب للناس لا للتّجْرِ منفعة | ولا المريض بما يبغى تصيده
كان الأمين على مرضاه كلّهم | عناية الله رب العرش ترشده
خمسون ألفاً من الأطفال شدهم | إلى الحياة من الأرحام مِقْوَدَه
كان الطبيب وكان العلم مركبه | فإنه فى مجال العلم رائده
لاقى الأمَرَّين من حقدٍ ومن حسدٍ | وكل مرء سما يزداد حُسَّده
اليتم كان قذى عينيه يدفعه | فإن تفتح باب الفقر يوصده
رعى اليتامى وأواهم بمنزله | وقد أُتيح لهم فى العلم جيّده
غدوا أطباء أو أرباب هندسة | وكلهم لجميل الصنع حامده
وكم شكا لى مكر الناس جُلّهم | وقوله كان لى دوماً يردده
هذا زميل يرى ودًّا ويطعننى | وذاك خِلٌّ حقود القلب أسوده
طبع الخيانة والإنسان قد جمعا | فلا يغُرك من خِلٍّ تودده
زرعت فاكهة تحلو لأجنيها | لماتطيب فإذ بالصاب أحصده
قدمت خيرًا لكل النّاس مافعلوا | كل بنكر أتى كالنصل يغمده
ما كان يحسب سنا سوف يجهده | من سَار فى ثقل الأيام تخمده
قد زرته وعيون الأهل دامعة | حول الفراش وداء الموت يقعده
قد كان يعلم أن الحين داهمه | فالموت نبع وكل الخلق وارده
عليك رحمة ربّى ياعلىّ فنم | واللهُ يرعى الذى قد ظل يعبده



لغـــــة الإعـــــلام

للدكتور تمـــام حسـان

لعل أوضح ما فى الإعلام أنه دعوة إلى قبول أمر بعينه ومحاولة للإقناع بصدق دعوى لم يقم على صدقها دليل سابق. من أجل هذه الدعوة وتلك الدعوى تصاغ اللغة بكيفيات خاصة فى تراكيبها وأساليبها وفى أفكارها ومعانيها وفى بوحها وكتمانها وفى تصريحها وتلميحها وإيحائها بما لم يقل وفى مخاطبتها العقل حينًا والعاطفة حينًا آخر. وسنلم إلمامًا رفيقًا فيما يلى بشىء من خصائص لغة الإعلام من حيث:

التراكيب – الأسلوب – الأفكار – طابع الاتصال الإعلامى – تسخير العلم والتكنولوجيا والفن ... الإعلام المنطوق والإعلام المكتوب – الحرب الباردة.

إن لغة الإعلام بحكم وظيفتها والغاية منها تفضل الجمل البسيطة السريعة إلى الاستيعاب والفهم والتى تأذن بقدر من الإيقاع فيعين الإيقاع على جذب انتباه السامع إليها وتأثره بها. ذلك بأن مناط الإيقاع فى الكلام إنما هو النبر وكميات الجمل. أما النبر فيكمن فى إظهار جزء من النطق على ما عداه وذلك بواسطة تسليط قدر من النفس على الأوتار الصوتية فى نطق مقطع من مقاطع الكلمة أكبر مما يكون مسلطًا على الأوتار الصوتية فى أثناء نطق المقاطع الأخرى. فإذا قلنا مثلًا: « مجمع اللغة العربية » فالنبر على أول مقاطع المضاف (مج) وعلى ضمة اللام من « اللغة » وعلى المقطع (بى) من « العربية » فإذا انتظمت المسافات بين نبر ونبر أو تقاربت كان من نتائج انتظامها أو تقاربها ما يعرف باسم الإيقاع مثال انتظامها تطابق المسافات فى قولنا:

* من تأنى نال ما تمنى *

(*) ألقى البحث فى الجلسة الثالثة ليوم الأربعاء ٢٤ / ٢ / ١٩٨٨ م.

إذ نجد بين كل مقطعين وقع النبر عليهما مقطعًا واحدًا لم يقع عليه النبر هكذا :

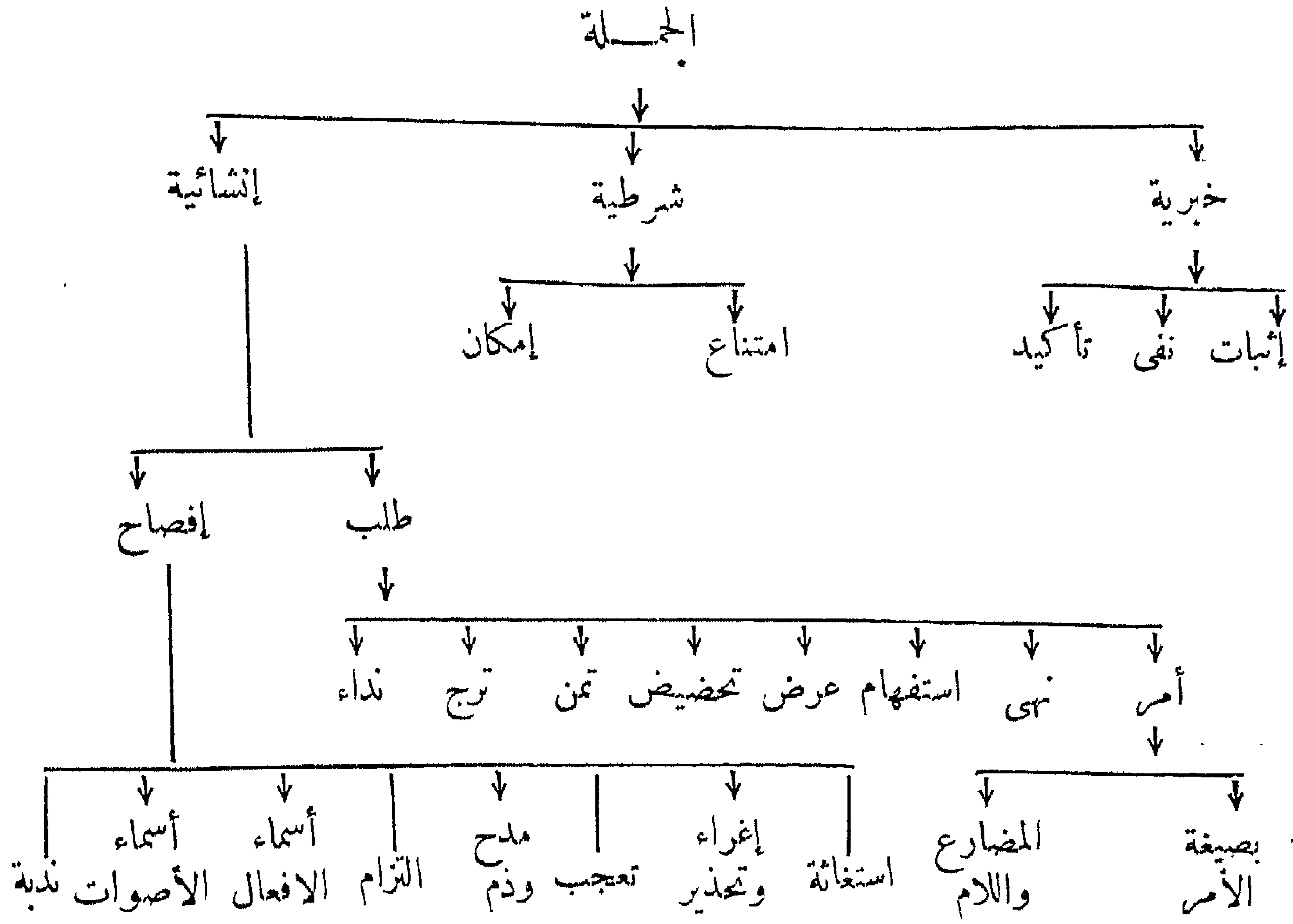
منْ – ت – أنْ – نا – نا – ل – ما –
ت – منْ – نا

وليس كل قول يجرى على هذا النحو الدقيق الانتظام إذ قد تكون المسافة بين النبرين مقطعين أو ثلاثة ثم يبقى الإيقاع إيقاعًا ولنا على ذلك شاهد من زحافات الشعر وعلله التى لا تطعن فى كونه شعرًا موزونًا على رغم ما تحدثه من اختلاف بين اطراد النظرية وتباين التطبيق . انظر إلى اختلاف المسافات وبقاء الإيقاع فى قوله تعالى : « لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » هكذا :

ل – ل – تل – قد – رخي – رن – من –
أل – ف – شهر

يضاف إلى هذا الإيقاع المقطعى إيقاع آخر تركيبى يتمثل فى قصر الجمل ، وبساطتها إذ تبدو الجملة خفيفة على اللسان أثيرة فى الآذان لا ترسف فى قيود الموصولات وصلاتها الطويلة ولا فى الجمل الحالية عند إمكان الحال المفردة ولا فى الصفات المركبة عند إمكان الوصف المفرد ولا فى كثرة الظروف والمجرورات المتعلقة بلفظ واحد وهلم جرًا مما يصلح لخطاب المتمرسين فى استعمال اللغة لا لخطاب سواد الشعوب . ولا شك أن لغة الإعلام إنما هى وسيلة الاتصال بسواد الشعوب .

والجملة السائدة فى لغة الإعلام هى الجملة الخبرية – يؤخذ ذلك أولًا من ملاحظة طبيعة الاتصال الإعلامى ويؤخذ ثانيًا من تأمل لفظ « الإعلام » وما يحمله من دلالة . فالإعلام « نقل المعلوم إلى غير العالم به » فإذا تأملنا أنواع الجملة وجدناها على النحو التالى :



فالجملة الخبرية أصلح تلك الأنواع لنقل المعلومات ، أما ماعداها فإن الجملة الطلبية هى الأصلح فى مقام الحشد والتحريض فى الأزمات القومية بالدعوة إلى المشاركة فى الجهود القومية على حين نجد الجمل الإفصاحية تسود فى الشعر وفنون الأدب الأخرى . والمقصود بلفظ « تسود » أن النوع المذكور يرد فى الكلام أكثر مما يرد غيره من الأنواع وليس المقصود أنه يستقل بالورود . ذلك بأن مطالب القول قد تختلف بين لحظة وأخرى والمتكلم قد يصرّف كلامه فى اتجاهات مختلفة للوصول إلى أثر مطلوب فلا قيد عليه فى اختيار نوع الجملة الذى يختار.

ولغة الإعلام كلغة السياسة تفضّل فى تراكيبها عدم التورط كلما كان ذلك مستحبًّا ومن ثم تستغنى فى الكثير من الحالات بأفعال المطاوعة والبناء للمجهول عن التورط فى ذكر من أوقع الحدث فالبناء « ينهدم » ولكن لا داعى لذكر من هدمه والمعاناة « تتصل » ولا يذكر من وصلها وكان سببًا لها واللثام « أميط » عن معلومات بعينها دون ذكر لمن أماطه ، ولعل الفارق بين المطاوع والمبنى للمجهول

أن المطاوع لا يصاغ من الفعل إلّا أن يكون للمفعول قدرة على رد الحدث أو مقاومة وقوعه ومن ثم لا يقال : « أنضرب فلان » ولا « انلعبت المباراة » ولا « انقتل القتيل » لأن الضرب إذا وقع فقد وقع ولأن المباراة لا وجود لها معينًا فتقاوم اللعب ، ولأن القتيل لا يرد عن نفسه القتل . أما المبنى للمجهول فصالح فى كل حالة وإن افتقر إلى الجار والمجرور كما فى « أثنى على فلان » و « استقيم على الطريق » . وهكذا تجد لغة الإعلام مهرباً من التورط بواسطة إيراد عبارة « مثل إنفجرت القنبلة » دون القول بأنها « فجرها فلان » ، وفى القول بأنه « علم أن بعض العناصر تسعى إلى كذا » دون ذكر مصدر المعلومات ولا من بلغة العلم بها .

ولغة الإعلام مولعة باختيار الصفات إيجابًا وسلبًا لبعض الموصوفات سعيًا إلى ترسيخ اعتقاد هذه الصفات فى أذهان سواد الناس لاحظ مثلًا عبارات مثل : « الشعب النبيل » و « الأرض الطاهرة » و « الهجوم الشرس » و « العهد البائد » و « الطبقات الكادحة » و « التحكم البغيض » و « المظاهرات الصاخبة » و « الشهداء الأبرار » و « الحروب الطاحنة » و « الجنود الأبطال » وهلم جرًّا فإذا لصقت هذه الصفات بموصوفاتها فى لغة سواد الشعب كان لها من القيمة الإقناعية مايكون عند المشاهدة لأنها إذا فاتها أن تدرك بالعين فقد حلت الأذن محل العين سماعًا وحل محلها اللسان نطقاً وما ظنك بجارحتين تتضافران على أداء ما تقوم به جارحة واحدة ؟

ومن هذا القبيل أيضًا ما نلمحه فى لغة الإعلام من الإحالة إلى أمور غير مسلمة أو إلى وقائع ذات صلة ضعيفة بالموقف الحاضر فمن الإحالة إلى غير المسلمات أن يقول القائل ردًّا على سؤال اتجه إليه فى مؤتمر صحفى : « إن موقفنا واضح من هذه القضية » ويكتفى بهذه العبارة عن شرح الموقف أو يحيل السائل إلى بيان نشر أو أذيع فى ظرف سابق ومن الإحالة إلى وقائع ضعيفة الصلة بالموقف الحاضر أن يجرى قياسًا بين موقفه السلبى الحاضر وموقف إيجابى سابق من قضية أخرى محتميًا بالإيجاب السابق من مغبة السلب

الحاضر . ويمكن أن نسمى هذا المسلك فى لغة الإعلام باسم « الهروب » إذا لم نسمه باسم آخر هو « التضليل » . وقديماً اعترض بعض الناس على تعريف اللغة بأنها « وسيلة لنقل الأفكار » ، فقال : « ما أبعد هذا التعريف عن تحديد طبيعة اللغة لأن اللغة فى أكثر المناسبات تمثل وسيلة لإخفاء الأفكار » ، وإذا علمنا أن صاحب هذا الاعتراض هو « تاليران » فهمنا دافعه إلى الاعتراض المذكور الذى لا يأتى إلَّا من رجل تمرس بالسياسة ودروبها الملتوية .

وقد تتجه لغة الإعلام عند الضرورة إلى التراكيب التى تحتمل أكثر من معنى لتصل بها إلى لبس مقصود أو تعمية أو مغالطة . والمعروف أن كل لغة من لغات العالم تعرف من التراكيب ما يأذن للبس أن يقع . وفى لغتنا العربية شئ غير يسير من هذه التراكيب كما يبدو فى الصور الآتية :

١ ـ المصدر المفرد المتعدى نحو : « أنت أولى بالإنصاف » إذ لا يدرى ما إذا كان المقصود « أن تُنصِف » أو « أن تنصف »

٢ ـ المصدر المضاف نحو « زيارة الأصدقاء تسر النفس » إذ يمكن أن يكون الزائر هو المتكلم أو الأصدقاء .

٣ ـ الصفة بعد التركيب الإضافى نحو « أُعجبت بدار الكتب المصرية » ، فهل المصرية هى الدار أو الكتب ؟ .

٤ ـ الحال عند تعدد ما يصلح لها نحو : « غادرته غاضباً » فمن الغاضب ؟ الفاعل أم المفعول ؟

٥ ـ الخبر والإنشاء نحو : « بارك الله فى زيد » فهل ذلك إخبار عنه أو دعاء له ؟

٦ ـ تعدد احتمالات عود الضمير نحو : « أخبر زيد عمراً أن أباه قادم » لا يدرى لمن الأب ؟ وكذلك : « رجا التلميذ معلمه أن يعيد قراءة الدرس » فأيهما سيكون القارئ ؟

٧ ـ احتمالات معنى « ما » نحو : « ما أوصلك لأهلك » لا يدرى إن كان المقصود الاستفهام أو التعجب .

٨ ـ العطف على المتضايفين نحو : « ذهب إلى أبناء زيد وعمرو » هل عطف عمرو على الأبناء أو على زيد ؟

٩ ـ احتمالات معنى اللّام نحو : « اشتريت ضيعة لزيد » هل اشتراها من أجل زيد أو من زيد ؟

١٠ ـ احتمالات تعليق الجار والمجرور نحو : « مات زيد مجاهدًا فى سبيل وطنه » هل مات فى سبيل وطنه أو كان مجاهدًا فى سبيل وطنه ؟

١١ ـ احتمال المفعولية والظرفية نحو : « أحببت يوم الجمعة » فهل أحب اليوم أو أحب فى اليوم ؟

١٢ ـ احتمال المفعولية والمصاحبة نحو : « أحببت سلمى وقدوم الربيع » فهل وقع الحب على قدوم الربيع أو فى قدوم الربيع .

بمثل هذه التراكيب أيضًا تستطيع لغة الإعلام أن تتفادى الوضوح المؤدى إلى التورط هربا إلى اللبس والتلاعب بالعبارات وكلنا سمع عن عبارة قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وما أثاره تنكير لفظ « أراض » فى الترجمة العربية من لبس أدى إلى إجهاض القرار نفسه وحرمانه من طاقة حل المشكلة التى صيغ من أجلها .

ولغة الإعلام تخاطب سواد الشعب ومن ثم كان عليها أن تتوخى بعض المعايير فى أسلوبها حتى تكون مفهومة ومؤثرة وأوضح هذه المعايير البساطة والتكرار . فأما البساطة فهى البعد عن التأنق فى العبارات وعن الأساليب البيانية البعيدة التناول بحيث يستطيع كل من سمع العبارة أن يستوعب مضمونها أو أن يستوعب منها مضمونًا ما (إذ ليس من شأن السامع أن يفهم دائمًا ما أراده المتكلم على وجهه المطلوب) ، لأن عمل المتكلم فى برمجة صياغة العبارة يختلف عن عمل السامع فى تحليلها فالخطان غير متوازيين ولا يلزم من وحدة العبارة أن ننتهى إلى وحدة الفهم . والواضح أن تباين الأفهام مع العبارات البسيطة أقل منه مع العبارات المنمقة وهو مع الأسلوب الحقيقى أقل منه مع الأساليب المجازية . وهكذا تصبح البساطة مطلبًا لا تسامح فى شأنه من مطالب لغة الإعلام .

ومن الثابت أن التكرار والإلحاح على العبارة ذو أثر بين فى اعتقاد صـدقها حتى عندما يكون من البيّن أنها تخالف

المنطق وطبائع الأشياء . ولو أن إنسانًا مستقيم التفكير ألحت على سمعه أنباءُ الجن والشياطين وشطحات الصوفية وأهل الخطوة منهم كدعوى وجود ضريحين لشخص واحد فى مكانين متباعدين أو أن فلانًا يجد رزقه فى الخلوة تحت السجادة كل يوم لانتهى بأثر التكرار والإلحاح على هذه الدعاوى إلى اعتقاده إيَّاها .

والتكرار من حيل الإعلام الإسرائيلى المؤثرة . لقد عمدت إسرائيل إلى تسمية الأراضى العربية المحتلة باسم « الأراضى المدارة » حتى تبعها الإعلام الغربى فى هذه التسمية ثم تخفف الإعلام الإسرائيلى من الصفة واقتصر على استعمال الموصوف حتى أصبحت الأراضى العربية المحتلة تعرف فى الغرب باسم « الأراضى » فقط . ومثل ذلك أنها تسمى الفلسطينيين الذين لم يهاجروا من رقعتها قبل ١٩٦٧ م باسم « العرب الإسرائيليين » تجنبًا لذكر فلسطين أو الفلسطينيين وتبعها الإعلام الغربى فى ذلك بتأثير التكرار والإلحاح فى التكرار ومن ذلك أيضًا أن تسمى عدوانها حربًا وقائية وهكذا .

ولغة الإعلام تصطنع من أساليب المداورة والمغالطة ما تستطيع به أن تطمس ما لا ينفعها من الحقائق . فقد تعمد إلى ما يعرف بتسريب الأخبار الكاذبة بعد أن تحسن صوغها وتتقن اختلاقها لتكون صالحة للتصديق . وقد تفعل ذلك إيجابًا بدعوى حدوث مضمون الخبر أو سلبًا بنفى وقوعه لتثير بالنفى دواعى الإثبات . فلقد يحدث أن تريد دولة تخويف دولة أخرى مجاورة تكن لها العداوة فيكون سبيلها إلى ذلك أحد أمرين : فإمَّا أن تعمل على تسريب خبر يفيد أن عندها سلاحًا سرِّيًّا كالقنبلة الذرية أو الغازات السامة ... إلخ . وإمَّا أن تنفى هذا الخبر وإن لم يقله قبل النفى قائل وذلك أن تذيع فى وسائل إعلامها كلامًا مضمونه أن بعض الجهات زعمت أن الدولة المعنية تمتلك السلاح الفلانى وقد صرح مسئول بأن هذا الخبر غير دقيق . فحين يرمى الخبر بعدم الدقة يثبت له الصدق وإن انتفت الدقة .

وكذلك تعمد لغة الإعلام أحيانًا إلى المغالطة كالذى تفعله إسرائيل إذ تنكل

بالشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة بدعوى الحفاظ على الأمن فإذا سمع الناس أو قرأوا أن إسرائيل تسعى إلى حفظ الأمن لم يتساءلوا عن الأمن لمن يكون؟ أهو أمن الغاصب المعتدي أم أمن المقهور المعتدى عليه وإذا لم يكن هناك فحص للدعاوى على هذا النحو فلابد أن يصدق الناس الإعلام الإسرائيلي ومثل ذلك ما نراه من أن إسرائيل تسمى الضفة الغربية للأردن « يهودا والسامرة » ، وما تدعيه بتلفيق الحجج من أن طابا تدخل في حدود إقليم النقب ولعل أكبر أكذوبة إسرائيلية هي دعوى أن إسرائيل دولة ديموقراطية وهي دعوى للتغطية على حقيقة أنها دولة عنصرية .

ومن وسائل لغة الإعلام رواية ما يقوله الآخرون عن الجهة صاحبة الإعلام وتبالغ بعض الجهات في ذلك حتى يأتي إعلامها أحياناً بنتائج عكسية . فمن المقبول مثلاً أن يقال : إن المتحدث الرسمي لدولة (ب) قد أثنى على سياسة دولة (أ) أو أن الضيف العظيم الذي يزور دولة (أ) قد أثنى على ما شاهده من مظاهر التقدم .

ولكن دولة (أ) تهبط بمستوى أهميتها حين تذيع أن فلاناً الموظف بإدارة تحقيق الشخصية في دولة (ب) قد أثنى على طرق المحافظة على الأمن في دولة (أ) أو أن الشيخ فلاناً صاحب معهد تحفيظ القرآن في (ب) قد أثنى على المناهج التعليمية في (أ) .

ولقد توحي لغة الإعلام أو تومئ ، أو تعرض . فلقد توحي بالتعليق على مناورة بالذخيرة الحية وبدعوى نجاح المناورة وتحقيق أغراضها بأن الدولة مستعدة لمختلف الاحتمالات . ولقد تومئ بإشارة خفية إلى مساعدة قدمتها لدولة أخرى في أزمة عارضة إلى أنها دولة خيّرة ذات علاقات حسنة بالدول الأخرى وقد تعمد إلى التعريض بدول أخرى تقصر دون حظها من الديموقراطية بإعلانها التمسك بالديموقراطية أو تقصر دون حظها من التمسك بالشريعة الإسلامية بالمفاخرة بتمسكها بالشريعة أو تقصر دون حظها من الاكتفاء الذاتي في منتج ما بالإشارة إلى اكتفائها هي من هذا المنتج . والغاية التي تسعى إليها دولة

ما بهذا التعريض قد تكون إيجابية لتحسين صورتها أو سلبية لتشويه صورة الغير أو هما معًا . وهذه الوسائل الأسلوبية فى الإعلام قد يحسن استخدامها فتأتى بالنتائج المرجوة وقد يسوء فلا يكون منها إلّا الضرر .

* * *

هل تخاطب لغة الإعلام العقل أو تخاطب العاطفة . المعروف أن مخاطبة العقل تجرى فى مجريين :

(ا) الاعتماد على المسلمات التى تعدّ جزءا من تركيب العقل كإدراك العلاقة السببية بين شيئين أو إدراك العلاقة الكمية أو الزمانية أو المكانية ... إلخ .

(ب) الاعتماد على الأدلة المنطقية .

والحجة التى تنبنى على هذا الأساس العقلى إذا وضعت فى صورة قياس منطقى ما صارت منطقية صورية . أما إذا خلطت الحجة بين العنصر (أ) وبين أمور أخرى كالإغراء والتحذير والتمنى والترجى وغير ذلك من الأساليب الإنشائية فإنها تتحول إلى دليل خطابى . فإذا تحول الأسلوب عن نهجه هذا إلى أن يكون شاعريًّا فى طابعه أو تحريضيًّا خالصًا فإنه يخاطب العاطفة مثال ذلك ما تصطنعه وسائل الإعلام من الأناشيد الحماسية والإشادة بالأمجاد .

إذا عرفنا هـذا فهمنا أن لغة الإعلام تخاطب العقل حينًا والعاطفة أحيانًا وأكثر ما يكون اتجاهها إلى العاطفة . انظر فيما تعرضه وسائل الإعلام من أنواع الفنون كالأناشيد والتمثيليات والبرامج الوطنية ... إلخ تجد ذلك يتجه أساسًا إلى شحذ العواطف . ثم انظر إلى برامج التوعية والبرامج الثقافية والتوثيقية ، تراها تخاطب العقول وتضيف إلى حصيلة المعلومات .

والإعلام فى أحسن صوره تأليف للقلوب واستدعاءٌ لمودة الجماهير . ولكن هـذا التأليف وذلك الاستدعاءُ ينبغى لهما أن يكونا بعيدين عن التدخل فى حرية إرادة الجماهير بواسطة المطالبة بأمر ما ولعل الفارق الأكبر بين الإعلام والإعلان أن المعلن يمكن له أن يجرؤ بمطالبتك بشراء سلعة ما غير مكتف بتحسينها فى نظرك أما وسيلة الإعلام فقصارى ما تبلغه أن تحسّن أمرًا ما فى نظرك دون أن تطالبك

باعتناق فكرة معينة وشر الإعلام ما لجأ إلى لغة الإعلان لأن لغة الإعلان متهمة حتى تظهر براءتها ولكن لغة الإعلام بالعكس بريئة حتى تظهر إدانتها .

وربما كانت لغة الإعلام فى كثير من الحالات بديلًا من التصرفات العملية غير المستطاعة؛ فلقد يحدث أن تتخطى دولة ما حدود الشرعية فتعتدى على جهة أضعف منها صديقة لدولة أخرى فلا تجد الدولة الأخرى من وسائل الردع ما ترد به هذا العدوان أو ترد عليه؛ فتعمد إلى الشجب والإدانة والاحتجاج والاستنكار والشكوى وغير ذلك من الوسائل التى لا تجر عليها موقفًا عمليًا خطرًا أو غير مقبول فى مسرح السياسة الدولية . مثال ذلك موقف الدول العربية من أحداث مثل ضرب المفاعل العراقى والغارة على لبنان والبطش بالشعب الفلسطينى فى فلسطين المحتلة وغير ذلك من العربدة الإسرائيلية ؛ فإذا لم تستطع الدول العربية المبعثرة النوايا والجهود أن ترد بالإيجاب على هذه الوقائع عمدت إلى الشجب والشكوى للهيئات الدولية وجعلت ذلك بديلًا للعمل العربى المشترك الذى صيرته الفرقة أمرًا مستحيلا .

* * *

ولغة الإعلام فى طابعها الاجتماعى أشبه بالمحاضرة منها بالمناظرة ذلك بأن مصدرها واحد ومورِدها متعدد ، فهى لغة جهة رسمية بعينها إذ تخاطب أسماع السواد أو أبصارهم . ويصدق هذا الطابع على لغة الإعلام حتى حين تكون ندوة إذاعية أو تليفزيونية أو حديثًا صحفيًا مصدره طائفة من أصحاب الرأى إذ يتناولون موضوعًا واحدًا بالشرح والتعليق فتكون وحدة الموضوع وحدة للمصدر الإعلامى وإن تعدد المعلقون ولكن هذا الموضوع الواحد يتجه إلى الملايين من أبناء الشعب وإلى غيرهم ممن تصل إليه هذه الوسيلة الإعلامية . وهذا الطابع الأحادى المصدر يعطى لغة الإعلام وظيفة توحيد الفكر والشعور والوجدان فى سواد الشعب ويجعل الناس صفًا واحدًا وراء قيادتهم إلّا من ظفرت به منهم وسائل إعلام جهة أخرى. وهذا ما سوف نشير إليه بعد قليل .

ولغة الإعلام تبرير لمواقف النفس ، واتهام لمواقف الغير ومن ثم تكون دائمًا محتملة للصدق والكذب إذ لا يعقل أن تكون مواقف جهة ما صوابًا دائمًا ومواقف جهة أخرى خطأ على طول الخط ؛ وإنما يخلط الناس عملًا صالحًا وآخر سيئًا وتلك سنة السلوك الإنسانى الذى لا عصمة له من الزلل . وكما يتجنب الأفراد أن يطلع الناس على سلوكهم فيعمدون إلى أن يقدموا للناس صورًا ذهنية حسنة تنوب عن حقائق ذواتهم تسعى الدول أن تحسن من صور شخصياتها الاعتبارية ؛ فتخفى من نواياها ما تخفى وتستر ما ساء من أعمالها ثم تذيع بوسائل إعلامها ما كان حسنًا من جوانب سياساتها . وهكذا يبدو الناس والدول فى الأذهان على هيئة صور ذهنية محسنة ولو اطلع كل فرد أو دولة على ما أخفاه عنه فرد آخر أو دولة أخرى لفسدت الحياة الاجتماعية ؛ ولم يعد من الممكن أن يطمئن كل إلى كل . أما كيف يمكن تحسين هذه الصور الذهنية للأفراد فبالكتمان والبوح بحسب الظروف إن شئت فقل : بالنفاق الاجتماعى للأفراد ثم للدول بواسطة لغة الإعلام أو النفاق على المستوى السياسى الدولى . . . .

* * *

لقد شهد العالم فى العقود الأخيرة ثورة جامحة فى العلم والتكنولوجيا وانعكس ذلك على وسائل الإعلام من حيث قدرتها على التبليغ واكتساحها لحواجز الزمان والمكان . يصدق ذلك على الصحافة ، كما يصدق على الإذاعة والتليفزيون والفيديو والسينما والمسرح والأغانى والصور ، والملصقات والتماثيل وماعسى أن يكون وسيلة ما من وسائل التبليغ الأخرى . فأمّا الصحافة فقد شهد هذا العصر طباعة الصحيفة الواحدة فى عدد من المدن فى وقت واحد كما يحدث لصحيفتى الأهرام والشرق الأوسط. وأما الإذاعة فقد ألغت الحدود وسيادة الدولة وجماركها واقتحمت على الناس مضاجعهم فى كل مكان من العالم ولم يعد شرط التبليغ من خلالها إلّا تقويتها وتوجيهها الوجهة المطلوبة .وأمّا التليفزيون فقد أضاف إلى الصوت الصورة الملونة ويسعى إلى جعلها مجسمة . ولقد استطاع الفيديو أن يجعل من التليفزيون

وسيلة خاصة وقد قصدت منه الدولة أن يكون وسيلة عامة وبذا أصبح التليفزيون وسيلة محتملة للإعلام المعاكس وللفساد والإفساد فى مختلف المستويات. وتشاركه السينما هذا الاحتمال ذلك ما يكون من تخطى هذه الوسائل لحاجز المكان. أمّا تخطى حاجز الزمان فيتم من خلال طباعة الصحيفة وشرائط الكاسيت والفيديو والفيلم السينمائى إذ يمكن الاحتفاظ بهذه الوسائل على مدار الزمن فتضيف إلى قيمتها الإعلامية قيمة أخرى وثائقية .

وهذا التطور فى تكنولوجيا وسائل الإعلام أدى إلى نتيجتين خطيرتين :

١ – صعوبة السيطرة الإعلامية على الجبهة الداخلية فى كل دولة .

٢ – إمكان نشوب الحرب الدعائية كالتى أطلق عليها ذات مرة « الحرب البادرة » وقد نشبت بين الدولتين العظميين وقامت على ما أطلقت عليه السياسة الأمريكية « حافة الحرب » أو « سياسة الحافة » .

وقد ترتب على العنصر الأول بالفعل أن تنتشر الأفكار الشيوعية فى العالم وأن تبدو روسيا فى نظر البعض أملاً لطلاب العدالة الاجتماعية بعد أن حسَّنت وسائل إعلامها صورتها وعرضتها على الشعوب فى صورة طيبة . أمّا العنصر الثانى فيتمثل خطره فى أن الحرب الباردة قد تتحول عن برودتها لأن ردود الفعل لاتقاس ولا تضبط . وأكبر دليل على ذلك ما حدث فى عام ١٩٦٧م من تصريحات غير محسوبة قصد بها مجرد الدعاية ولكنها أدت إلى كارثة ما زلنا نطعم ثمراتها المرة .

تلك هى لغة الإعلام سم وترياق ، صدق ونفاق ، نصر وعدوان ، جمع وتشتيت، ولها بعد كل ذلك ما لغيرها من أنواع النشاط اللغوى فهى تحتمل الصحة والخطأ ، والجمال والقبح ، ومخاطبة العقل أو مخاطبة العاطفة والوجدان ، ثم تبوح وتكتم وقد تكتم إذ تبوح وباختصار هى الإنسان نفسه بخيره وشره .

تمام حسان
عضو المجمع

اللغة والنحو فى فكر الفارابى الفيلسوف

للدكتور عبد الكريم خليفة

أبو نصر هو محمد بن محمد بن طَرْخَان الفارابى الفيلسوف ، وسمى الفارابى نسبة إلى مدينة فاراب من حواضر مدن الترك وراء نهر سيحون قريبة من كاشغر إحدى المدن العظام فى تخوم الصين [1] . وكان مولده فى فاراب حوالى سنة ٢٥٩ ه ونشأ وترعرع وقضى وقتا غير قصير فيها . وتشير الروايات التى بين أيدينا إلى أن الحياة العلمية كانت مزدهرة فى هذه المدينة ، شأنها فى ذلك شأن بقية مراكز الإشعاع الثقافى والعلمى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وعلى امتداد دار الإسلام من أواسط آسيا شرقاً إلى الأندلس وحاضرتها قرطبة فى أطراف أوربا غربا .

وتحدثنا الروايات أن أبا نصر قد عاصر فى فاراب هذه لغويين مشهورين هما : إسحاق بن إبراهيم الفارابى (ت . ٣٥٠ ه) صاحب ديوان الأدب والجوهرى (ت ٣٨٦ ه) صاحب الصحاح . ويولى الأستاذ الجليل ، إبراهيم مدكور فى بحثه القيم « الفارابى والمصطلح الفلسفى (٢) أهمية خاصة لهذه البيئة الأولى فى التكوين اللغوى للفارابى الفيلسوف . وعندما رحل إلى بغداد كان فى حوالى الخمسين عاماً من عمره ، وكانت بغداد إذ ذاك حاضرة الدنيا ومركز العلم والحضارة ولا شك أن أبا نصر كان له حظ وافر فى هذه الأوساط العلمية . . . . وإنَّ عنايته بالعربية وعلومها قادته ولا شك إلى الاتصال بأوساط النحاة واللغويين .

(*) ألقى البحث فى الجلسة الخامسة ليوم السبت ٢٧ / ٢ / ١٩٨٨ م .

(١) انظر : وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٥٣ – ١٥٧ .

(٢) انظر : الفارابى فى الذكرى الألفية ، ص ٢٢ .

ويحدثنا ابن أبى أصيبعة ، أن الفارابى قد اتصل بابن السراج (ت ٣١٦ هـ) وأنه كان يقرأ عليه النحو ويقرئه المنطق . وتشير المعلومات التى بين أيدينا إلى أن وصوله إلى بغداد كان ما بين عامى ٣٠٦ هـ و ٣٠٨ هـ . . . . ثم رحل إلى حلب والتقى بالأمير سيف الدولة الحمدانى سنة ٣٣٤ هـ ، وكان بلاطه موئل كبار العلماء والأدباء والشعراء . . . وتنبئنا الأخبار بأنه رحل معه إلى دمشق . وتوفى أبو نصر ، رحمه الله ، فى رجب سنة ٣٣٩ هـ كما تشير معظم الروايات[1] .

ونحن نشارك الأستاذ مدكور بأن أبا نصر الفارابى لم يلق ما يستحقه من البحث والدراسة فى جوانب فكره الخصب ، وأن ابن سينا وابن رشد قد طغيا عليه وحجبا توجيه الاهتمام إلى دراسة فكره وفلسفته ، والآثار التى تركها فى الفكر الإسلامى بخاصة والفكر العالمى بعامة ، ونود أن نضيف إلى ذلك بأن حيفاً قد لحقه أيضاً فى العصر الحديث حيث قاد الوهم بعض الباحثين إلى الوقوع فى اللبس بين أبى نصر الفارابى الفيلسوف وبين إسحاق بن إبراهيم الفارابى اللغوى صاحب ديوان الأدب الذى أشرنا إليه سابقاً . . . . . وربما كانت المعاصرة والعلاقة العلمية بينهما فى فاراب ، والانتساب إلى المدينة ذاتها ، سبب هذا اللبس .

وكان للتكوين اللغوى أثر مهم فى حياة الفارابى العلمية والفكرية وإنَّ تمكنه من العربية[2] لغةً ونحواً واهتمامه الواضح فى دراسة النحو على شيوخ النحاة سواءٌ أكان ذلك فى فاراب أم فى بغداد ، فضلا عن مجالس سيف الدولة الحمدانى فى حلب ، قد أدى به فى كل ذلك إلى صياغة ما نستطيع أن نسميه نظرية متكاملة تتناول اللغة من حيث هى لغة بجوانبها المختلفة ، فمنها ما يمس الألفاظ وأحوالها التى

(١) انظر : ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ٦٠٣ — ٦٠٩ .

(٢) انظر : وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٥٣ — ١٥٧ .

تشترك فيها جميع الأمم ومنها مايمسّ النحو من حيث قواعده وقوانينه التى تنظم الألفاظ والتراكيب ومنا ما يمسّ الأصوات والحروف . . . وينتقل منها إلى صياغة نظرية كلية فى تحديد علاقة اللغة بالفكر .

ونحن لا نهدف فى هذا البحث المتواضع أن ندرس أصول هذه النظرية عند الفارابى والمصادر التى إستلهما فى تحديد نظرية اللغوية ، ولكننا نزيد أن نوجّه الاهتمام إلى أهمية دراسة الجانب اللغوى بعامة والنحوى بخاصة فى فكر الفارابى الفيلسوف . فقد شهدت الدراسات اللغوية والنحوية ازدهارا بلغ الذروة ، بل وحد النضوج فى القرنين الرابع والخامس الهجريين . فالحديث عن « علم اللغة » وعن « علم النحو » وعن الأصوات والتجويد فى نطقها ، قد سبق الفارابى الفيلسوف بمدة طويلة . . . وكان الخليل بن أحمد فيما أثبته تلميذه سيبويه فى « الكتاب » باع طويل فى تحديد هذه العلوم ووضع أصولها فى العربية .

وكما شغل اللغويون والنحاة فى القرن الرابع الهجرى فى دراسة اللغة بألفاظها ونحوها وصرفها وشواهدها على مختلف المستويات العلمية والتعليمية ، فقد شغل أيضاً الفلاسفة والمفكرون بالقضية اللغوية من حيث مفهومها العام الذى يتجاوز لساناً ما يعنيه إلى ما هو مشترك فى ألسنة جميع الأمم . وهذا ما نجده منذ وقت مبكر عند فيلسوفنا الفارابى وكذلك عند إخوان الصفاء وخلان الوفاء فى رسائلهم فضلا عن مفكرى وفلاسفة القرنين الخامس والسادس الهجريين أمثال ابن سينا وابن حزم وابن طفيل وابن رشد وابن ماجه والشهرستانى وغيرهم .

وقد احتلت القضية اللغة المكانة الأولى فى تقسيم العلوم عند الفارابى . وهذا ما نجده مثلا فى كتابه الذى سمّاه . « إحصاء العلوم » . فجعل هذا الكتاب فى خمسه فصول ، وكان الفصل الأول فى علم اللسان وأجزائه ويليه فى الأهمية الفصل الثانى فى « علم المنطق » وهو ما اشتهر به وكان من شيوخه الأوائل .

وقد حدّد الفارابى قصده فقال : « قصدنا فى هذا الكتاب أن نحصى العلوم المشهورة علما علما ، ونعرّف جمل ما يشتمل كل واحد منها ، وأجزاء كل ما له منها أجزاء ، وجمل ما فى كل واحد من أجزائه ، ونجعله فى خمسة فصول. . . »[2]

فمن الواضح أنه يهدف إلى إحصاء من ناحية ومن ناحية أخرى إلى تبيان مراتبها وفق منهج معين ، ولا أدلّ على ذلك من تأكيده المستمر فى بحوثه عن العلاقة العضوية بين علم اللسان من جهة وعلم المنطق من جهة أخرى وعلاقتهما المتسلسلة بالعلوم الأخرى وفق مراتبها .

ونلاحظ أن الفارابى قد تجاوز فى مفهومه « علم اللسان » اللغات الخاصة بكل أمة على حده ، إلى الحديث عن علم شامل تشترك فى أصوله جميع اللغات إذ يقول : « وعلم اللسان عند كل أمة ينقسم سبعة أجزاء عظمى : علم الألفاظ المفردة ، وعلم الألفاظ المركبة ، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة ، وعلم قوانين تصحيح الكتابة : وعلم قوانين تصحيح القراءة وعلم قوانين الأشعار[2] ويرى الفارابى أن علم اللسان هذا يكون فى جملة على ضربين : أحدهما حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما ، وعلم ما يدّل عليه شيءٌ منها ، والثانى علم قوانين تلك الألفاظ[3] .

ثم يقف الفارابى عند تحديد مفهوم مصطلح « القوانين » فيضع له تعريفاً شاملا ، يفسح فيه المجال كى « تأتى أى القوانين ، على جميع الأشياء التى هى موضوعة للصناعة أو على أكثرها . . . وفى قوله : « أو على أكثرها ...[4] »

(١) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٥٩ .

(١) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٥٧ .

(٢) انظر : المصدر ذاته .

(٣) انظر : المصدر ذاته .

يحتاط فيه لتفسير الشاذ عن القواعد اللغوية . . فالقوانين فى كل صناعة ، على حد تعبير الفارابى هى أقاويل كلية أى جامعة ينحصر فى كل واحد منها أشياء كثيرة مما تشتمل عليه تلك الصناعة وحدها حتى تأتى على جميع الأشياء التى هى موضوعة للصناعة أو على أكثرها [1] .

ويحـرص الفارابى على تحـديد مصطلحاته العلمية ، فنجده يحدد مفهوم « القوانين » بأنها « الأقاويل الكلية » . . . . وذلك من أجل أن ينبه إلى تطور معنى مفهوم « القوانين » . . . فقد كان القدماء يسمون كلّ آلة عملت لامتحان ما عسى أن يكون الحسّ قد غلط فيه – من كمية جسم أو كيفيته أو غير ذلك مثل الشاقول والبركار والمسطرة والموازين ، قوانين . ويسمون أيضا جوامع الحساب وجداول النجوم قوانين ، والكتب المختصرة التى جعلت تذاكير الكتب الطويلة ، قوانين... [2]

ونجد الفارابى ؛ بعد أن يجدد مفهوم « القوانين » بمعناه الإصطلاحى الذى يستخدمه هو ، نجده ينتقل إلى تحديد الغايات النفعية من استخلاص هذه القوانين أو الأقاويل العامة ؛ فهى على حدّ تعبيره معّدة إما ليحاط بها ما هو من تلك الصناعة لئلا يدخل فيها ما ليس منها أو يشذ عنها ما هو منها ، وإما ليمتحن بها مـا لا يؤْمَن أنْ يكون قد غلط فيها غالط ، وإما ليسهل بها تعلم ماتحتوى عليه الصناعة وحفظها [3] .

وبعد هذه التحديدات الضرورية ، نستطيع أن نتحرّى الملامح العامة لِبُنْيَةِ ما يمكن أن نسميه نظرية الفارابى فى اللغة والنحو وعلاقة اللغة بالفكر ...

يرى الفارابى أن الألفاظ الدالة فى لسان كل أمة ضربان : مفرد ومركب . فالمفرد كالبياض والسواد والإنسان والحيوان .

---

(١) انظر : المصدر ذاته .

(٢) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٥٨ .

(٣) انظر : إحصاء العلوم ص ٥٧ .

(٤) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٥٨ – ٥٩ .

والمركب كقولنا : الإنسان حيوان ، وعمر أبيض ... والمفردة منها ما هي ألقاب أعيان ، مثل : زيد وعمرو ، ومنها ما يدل على أجناس الأشياء وأنواعها مثل : الإنسان والفرس والحيوان والبياض والسواد . والمفردة الدالة على الأجناس والأنواع ، منها أسماء ، ومنها كلم ، ومنها أدوات . ويلحق الأسماء والكلم التذكير والتأنيث والتوحيد والتثنية والجمع ويلحق الكلم الأزمان وهى الماضى والحاضر والمستقبل[1] ولاشك أن المنهج الذى اتبعه الفارابى ، منهج سليم ، فهو إذ يتحدث عن نظرية عامة بعلم اللسان ، فإنه يأتى بأمثلته وشواهده من اللغة العربية ، النظرية العامة لعلم اللسان . هذا وتدل الروايات التى بين أيدينا أن أبا نصر كان يحسن عدداً من اللغات[2] .

يقوم الفارابى الفيلسوف بتحديد الأجزاء العظمى التى ينقسم إليها علم اللسان عند كلّ أمة من الأمم . وأول هذه الأجزاء هو « علم الألفاظ المفردة الدالة » ويحتوى على علم ما تدل عليه لفظة من الألفاظ المفردة الدالة على أجناس الأشياء وأنواعها وحفظها وروايتها كلها ، الخاص بذلك اللسان والدخيل فيه ، والغريب عنه والمشهور عند جميعهم[3] .

وثانى هذه الأجزاء ، علم الألفاظ المركبة وهو علم الأقاويل التى تصادف مركبة عند تلك الأمة ، وهى التى صنفها خطباؤها وشعراؤها ، ونطق بها بلغاؤها وفصحاؤها المشهورون ، وروايتها وحفظها ، طِوالًا كانت أو قصاراً موزونة كانت أو غير موزونة[4] .

وثالث هذه الأجزاء علم قوانين الألفاظ المفردة . ومما تجدر ملاحظته هو أن الفارابى يضع فى بحثه هذا أصول ما نسميه بعلم الصوتيات إذ يقول : « وعلم قوانين الألفاظ المفردة يفحص أولا فى الحروف المعجمة ، عن عددها ، ومن أين يخرج

(١) انظر : وفيات الأعيان ، ج ٥ ص ١٥٣ .
(٢) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٥٩ .
(٣) انظر : إحصاء العلوم ، ص ٦٠ .
(٤) انظر : إحصاء العلوم ص ٦٠

كل واحـد منها فى آلات التصويت ، وعن المصوّت منها ، وعما يتركب منها فى ذلك اللسان وعما لايتركب ، وعن أقل ما يتركب منها حتى يحدث عنها لفظة دالة ، أكثر ما يتركب وعن الحروف الثابتة التى لا تتبدل فى بنية اللفظ عند لواحق الألفاظ من تثنية وجمع وتذكير وتأنيث واشتقاق وغير ذلك ، وعن الحروف التى بها يكون تغاير الألفاظ عند اللواحق ، وعن الحروف التى تندغم عندما تتلاقى ... (١)

وهكذا يستمر الفارابى الفيلسوف فى استقصائه الأجزاء التى أشار إليها ،ويتوقف عند « علم قوانين الألفاظ عندما تركب » فيأتى هذا العـلم أولاً على إحصـاء حالٍ من أحوال الأسماء الموحدة المتصرفة التى يلحقها فى كل حالٍ طرفٌ ما من أطراف الأسماء ، ثم يعطى مثال ذلك فى الأسماء المثناة والمجموعة إلى أن يستوعب الأحوال التى يتبدل فيها على الكلم أطرافها التى جعلت لها ، ثم يعرف الأسماء التى تتصرف فى بعض الأطراف ، وفى أيّها تنصرف وفى أيها لا تنصرف ، ثم يعرف الأسماء التى كل واحد منها مبنى على طرف واحد فقط. وأيها مبنى على أى طرف ... (٢)

ثم يتحدث عن « الأدوات » فى هذا الباب وعن الألفاظ التى يشك فى أمرها ، هل هى أدوات أو أسماء أو كلم ..

وفى حديثه عما يسميه علم قوانين الألفاظ عندما تركب ، يبدأ الفارابى الفيلسوف بصياغة نظرة متكاملة لما يمكن أن نطلق عليه « علم النحو العام » : أنه لايتحدث عن نحو لغة معينة ولكنه يتحدث عن علم عام يشمل جميع الألسنة. ولذا نراه يقول : « وعلم قوانين الألفاظ عندما تركب ضربان : أحدهما يعطى قوانين أطراف الأسماء والكلم عندما تركب أو ترتب ، والثانى يعطى قوانين فى أحوال

---

(١) انظر : المصدر ذاته ، ص ٦٠ .

(٢) انظر : المصدر ذاته ، ص ٦٣ .

التركيب والترتيب نفسه ، كيف هي في ذلك اللسان[1] » . ومن الواضح أن الفارابي هنا يشير إلى الأصول العامة لعلم النحو وكذلك إلى أصول علم البلاغة والفصاحة . وفي هذا العلم الأخير يحدد أصوله بقوله : « وأما الضرب الذي يعطي قوانين التركيب نفسه ، فإنه يبين أولاً كيف تتركب الألفاظ وتترتب في ذلك اللسان ، وعلى كم ضرب حتى تصير أقاويل ، ثم يبين أيها هو التركيب والترتيب الأفصح في ذلك اللسان[2] .

ويشغل « علم النحو » مكانة بارزة في نظرة الفارابي إلى اللغة ، ولاشك أنه عني بالنحو عناية شديدة . ويؤكد في أماكن متعددة من أحاديثه على أهمية قوانين النحو من أجل تقويم اللسان وتجنب اللحن وفي حديثه عن علم النحو يقول :

« وعلم قوانين الأطراف المخصوص بعلم النحو ، فهو يعرف أن الأطراف إنما تكون أولًا للأسماء ثم للكلم ، وأن أطراف الأسماء منها ما يكون في أوائلها مثل ألف لام التعريف العربية ، أو ما قام مقامها في سائر الألسنة ، ومنها ما يكون في نهاياتها وهي الأطراف الأخيرة وتلك التي تسمى حروف الإعراب . وإن الكلم ليس لها أطراف أول وإنما لها أطراف أخيرة . والأطراف الأخيرة للأسماء والكلم هي في العربية مثل التنوينات الثلاثة والحركات الثلاثة والجزم وشيء آخر إن كان يستعمل في اللسان العربي طرفاً ...[3] وهكذا يستمر الفارابي في حديثه عن المبني والمعرب ، وما يَنْصرف وما لا يَنْصَرف ، وذلك في إطار قوانين كلية تشمل علم اللسان من حيث هو علم عام ، وإن كان يبحث عن أمثلته في اللغة العربية ، كما هو شأنه دائماً .

وتحتل القوانين والقواعد العامة مكانة أساسية في فلسفة الفارابي وتفكيره ، سواء أكان ذلك في العلوم أم في اللغات . ولاشك أن المنهج المنطقي يشكل الركيزة الأساسية في منهجه اللغوي والنحوي والعلمي ... وهو لايفتأ يردد هذه المقولة ، فلنستمع

---

(١) انظر : احصاء العلوم ، ص ٦١ .

(٢) انظر : احصاء العلوم ، ص ٦٤ .

(٣) انظر : احصاء العلوم ، ص ٦١ – ٦٢ .

إليه فى حديثه عن أهمية « علم قوانين المنطق » إذ يقول :

« وأما من زعم أن الدربة بالأقاويل والمخاطبات الجدلية أو الدربة بالتعاليم . مثل الهندسة والعدد تغنى عن علم قوانين المنطق أو تقوم مقامه وتفعل فعله ، وتعطى الإنسان القوة على امتحان كلّ قول ، وكلّ حجّة وكلّ رأى ، وتسدِّد الإنسان إلى الحق واليقين حتى لايغلط فى شىء من سائر العلوم أصلاً ، فهو مثل من زعم أن الدربة والإرتياض بحفظ الاشعار والخطب والاستكثار من روايتها يغنى فى تقويم اللسان وفى أن لايلحن الإنسان ، عن قوانين النحو ، ويقوم مقامها ويفعل فعلها وأنه يعطى الإنسان قوة يمتحن بها إعراب كل قول ، هل أصيب فيه أو لُحن . فالذى يليق أن يجاب به فى أمر النحو ها هنا هو الذى يجاب به فى أمر المنطق هناك »[1].

فمن الواضح أن الفارابى يعتبر وجود قواعد النحو ضرورة للتعليم واجتناب اللحن وذلك إلى جانب الدربة بحفظ الأشعار والخطب والاستكثار من روايتها ... ولاشك أن الفارابى قد استطاع أن ينفذ إلى العلاقة الجوهرية التى تربط النحو باللغة ... وينبه الفارابى إلى أن وجود من لا يلحن أصلاً من بين أبناء هذا اللسان أو ذاك من غير أن يكون قد علم شيئًا من قوانين النحو ، لا يقلل من أهمية قوانين النحو للعالم والمتعلم ...... إذ يقول :

« وكذلك قول من زعم أن المنطق فضل لا يُحتاج إليه ، إذ كان يمكن أن يوجد فى وقت ما إنسان كامل القريحة ، لا يخطىء الحق أصلاً من غير أن يكون قد علم شيئًا من قوانين المنطق ، كقول من زعم أن النحو فضل ، إذ قد يوجد فى الناس من لا يلحن أصلاً من غير أن يكون قد علم شيئاً من قوانين النحو : فإنّ الجواب عن القولين جميعاً جواب واحد »[2].

وبعد أن يضع الفارابى أصول علم النحو العام ، يتجه إلى ما يخصّ لسان كلّ أمة من الأمم ، فيقول :

---

(١) انظر : احصاء العلوم ص ٧٣ - ٧٤ .
(٢) انظر : احصاء العلوم ص ٧٤ .

« فعلم النحو فى كل لسان إنَّمَا ينظر فيما يخصّ لسان تلك الأُمة ، وفيما هو مشترك له ولغيره ، لا من حيث هو مشترك ،ولكن من حيث هو موجود فى لسانهم خاصة » .

فهذا هو الفرق بين نظر أهل النحو فى الأَلفاظ وبين نظر أَهل المنطق فيها : وهو أن النحو يعطى قوانين تخصّ أَلفاظ أُمة ما ، ويأْخذ ما هو مشترك لها ولغيرها ، لا من حيث هو مشترك ، بل من حيث هو موجود فى اللسان الذى عمل ذلك النحو له .

والمنطق فيما يعطى من قوانين الأَلفاظ ، إنَّما يعطى قوانين تشترك فيها أَلفاظ الأُمم ويأْخذها من حيث هى مشتركة ، ولا ينظر فى شىءٍ مما يخصُّ أَلفاظ أُمة ما ، بل يوصى أن يؤخذ ما يحتاج إليه ذلك عن أهل العلم بذلك اللسان (1) .

ويتحدث الفارابى عن الخصوصيات النحوية التى ينفرد بها لسان دون آخر ، ولكن ضمن الصورة الكلية الشاملة لمفهوم النحو فى جميع الأَلسنة إذ يقول : « وهاهنا أَحوال تخصُّ لساناً دون لسان . مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول به منصوب ، والمضاف لا يدخل فيه أَلف ولام التعريف . فإنَّ هذه وكثيرًا غيرها تخصُّ لسان العرب . وكذلك فى لسان كل أُمة أَحوال تخصّه » (2)

ولكن الفارابى ينظر إلى هذا التعدد فى خصوصيات كل لسان ضمن إطار الوحدة الكلية لعلم النحو الذى يشمل جميع الأَلسنة . إذ يقول :

« وما وقع فى علم النحو من أَشياء مشتركة لأَلفاظ الأُمم كلها فإنَّما أخذه أَهل النحو من حيث هو موجود فى ذلك اللسان الذى عمل النحو له ، كقول النحويين من العرب : إنَّ أقسام الكلام فى العربية اسم وفعل وحرف . وكقول نحوى اليونانيين : أَجزاء القول فى اليونانية اسم وكلم وأَداة . وهذه القسمة ليست توجد فى العربية فقط ، أو فى اليونانية فقط ، بل فى جميع الأَلسنة . وقد أَخذها نحويو العرب

---

(1) انظر : احصاء العلوم ص ٧٦ .

(2) انظر : احصاء العلوم ص ٧٦ .

على أنها فى العربية ، ونحويو اليونانيين على أنها فى اليونانية »[1] .

وإنَّ نظرة الفارابى الفلسفية لأصول علم النحو ، تثبت أن نحو العربية هو علم عربى أصيل ، قد انبثق بصورة أصيلة من اللغة العربية ذاتها ، « وإنما أخذه أهل النحو على حد تعبير الفارابى من حيث هو موجود فى ذلك اللسان الذى عمل النحوله» وبذلك يضع الفارابى الفيلسوف حدًّا لتلك الأقاويل التى تحاول أن تبحث عن الآثار اليونانية أو الهندية أو غيرها من اللغات فى نحو العربية ومن هنا تتضح لنا الصورة التى طالما اكتنفها الغموض والإبهام فى كثير من الأحيان حول أصالة النشأة العلمية للنحو فى العربية . فقد اكتمل هذا العلم على أيدى الخليل ابن أحمد وتلميذه سيبويه فى « الكتاب » . وترجع جذور نشأته . كما تقول الروايات التى بين أيدينا إلى أبى الأسود الدؤلى وإلى ، الإمام على رضى الله عنه بل وتذهب بعض الروايات إلى أبعد من ذلك .

وإنَّ نظرية الفارابى هذه فى أصالة علم العربية ،فى ألفاظها ونحوها وصرفها ونثرها وموزونها لا تنفى مطلقاً استخدام اللغويين والنحاة علم المنطق من حيث هو أداة التفكير الصحيح شأنهم فى ذلك شأن العلماء الآخرين فى شتى مجالات المعرفة . فقد استخدم النحاة المتأخرون المنطق كما استخدمه الفقهاء والمتكلمون والعلماء الآخرون فى بحوثهم العلمية والجدلية ... دون أن يمس ذلك موضوع أصالة تلك العلوم .

وقد أرسى الفارابى الفيلسوف دعامة العلاقة العضوية بين الفكر واللغة ، وجعل منها جزءاً أساسيًا من نظرته الكلية لعلم اللسان . فالمنطق على حدّ تعبيره « مشتق من النطق . وهذه اللفظة تقال عند القدماء على ثلاثة معان : أحدها القول الخارج بالصوت ، وهو الذى به تكون عبارة اللسان عما فى الضمير . والثانى : القول المركوز فى النفس ، وهو المعقولات التى تدل عليها الألفاظ . والثالث القوة النفسانية المفطورة فى الإنسان ، التى بها

---

(١) انظر : احصاء العلوم ، ص ٧٧ .

يميز التميز الخاص بالإنسان دون ما سواه من الحيوان . وهى التى بها يَحْصَل للإنسان المعقولات والعلوم والصنائع ، وبها تكون الروية ، وبها يميز بين الجميل والقبيح من الأفعال . وهى توجد لكل إنسان حتى فى الأطفال ، لكنها نزرة لم تبلغ بعد أن تفعل فعلها ... » (١) .

ومن هنا نجد أن الفارابي ما فتىء يؤكد العلاقة الحميمة بين المنطق بمفهومه العقلى وبين النطق والقول ، ويذهب فى ذلك إلى البحث فى الجذور التاريخية لمعانى هذه المصطلحات. ويعود إلى هذه الفكرة فى أماكن متعددة من مؤلفاته فى إحصاء العلوم وفى رسالته التنبيه على سبيل السعادة وغيرها .

ونحن نستطيع أن نستبين معالم فلسفته العقلية فى نظرته إلى علم اللسان ، لاسيما فى مجال المنطق الذى اشتهر به ، إذيقول :

« وأما موضوعات المنطق ، وهى التى فيها تُعطى القوانين ، فهى المعقولات من حيث تدل عليها الألفاظ ، والألفاظ من حيث هى دالة على المعقولات . وذلك أن الرأى إنما نصححه عند أنفسنا بأن نفكر ونروِّى ونقيمَ فى أنفسنا أموراً ومعقولات شأنها أن تصحح ذلك الرأى » (٢) .

ثم يواصل حديثه حيث يقول : « ... بل نحتاج فى كلّ رأى نلتمس تصحيحه إلى أمور ومعقولات محدودة ، وإلى أن تكون بعدد ما معلوم ، وعلى أحوال وتركيب ، وترتيب معلوم . وتلك ينبغى أن تكون حالها وألفاظها التى بها تكون العبارة عنها ، عند تصحيحها لدى غيرنا . فلذلك نضطر إلى قوانين تحوطنا فى المعقولات وفى العبارة عنها ، وتحرسنا من الغلط فيها . وكلتا هاتين أعنى المعقولات والأقاويل التى بها تكون العبارة عنها يسميها القدماء « النطق والقول » . فيسمون المعقولات القول ، والنطق الداخل المركوز فى النفس والذى يعبّر به عنها القول ... » (٣) .

(١) انظر : احصاء العلوم ، ص ٧٨ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ٧٤ .
(٣) المصدر ذاته ، ص ٧٤ .

ويعود الفارابي إلى هذه الفكرة الأساس في نظريته اللغوية فيقول في رسالته التنبيه على سبيل السعادة : « فاسم العقل قد يقع على إدراك الإنسان الشيء بذهنه ، وقد يقع على الشيء الذي به يكون إدراك الإنسان . وهذه الصناعة تفيد الخير والسعادة بهذين الأمرين جميعاً ، وبها يتقومان . والأمر الذي به يكون إدراك الإنسان – وهو أحد الأمرين اللذين يقع عليهما اسم العقل – قد جرت العادة من القدماء أن يسموه النطق . واسم النطق قد يقع أيضاً على التكلم والعبارة باللسان. وعلى هذا المعنى يدل اسم « النطق » عند الجمهور وهو المشهور من معنى الاسم .

وأما القدماء من أهل هذا العلم ، فإنّ هذا الاسم يقع عندهم على المعنيين جميعاً . والإنسان قد يصدق عليه أنه ناطق بالمعنيين جميعاً ؛ أعني من طريق أنه مُعبِّر ، وأن له الشيء الذي به يدرك ، غير أن القدماء يعنون بقولهم في الإنسان إنّه ناطق أنّ له الشيء الذي به يدرك ما قصد تعرفه »[1]

ويعزو الفارابي اللبس في فهم العلاقة بين المنطق وعلم اللسان بعامة وعلم النحو بخاصة ، إلى عدم تحديد مفهوم هذه المصطلحات في مسيرتها التاريخية ، وأن مفاهيمها قد اختلفت ، لاسيما فيما يتعلق بدلالات « النطق » « والمنطق » « والقول » « والأقاويل »... إذ يقول :

« ولما كان اسم النطق والمنطق ، قد يقع على العبارة باللسان ، ظن كثير من الناس أن هذه الصناعة قصدها أن تفيد الإنسان المعرفة بصواب العبارة عن الشيء والقوة على صواب العبارة . وليس ذلك كذلك . بل الصناعة التي تفيد العلم بصواب العبارة والقدرة عليه هي صناعة النحو . وسبب الغلط في ذلك هو مشاركة المقصود بصناعة النحو المقصود بهذه الصناعة في الاسم فقط . فإنّ كليهما يسمى باسم المنطق غير أن المقصود في هذه الصناعة من المعنيين اللذين يدل عليهما اسم المنطق هو أحدهما دون الآخر »[2] .

---

(١) رسالة التنبية على سبيل السعادة ، ص ٢٢٩ .

(٢) المصدر ذاته ، ص ٢٣٠ .

ثم يعود الفارابي إلى توضيح العلاقة بين النحو والمنطق بمفهومه العقلي الذي وضع تعاليمه ونهّج مسالكه وقرّب موارده إلى المتعلمين . وهو في ذلك لا يخرج عن القواعد التي أصّلها في فهم علم النحو . يقول أبو نصر الفيلسوف :

« ... لكن بين صناعة النحو وبين صناعة المنطق تشابه ما ، وهو أن صناعة النحو تفيد العلم بصواب ما ننطق به ، والقوة على الصواب منه بحسب عادة أهل لسان ما ، وصناعة المنطق تفيد العلم بصواب ما يُعْقَل والقدرة على اقتناء الصواب فيما يعقل . وكما أنّ صناعة النحو تقوّم اللسان حتى لا يلفظ إلّا بصواب ما جرت به عادة أهل لسان ما ، كذلك[*] صناعة المنطق ، تقوّم الذهن حتى لا يعقل إلّا الصواب من كلّ شيء . وبالجملة فإن نسبة صناعة النحو إلى الألفاظ هي كنسبة[*] صناعة المنطق إلى المعقولات »[1] .

ويخلص الفارابي الفيلسوف من هذا العرض إلى تأكيد التشابه بين المنطق والنحو ، ولكنهما مختلفان ولا يدخل أحدهما في الآخر . يقول أبو نصر : « فهذا تشابه ما بينهما فإمّا أن تكون أحداهما هي الأُخرى ، أو تكون أحداهما داخلة في الأُخرى ، فلا »[2] .

وتتميز نظرة الفارابي الفيلسوف إلى اللغة ، بالشمول والوحدة الكلية من خلال الأجزاء السبعة العظمى التي رأى أن علم اللسان عند كلّ أُمة من الأُمم ينقسم إليها . أنه ينظر إلى اللغة باعتبارها وحدة متكاملة . ويستكمل هذه الوحدة بحديثه عن علم قوانين تصحيح الكتابة وعلم قوانين تصحيح القراءة وعلم قوانين الأشعار . ففي نظره أن علم قوانين الكتابة يميز أولا ما لا يكتب في السطور من حروفهم وما يكتب ، ثم يبين فيما يكتب في السطور كيف سبيله أن يكتب . وكذلك فإن علم قوانين تصحيح القراءة يعرف مواضع النقط والعلامات التي تُجْعل عندهم ، لما

(*) انظر : التنبية على سبيل السعادة ، ص ٢٣٠.
(١) المصدر ذاته .

لا يكتب فى السطور من حروفهم ومايكتب والعلامات التى تميز بين الحروف المشتركة ، والعلامات التى تُجْعَل للحروف التى إذا تلاقت اندغم بعضها فى بعض .. الخ .

وأخيرًا يتحدث الفارابى الفيلسوف عن « علم الأشعار » وبعبارة أخرى عن الموزون فى اللغة ، فيقول :

« وعلم الأشعار على الجهة التى تشاكل علم اللسان ثلاثة أجزاء : أحدها إحصاء الأوزان المستعملة فى أشعارهم ، بسيطة كانت الأوزان أو مركبة ، ثم إحصاء تركيبات الحروف المعجمة التى تحصل عن صنف صنف منها ، ووزن وزن من أوزانهم . وهى التى تعرف عند العرب بالأسباب والأوتاد ، وعند اليونانيين بالمقاطع والأرجل .... الخ والجزء الثانى النظر فى نهايات الأبيات فى وزن وزن : أيما منها عندهم على وجه واحد ، وأيما منها على وجوه كثيرة . ومن هذه أيها التام وأيها الزائد وأيها الناقص ... إلخ والجزء الثالث يفحص عما يصح أن يستعمل فى الأشعار من الألفاظ عندهم ، مما ليس يصح أن يستعمل فى القول الذى ليس بشعر ... »(1) .

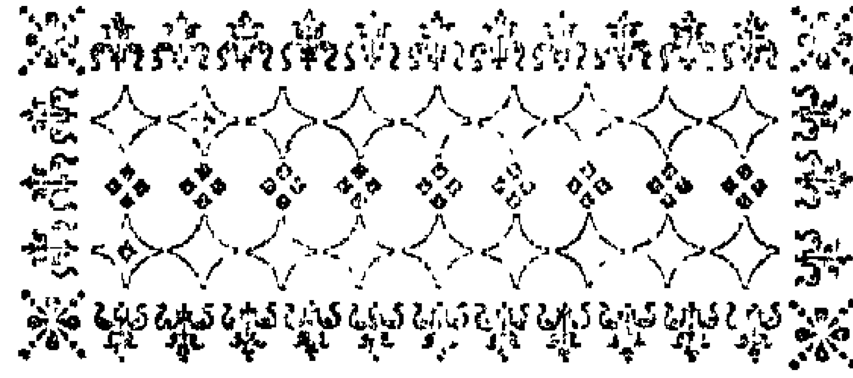
والخلاصة ، فإننا نجد أنفسنا أمام نظرية لغوية متكاملة وضع الفارابى الفيلسوف الخطوط الرئيسية لبنيتها الأساسية . فقد تحدث عن « علم اللسان » العام وعن أصوله العملية التى تشترك فيه ألسنة الأمم المختلفة . ونظر إلى اللغة نظرة كلية ومتكاملة . وإن هذه العمومية التى رآها فى بنية علم اللسان العام قد وجدت طريقها فى منهجه العلمى عندما تحدث عن الأجزاء السبعة العظمى التى رأى أن علم اللسان ينقسم إليها . وتوقف وقفة متأنية وعميقة عند « علم النحو » سواء ما كان منه عاما ومشتركا بين ألسنة الأمم المختلفة أم ما كان نحو لسان من الألسنة لأمة من الأمم . وكان تأكيده العلاقة العضوية بين اللغة والفكر وبين الألفاظ ومدلولاتها سمة مميزة لنظريته اللغوية ، وربما

(1) انظر احياء العلوم ، ص ٦٤ — ٦٥ .

لا نعدو الصواب إذا قلنا ، إننا نلمس عنده أصول النظرية الحديثة التي مؤداها أن الإنسان يفكر من خلال اللغة ، وأن وضوح اللغة دليل على وضوح الفكرة وبالتالي فإن سلامة اللغة ودقة التعبير ترتبطان ارتباطا وثيقاً بسلامة التفكير .

وكان الفارابي في كل ذلك يبحث عن أمثلته في اللغة العربية ويشير أيضاً إلى نظائرها في اللغة اليونانية من أجل توضيح الفكرة وتقريبها إلى أذهان المتعلمين .

عبد الكريم خليفة
عضو المجمع من الأردن



مصادر البحث

ابن أبى أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى المعروف بابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق نزار رضا ، بيروت .

إبراهيم مدكور :الفارابى والمصطلح الفلسفى ، الذكرى الألفية لوفاته ، القاهرة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

ابن خلكان : أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، ج ١ ـ ٨ ، بيروت ، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

الفارابى : أبو نصر محمد بن محمد بن طَرْخان الفارابى ، إحصاء العلوم ، تحقيق عثمان أمين ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

الفارابى : أبو نصر محمد بن محمد بن طَرْخان الفارابى ، رسالة التنبيه على سبيل السعادة ، تحقيق سحبان خليفات ، عمان ، ١٩٨٧ م .

الفارابى : أبو نصر محمد بن طَرْخان الفارابى ، رسالتان فلسفيتان ، تحقيق جعفر آل ياسين ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م .

الشهرستانى : الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ، الملل والنحل ، مصر ١٣٨٤ هـ .

لغة الوثيقة الدبلوماسية فى مغرب الأمس
بين التأثير والتأثر بالنسبة للغات الأخرى

للدكتور عبد الهادى التازى

لقد ظلّت اللُّغة العربية هى اللُّغة الرَّسمية الوحيدة فى ديار المغرب منذ أن احتضن المغاربة الدِّين الإسلامى . . .

وهكذا كان البدء بالتعريب يعطى الأَولوية ، حيث وجدنا أن الدُّول الحاكمة فى المغرب تعتمد اللُّغة العربية فى دواوينها ومراسلاتها الدولية وفى سائر الأَجهزة التابعة لما نسميه اليوم بالإدارة المركزية .

وبهذا حافظ المغرب بضراوة على الحرف العربى ولم يرض بديلاً به طوال تاريخه الطويل . . . . .

وليس معنى هذا أَن المغرب كان غير قدير على أَن يتوفر على جهاز للترجمة يساعده على ما يرد عليه ، كما يساعده على ما يصدر منه ، إن كلنا يعرف أنه لم يَخْلُ عصر من العُصور دون ما أَن يسجل أَسماء عدد من التراجمة الذين كانوا يتوفَّرون على لغات أُخرى .

لقد شاهدنا أَن حركة الترجمة على العهد الموحدى كانت من أَهم الحركات التى عرفتها الإمبراطورية المغربية ، وقد عرفنا من خلال الوثائق الدبلوماسية التى يحتفظ بها أَرشيف الدولة فى بيزة مثلاً عن عدد من أُسماء الشخصيات التى كانت تهتمّ بالتعريب من أَمثال حسن بن أَبى على ، وعثمان ابن أَبى بكر ، وأَحمد بن تميم . . . ومن الطريف أَن نجد أَن الترجمان لا يوظف من قبل الموحدين إلا إذا زُكى من قبل الجهة

(*) أُلقى البحث فى الجلسة الخامسة ليوم السبت ٢٧ / ٢ / ١٩٨٨ م .

الأُخرى التى يتكلم لغتها ، على نحو ما نعرفه اليوم من شهادات الإمتحان ! هذا إلى لائحة التراجمة الذين عُرِفُوا كذلك بأعيانهم وأسمائهم فى عهد بنى مرين من أمثال عبد الحق الترجمانى وأبى العباس بن الكماد ، ومسعود ترجمان أبى الحسن وعمر ابن العجوز على ما يعرفه الذين يهتمُّون بالتَّاريخ الدولى للمملكة المغربية . . . .

وقد علمنا عن بعض الملوك المغاربة ممن كانوا أنفسهم يتكلمون لغات أجنبية من أمثال السُّلطان محمد ، البرتغالى الذى كان يتقن اللُّغةالبرتغالية ويشيعها فى حاشيته ، وأمثال السُّلطان عبد المالك السعدى الذى يعتبر الملك المغربى الوحيد الذى وقع بعض مراسلاته بحروف لاتينية ، لقد كان يتقن الإسبانية ، ويكتبها بسلالة كما يتقن الإيطالية والتّركية والأَرمينية . . . إلى جانب التراجمة المتخصصين فى المهنة ، وعددهم كثير فى البلاط المغربى وفيهم من يحسن العربية من الأَجانب . . . ولابد أن نذكر بهذا الصدد تشجيع البّلاط السَّعدى لنشر الكتب التى تعـالج قضايا الترجمة على نحو ما نرى فى (الشُّذور الذَّهبية والقطاع الأَحمدية فى اللُّغة التُّركية) المؤَلَّف بأَمر الحكومة المغربية . . .

ورأينا على العهد العـلوى طائفة من السفـراء الذين كانوا يقضـون الشُّهور الطّوال فى البلاد الأُوربيـة مفاوضين محاورين ، كما سمعنا عن أسماء عدد من التّراجمة سواء منهم الذين تمكنوا من اللُّغات الأُوربية بوسائلهم وطرقهم ، أو الذين درسوها فى أوربا نفسها وعادوا يعملون فى جهاز الدَّولة . . وجميع ذلك يعبر عن إدراك الدَّولة لضرورة التفتح على اللُّغات الأُخرى والإستفادة من المباشرة فى التعامل مع الأَجنبى بالقدر الذى تدعو إليه الحاجة .

وهل نغفل أن جلّ سفراء الدولة العلوية إلى الخارج كانوا يعرفون لغة البلاد التى اعتُمِدُوا فيها ، كُلا أو بعضاً ، بالرغم من أنهم كانوا يصحبون فى أكثر الأَحيان بترجمان من أجل التثبت حتّى لايقعوا فى أخطاءٍ قـد

تضر بمصالح البلاد على نحو ما رأينا أيام السعديين وفى العهد العلوى الأول ..

وقد سجل التاريخ الدبلوماسي للمغرب أن أحد سفراء السلطان مولاى إسماعيل لدى شارل الثانى ملك انجلترا كان يقول الشعر باللغة الإنجليزية . . !

لكن اعتماد الدبلوماسية المغربية على اللغة العربية كان قضية مبدأ يتخذه المغرب شعاراً للتعبير عن هويته الأولى والتأكيد على اختياره للغة . القرآن .

* * *

وهكذا حرصت الدبلوماسية المغربية على اعتماد اللغة العربية فى مخاطباتها وفى معاهداتها ، وفى الكلمات التى كانت تلقيها أمام رؤساء الممالك والدول الأجنبية وقد قرأنا منذ بداية أيام المرابطين (453 = 1060) عن خطابات يوسف بن تاشفين لملك قشتالة باللغة العربية على ما نعرفه جميعاً عندما استجاب السلطان يوسف ابن تاشفين لاستنجاد أهل الأندلس .

كما سمعنا فى بداية أيام الموحدين (524 = 1129) عن السفير سيدراى أبو محمد بن وزير الذى كان يتعمد الحديث إلى المفاوض القشتالى باللغة العربية بالرغم من أنه ، أى السفير ، على علم باللغة القشتالية . .. !

كما سمعنا عن « المدارس المشتركة » بين المسلمين واليهود والنصارى فى الأندلس عن ترجمة ابن سمل الغرناطى وترجمة القرموطى المرسى[(1)] .

وحتى فى أحلك الظروف التى كانت تعيشها المملكة الخلافية رأينا أن المراسلات كانت تعتمد على اللغة العربية كأصل ومرجع . . . وأمامنا طائفة مهمة من الخطابات التى كانت توجه إلى الممالك والجمهوريات المسيحية فى العصر الوسيط ، كلّ تلك المراسلات إنما كانت باللغة العربية الفصحى . . . ! وأمامنا كذلك جملة من نصوص الإتفاقيات الدولية التى كانت تبرم

---

(١) ابن الخطيب . الإحاطة 405,3 – المقرى : نفح الطيب 130,4 .

بين المغرب وغيره من الأُمم باللغة العربية . . .

[[وثيقتان من العهد الموحدى]]

وقد استمرّ الحال على هذا المنوال فى عهـد المرينيين (657 = 1259) والوطاسيين (876 = 1471) فى المراسلات والمعاهدات وتشهد لذلك هذه الجملة الوافرة من الوثائق التى تزخر بهـا الأَرشيفات الأُوربية . . . .

وقد كان الأَمر كذلك على العهد السّعدى (918 = 1512) . . . حيث وجـدنا أن الحرف العـربى يُطوّع ليس فقط لِمُعالجة أدقّ المشاكل الدّولية التى كانت تُثار آنذاك ولكنه ، أىّ ! الحرف العربى ، يُطوّع لأَداء الرسائل بالرّموز السّرية التى كانت تخضع بدورها للإستعمال العـربى على نحو ما رأينا عندما توجهت سفارة مغربية برئاسة عبد الواحد عنوذ تفاتح بإسم السّلطان أحمد المنصور الذّهبى – الملكة إليزابث – فى شأْن تنظيم نزول عسكرى فى الهند الشرقية والغربية لإحكام الخناق على المصالح الإسبانية حتى تستجيب لتحرير الثغور المغربية المحتلة .

أَما على عهد الدّولة العلوية (1050 = 1640) فعلاوةً على ما نعرف ! أذكّر بنصوص العشرات من المعاهدات التى كانت تبرم بين المملكة المغربيـة وبين الممالك والجمهوريات الأُوربية والأَمريكية ، والتى كانت جميعها باللغة العربية وليس بغيرها . .

ويشعر الإنسان العربى بإعتزاز ما عليه من مزيد وهو يزور أَرشيف الدّولة فى كلّ القواعد الأُوربية بل وفى بعض المدن الثانوية . . . فى خزائن لندن ، وإسبانيا . . . والبرتغال وفرنسا . . . والدّول السكندنافية . . . فى جنوة – بيزة – البندقية – نابولى – والقواعد الأَفريقية – والولايات المتحدة الأَمريكية . .

إنّ المرء لَيَجِدُ نفسه أَمام وجود عربى مكثف يتمثل فى تلك الوثائق التى حرّرت بلغة الضاد من لدن كُتّاب مغاربة – كانوا فى وقتهم – مسئولين عن التّحرير فى جهاز الدّولة . . .

وأحرص بهذه المناسبة على أن أثير الإنتباه إلى أنّ هذا الموقف من المغرب كان له أثرٌ قويٌّ على احتفاظ المجموعة الدّولية التى كان يتعامل معها ، أقول على احتفاظِها دائماً بأُطُـرٍ تتعلَّمُ اللُّغة العرّبية فى مختلف المعاهد ، ومن هنا وجدنا أنَّ الباحثين عندما يتحدَّثون عن ازدهار الدِّرَاسات الإستشراقية فى العالم الغربى أو يتحدَّثون عن انتشار اللُّغـة العربية فى إفريقيا السّوْداء لا ينسون أن يذكروا أن من أبرز البواعث لذلك الشُّعُور بالحاجة لمعرفة ما كان يصدر إلى تلك الدُّول وتلك الممالك عن المغرب من مراسلات باللغة العربية ، وما يتردَّد عليهم من سفارات مغربية كانت تعتمد تلك اللغة فى حديثها ، ومعاملاتها . . .

ومن أجل كل ذلك فليس من الغريب أن نجد أن اللُّغة التى كان يخاطب بها المغربُ سائر الدُّول التى كان يتعامل معها ، كانت تعتمد أســاســاً على اللُّغة العربية ، ومن أجل ذلك أيضاً نرى أنّ المغرب لم يكن بِمُستعِدٍّ لقبول المراسـلات وقبول مناقشات بنود ، الإتفاقيات إذا لم تكن مكتوبة بِلسان عربىّ !

ومن هنا أيضاً وجدنا المغرب يرفض الرَّسائل الواردة عليه من أوربا بل ومن تركيا إذا لم تكن مصحوبة بترجمةٍ لِمضمونها .

وهكذا وجدنا سفيرًا مغربيّاً بِفرنسا يرفض أن يجلس على طاولة المفاوضات دون ما أن تحرر نصوص البنود باللغة العربية . . . كما وجدنا سفيرا آخر يرفض عام 1777 = 1191 أن يقبل ترجمةً بالعربية لرسالة بالفرنسية من لويس الرابع عشر دون ما أن تكون موقعة من طرف وزير الحربية على ما هو الحال فى الأَصل الفرنسى ، حتى تكون النسخة المعتمدة هى المكتوبة باللغة العربية !. وهكذا أيضاً وجدنا أنَّ الملك محمد الثالث يأْمر وزيره محمد بن أحمد الدكالى بإرجاع رسالةٍ محررة بالتركية إلى الوزير العثمانى محمد سلاحدار باشا

حتى يكتبها هذا باللغة العربية ، مع العلم أن البلاط الملكي بالمغرب – كما أسلفنا – يتوفّر على قلمٍ للترجمة .

« . . . فإن كنت – أبقاك الله – موجّهاً بعد مسطوراً فلْتجعل مضمونه كله تركيباً عربيًا مشهور لنقف إذ ذاك منه على المرام ونتلقى كل ما فى ضمنه بجميل الإسعاف والإكرام . . . »
على حدّ تعبير العاهل المغربى رحمه الله فى رسالته بتاريخ 24 جمادى الأُولى 1194 = 28 — 5 — 1780 .

أكثر من هذا نجد أن المغرب كان يحمل الذين يخاطبونه من الدّبلوماسيين الأجانب ، بما فى ذلك الذين يعيشون معه على أرضه ، كان يحملهم على مخاطبة الحكومة المغربية بلسانها الرّسمى أى باللغة العربية . . . وهكذا تكتظ الأرشيفات داخل المغرب وخارجها بآلاف الرّسائل الموجهـة من أعضاء السلك القنصلى والسياسى إلى الدّولة المغربية وكلها مكتوبة باللُّغة الرّسمية للدولة . .

إنّ المثليات الأجنبية بما فيها مثلية بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وأمريكا ، بل ودول أمريكا الجنوبية : فنزويلا – البرازيل – المكسيك – كواتيمالا – الأرجنتين . . . كانت لا تخلو جميعها من ترجمان ملحق بها لتحرير الرّسائل بالعربية . .

ولعلّ ما يكشف عن الصدى الواسع الذى كان للغة العربيـة فى مختلف جهات المملكة أن أحـدا من الملوك السّابقين واللاّحقين ، كيفما كان مصدره ومورده ، لم يسمح إطلاقاً بالإخلال بهذه اللُّغة التى كان المغاربة وما يزالون يعتبرونها ضمن مقدساتهم ، الأمر الذى فرض هذه اللُّغة أيضاً على الممالك والجمهوريات التى كانت على مرمى مجراته من المغرب فى حوض البحر المتوسط ، حيث نكتشف بكلّ سـهولة مئات الكلمات العربيـة التى انسابت عبر البحر لتدخل فى لسان القوم من إسبان وبرتغال وطليان وفرنسيس وانجليز . . ثم لتتحول من القارة الأوربيـة إلى أمريكا الشمالية والجنوبية حيث يشتغل الباحثون اليوم بجرد الكلمات العربية التى رحلت إلى القارة الأمريكية من المغرب عبر إسبانيا والبرتغال وغيرهما

وهنا سأتخلص للمعجم الدّبلوماسى الذى اعتكف هذه الأيّام على تخريجه من مختلف الوثائق التى تتصل بالتّاريخ الدّولى للمغرب .

لقد تجلّى لى وأنا أمارس كتابة ذلك التاريخ أن المكتبة العربية بحاجة ماسة إلى معرفة وجهٍ من وجوه التفاعل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ما كان يستحق أن نمرّ عليه مُرورا عابرا . . .

وستكون خطتى فى هذا المعجم أن أوزّعه على خمسة فصول : الأول : للمفردات العربيـة التى دخلت فى الإستعمال الدّولى للأمم الأخرى عبر الوثائق الدبلوماسية المغربية .

الثانى : المفردات الأجنبية التى دخلت الوثيقة الدبلوماسية المغربية . . .

الثالث : الطّرق والأساليب التى تأثر بها طرف مّا بالطرف الآخر .

الرابع : المصطلحات والألفاظ العامية المستعملة فى الوثيقة المغربية لتقريب الشّقة . .

الخامس : الأمثال والتعابير التى لها صبغة دولية . . . أو التى ترددت فيها أعلام جغرافية أو شخصيات أجنبية . . . وهكذا سنكوّن لأنفسنا فكرةً عن الموضوع أتمنّى أن تكون نواةً لوضع معجم يشمل البلاد العربية كلها .

وسيقتصر تدخّلى اليوم على :

استعراض نماذج من المفردات العربية التى وجدناها ترحل إلى الجهات الأخرى معتمدا فى هذا على ما يوجد فى الأرشيفات الأوربية والأمريكية وعلى المجاميع التى دُوّنت منذ التاريخ المبكّر حول هذه الوثائق ، كما اعتمد على المؤلفات التى صدرت حول ما يمكن أن يستخلص من تلك الوثائق . . .

فيما يتصل بهذا الفصل الأول أذكر أن من بين الكلمات التى عُرفت فى المجاميع الوثائقية :

الأمان . . .	Aman
الأمير	Emir
أمير البحر	Amiral
الأمين	Amine

Camphre	كافور
Alcol	الكحول
Amalgame	الملغم
Mastic	المصطكى
Mostaghil	المستغل
Zazir	الناظر
Anbare	العنبر
Algarade	الغارة
Algazelle	الغزال
Fez	فاس (الطربوش)
Alcove	القبة
Fondoq	فندق
Alcade	القاضى
Caide	القائد
La Gabelle	القبالة
Coton	القطن
Cafis	القفيز
Surriach	السرياق (الحبل)
Zeccha	السكة
Sultan	السلطان
Sumac	السماق (توع من التوابل)
Moscril	المشرف
Wali	الوالى

Albara	البَراءة
Barda	البردعة
Baraka	البركة
Burnos	البرنس
Drogman	ترجمان
Tenfid	التنفيذ
Tarif	التعريفة
Al Jabi	الجابى
La Jarre	الجرّة
Haik	الحايك
Alfa	الحلفاء
Halka	الحلقة
Khan	الخان
Magasin	المخزن
Mokhtaf	المخطاف
Assenal	دار الصناعة
Douane	الديوانة
Rotle	الرطل
Matzem	ما يلزم
Mamelouk	مملوك
Tartere	الدُّردى
Safran	الزعفران

وفيما يتصل بالفصل الثانى يمكن أن نقسمه حسب أصوله إلى قسمين : الأوّل الأصل الأروبى والثانى : الأَصل التركى أو الفارسى ففيما يتّصل ببعض المفردات التى هى من أصل أروبى :

الآرمادا	Armada
انجينيور	Ingenieur
البابور	Vapeur.
باصبورت	Pasport
باسَاجِير	Passagere
البنْديرة	Bandira
البوكَاطو	Avocat
بيلوط	Pilote
الكدش	"Calesa'
كانابّى	Canape
كنطرباند	Contrebande
الكشينة	Cuisine
الكورطوازية	La Courtoisie
الكومانية (المؤنة)	Camino
الكِيرة	Guerra
ميركانطى	Mercantil
النمره	Numero
النَورابل	Honorable
الصّاكة	Sacca
الغولف	Golf
الفابور	Faveur
الفريشكو	Rafriichisse Ment
الفنّيكة	Fanega
القرصال	Corsal
سوطا	Sota
الشمرير	Sambriro

وفى الكلمات التى ترجع لأَصلٍ تركىّ نذكر بعضها على النحو التالى ·

الإنكشارية : Les Jenissaires

بقشيش

الطبجية

الكاهية أو الكيخيا

المنجنيق

الصايجى

السنجق الراية

السفرجى

الجمرى

الياتاغان

اليولدلاش أو اليولظاش

ويحتوى الفصل الثالث المتعلّق بالمصطلحات والألفاظ العامية على جملة من الكلمات نذكر منها :

الإدالة : الحامية

الإمارة : الشفرة

الإقامة : الأدوات

التفكرة : التذكرة

«تهاود» معه فى الثمن

الجنس : الدّولة

حرّث : غرق

الحناطى ج حنطة : المهنة

خرّجْ بلادنا . . شكلْها .

خط اليد : التوقيع

الخفيف : الرصاص

الخوارجى الذى لا مبدأ له .

الرقّاص : ناقل البريد

زّزاً عليه : رغماً عنه .

الطاروق : المدفعية

الطاغية : رئيس الدولة

الطالوع : الفائدة النقدية

الطبلية : دراهم الخراج

الظهير : المرسوم الملكى

المصرية : البيت

المقدم

المزوار : النقيب

الموجب : شهادة اللفيف

الصقلبية : الحجرة

الضيف : الملك

العمارة : المركب الأسكول

العَشّار : الجابى

الغرارة . . . مكيال

الفرتونة : العاصفة البحرية

قلّب : فتّش

تسبّب : اتجر

ساقُطه : أرسله

الوجبة : الفرصة

وتحتفظ الوثيقة الدّبلوماسية فى المغرب القديم والحديث بكتابة الأرقام على الطريقة التى عرفت فى الموسوعات العالمية بإسم «الأرقام العربية» وكان من أقدم المخطوطات التى حملت هذه الأرقام المعروفة بالقلم الغبارى هى مخطوطة ابن الياسمين (ت 600) . . .

وقد كانت الرسائل الدبلوماسية تحمل التاريخ بالأرقام العربية فى الرسائل التى راحت إلى جان الثالث ملك البرتغال بتاريخ 24 صفر 932 . . .

ومن المعروف أن هذه الأرقام العربية نقلت إلى أروبا على مرحلتين أو ثلاث مراحل : مرة أولى مع سيلفستر الثانى عندما ورد على الأندلس والمغرب تحت إسم جيرير دوربياك . . .

ومرّةً ثانية عند بداية العهد الموحدى عندما كانت البعثات التجارية الأجنبية ترد على الموانئ المغربية لتختلط مع رجال الديوانة الموحدية وتستمد منها طريقة التّعامل على مايحكيه أولئك التجار أنفسهم . . .

على أنَّ هناك طابعاً آخر ميّز الوثيقة الدّبلوماسية المغربية : تلك اعتمادالتاريخ الهجرى كأساس لتاريخ المراسلات تعبيراً من الدّولة عن الهُوية الإسلامية للجهة التى تراسلها أو لم يكن هناك مانع أحياناً من أثبات التاريخ الميلادى الذى لم يكن بعيداً عن المغاربة وهم شعب فلّاح كما نعلم . . .

على أنَّ هناك ظاهرةً أخرى تميزت بها الوثيقة الدّولية فى المغرب تلك هى التّوقيعات والأختام التى تكوّن وحدها مادة فى علم السيجيلوغرافيا (La Sijillographie)

ومن الطّريف أن نجد هذه الأختام تحمل مرّةً آيةً أو حديثاً أو حكمةً . وربما بيتاً من الشّعر على ماندرى فى الأختام العلوية طوال أكثر من قرن ونصف من عهد محمد الثالث 1171 = 1757 إلى محمد الخامس . . .

لقد كان بيتاً من بردة الإمام البوصيرى رددت صداه القصور الملكية فى أروبا . . . وكان مصدر استفسار من الرئيس جورج واشنطون عندما وقعت عينه على الحرف العربى لأوّل مرة وهو يتلقّى نصوص التصديق على نصوص الإتّفاقية المغربية الأمريكية :

وَمَنْ تكُنْ برسول الله نُصْرتُه
إنْ تلقَه الأُسدُ فى آجامها تجم

ويجرّنا الحديث من التوقيعات والأختام إلى ماتضمنته الوثيقة الدّبلوماسية من تعابير خاصة تستدعى منّا الوقوف عندها . .

ولعلّ من الطريف أن نسمع عن أن المخاطبات الدبلوماسية المغربيـة ظلت إلى العهد القريب تحيّى ملوك ورُؤساءَ الدُّوَل بعبارة «السلام على مَن اتَّبَعَ الهُدَى» لقد حيّى بها محمد الثالث جورج واشنطون والإمبراطورة كاثرينا وسائر ملوك أوروبا بالرّغم مما كانت تثيره هذه العبارة التى استعملها الرّسول مع مخاطِبَيْه من كسرى فارس وهرقل الروم . . .

وقد كان من العبارات التى وردت فى بعض المراسلات والإتفاقيات الدّولية تلك العبارة التى تعتبر اليوم أساسًا من أسس القانون الدّولى ، ويتعلق الأمر بشرعية حماية الراية للبضاعة . . فقد صار من العبارات المردّدة : «البنديرة ضامنة» أى أن العَلَم يحمى مافى المركب!!

ومن العبارات التى استعملت فى الوثيقة الدّبلوماسية : «أعطاه المقدرة ليقوم بكذا» أى أعطاه الصلاحية أو التفويض أو سلّمه أوراق الإعتماد .

وقد وجدت بعض الرّسائل الموجهة لملوك أوروبا تستعمل عبارة ماتزال العامة إلى الآن تستعملها ـ على نحو مايستعملها الناس فى الجزيرة العربية : «والله إلاّ» كان كذا وكذا . . مع حذف كذا وكذا . .

وقد كان ممّا أثار انتباهى فى التعامل الدّولى للمغرب أن يُعبر عن وُصُول العلاقات بينه وبين غيره من الأمم درجةً عليا فى التّرابط والتّواصل . . . أن يعبر عن ذلك بعبارة عربية صميمة ، ألا وهى تهادى الصّقور والبزاة . . . وما يصحبها من أدوات دقيقة بالغة الغاية فى الدلالة على الرقة والتحضر والرفاة . . .

وإذا ماطرقنا باب المثل . . . فإننا سنقف على منجم من الأمثال التى تسجّل حدثًا أو تعبّر عن فكرة أو تؤدى معنى يرتبط بأمة مّا من المجموعة الدّولية أو بموقع جغرافى مّا من أطراف الدّنيا . . .

سأكتفى بالإشارة إلى بعض الأمثال تاركًا شرحها لوقت الحاجة :

إذا تخاوا الجنوس مابقى فى الغرب جلوس !

حالته كحالة فيرناندو !

رامى تلمسان جا يضرب الباكورة اخطأ الجنان !

فعايل الكَريك !

شروط الخزيرات . . .

الله يعبيك لمالطة . . لافرش لاغطا !

أدهى الناس ثلاثة : الإنجليز وصياد القُرب ومولاى العربى الدّرقاوى !

الأَلمان إذا دبر والنجليز إذا بحُر والفرانسيس إذا جذّر !

إنما يخاف الفيل من الفار ! !

إنَّ للمصالحة وقتاً ينبغى للحكيم حفظه !

خير الجهاد ما استطعته !

باتْ فى الحبس ولاتبات فى الكاغط ! !

التجار أَلسنة الزمان .

حج وداز على برقة ومابقت فيه مرقة !

حصدناهم بالمناجل !

الخدمة مع النصارى ولا الجلوس خسارة .

ذهب الحمار يطلب قرنين فراح بلا أذنين !

الرأس اللى مايدور كدية .

لاتكونشى روسى ! !

اللى ماعندوش العسل فى أَركانه يعملها فى لسانه !

ومَن لم يصانع فى أُمور كثيرة
* يضرّس بأَنيابٍ ويوطأ بمنسم !

تجمّع فيه كلُّ لِسنٍ وأمةٍ
* فمْا يُفهم الحُدَّاثَ إلا التراجم .

صحبة العلوج حرثة المروج .

فلوس النصارى تيمشيوا فى الضد والعناد .

وفلوس اليهود فى السبت والأَعياد .

وفلوس المسلمين فى الحج والجهاد .

العداوة ثابتة والصواب يكون !

علّق البنديرة ! !

القادم يُزار . . .

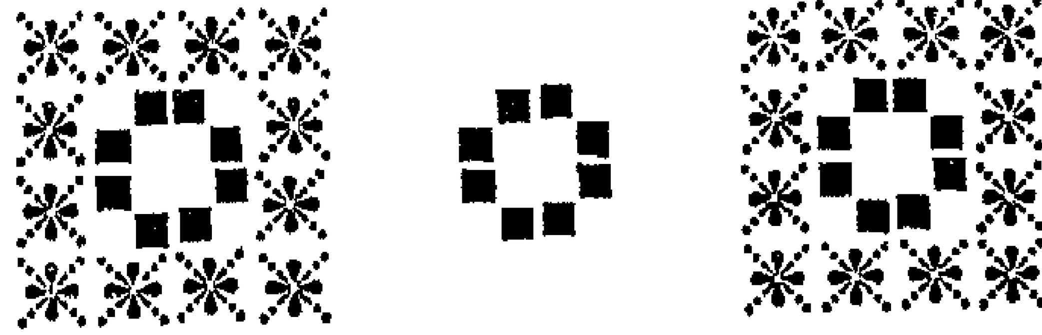
وأَخيراً فإِنَّ مما يدخل فى إطار ضرب المثل . . . مايتصل بفكرة عمليات «توأمة» المواقع مشرقها ومغربها حيث نجد عدداً من الأَعلام الجغرافية المعروفة بالمشرق تعطى لمواقع بالدّيار المغربية

تعبيراً عن التعلّق بالمكان ومّن يحلُّ ذلك المكان . . .

فنى المغرب هناك عدد من الأَماكن التى تحمل أسماء مثيلات لها فى المشرق ، وأكتفى هنا بذكر « القاهرة » التى يعرفها موقع معروف فى جنوب المغرب ، وهكذا فلِلمغرب قاهرته كما لِمِصر قاهرتها ...

هذه فقط رؤُوس أقلام للمعجم الذى أعده هذه الأَيَّام على هامش كتابى التاريخ الدبلوماسى للمغرب . ذلك المعجم الذى سبق لى أعطيته الإشارة إليـه بتاريخ 1986/11/10 فى مراسلاتى للمجامع التى أتشرف بالانتساب إليها وعلى رأسها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وذلك بمناسبة إثارتى لِكلمة « القرصلة والقرصنة . . .

عبد الهادى التـازى
عضو المجمع المراسل من المغرب



قصيدة "تحية ومودة وأسى" (*)

للدكتور إبراهيم السامرائي

سَعَيتُ بعدَ ثلاث أبتغي أَرَبي ... وقد تخيبُ المُنَى في سَعْيِ مُغتَرِبِ
وعُدْتُ بعدَ ثلاث أرتَجِي أمَلًا ... مُنىً ضروباً وألفافًا من الأَدَبِ
حُدِّثْتُ عن مَوردٍ عَذْبٍ غَرِضتُ له ... والعَذْبُ أَنفَسُ ما أَبغيه في طَلَبي
عَقَدْتُ في شامخِ الأُرْدُنِّ آصِرَتي ... وبِنْتُ عنه ، فلم أعدِمْ به نَسَبي
وفُزْت فيــه ، ولي أَهْلٌ جَعَلْتُ بهم ... وِقاءَ ما أَتَردَّى فيه من وَصَبِ
أَتعَبْتُ نَفْسي ، فلم أحمَدْ مسيرتَها ... وقد تَسَلَّقْتُ سَفْحَ الطَّودِ في تَعَبي
وقد دَرَجْتُ ، ودَأْبِي فيه في صَعَدٍ ... حتى فَطَنْتُ ، وسَعْيِي فيه في صَبَبِ
وقد صَرَفْتُ إلى «صنعاءَ» وافداتي ... وقِبْلَتي كل «نَجْمٍ» ثاقِبٍ «نَدِب»
وقلتُ : لابُدَّ في «صنعاءَ» لي رَحِمٌ ... جَذَّاء ، لم أَتَّخِذْ يوماً لها سَبَبي
قَصَدْتُها ، ورَمَيتُ الطَّرْفَ مُحتَسِباً ... أنْ أَلتقي البَلَدَ الثاوي على اللَّهَبِ
وعُدْتُ أَضيَعَ مأسورٍ ، وآسِرُهُ ... ذِئبُ النَّوَى ، يالَبُؤْسِ النازحِ الحَرِبِ
قد حيلَ بيني وبينَ الأَهل في بَلَدٍ ... سَمَا به كل مَعْدود من النُخَبِ

* * *

يا وَيْلَ بغدادَ من ظُلمٍ أَعَدَّ لــه ... ذو بِغضةٍ باتَ يُذكي النارَ في الحَطَبِ
يالخُسْرَ عانينَ راحوا يبتغونَ بنا ... ما يبتغي كلُّ مَسْعُور من الكَلَبِ
أَيَغْتَلِي كلُّ همّامٍ إلى السَّلَــبِ ... ويَخْلِطُ الأَفَنَ المرذولَ بالكَذِبِ !!
لا ، لن يَجيءَ إلى مارامَ من خَبَثٍ ... وكيفَ يَسْطيعُ مَشَّاءٌ إلى الغَلَبِ
قد أنكروا الخالصَ المأثورَ في الكُتُبِ ... أَوْ لا ، فكيف الذى من جارنا الجُنُبِ

* * *

(*) ألقيت في الجلسة الخامسة ليوم السبت ٢٧/٢/١٩٨٨ م

وَيْحَ النوى ، أخذتْنى أخذَ مُقْتسِرٍ ... وقد شَرتْنى ، وباعتْ بَيْعَ مُغْتَصِبِ
لا أكذبُ اللهَ ، لم أعدمْ بها غَرَضاً ... أنْ أسعفتْ بلقاءِ السادةِ النُّجُبِ

* * *

ياصاحبَ البيت معموراً تجودُ له ... ما دُمْتَ تَحرصُ حِرصَ الوالدِ الحَدِبِ
سَماحةً ثَرّةً قد رُحتَ تُرسِلُها ... عِلْماً فيعمُرُ ما تُعطيهِ مِن كَثَبِ
حَباكَ صفوةُ قومٍ كلُّهمْ قَمَرٌ ... مانوّروا فيه من إشعاعِنا العَجَبِ
مَشَوا إلى الكَلِمِ اللائى أضاءَ به ... نورُ « الكتاب » الذى أرْبَى على الكُتُبِ
تَحَلَّبوها فأَهدَتْ دَرَّ ساحة ... واستمرؤُوها فطابَتْ زُبْدةُ الحَلَبِ
وكانَ ما كانَ من نُعماهُ أصورةً ... وكانَ منه جَنَى مَعْسولةِ الرُّطَبِ

* * *

يا صاحبَ البيتِ ، إنّا أُمّةٌ شَقِيَتْ ... فى حاضرٍ يتشهّى عودةَ الحِقَبِ
أُنبيكَ أنّا أضعْنا مجدَ عامرةٍ ... كانت لأَسلافنا فى مَعْقِلٍ أَشِبِ
وأنّنى جئتُ أشدو بعضَ عارفةٍ ... عَلِقْتُ منه : ولم أسمعْ لمُحتطِبِ
فى جَمْعِكُمْ عَزَّ من جَمْعٍ تَألّفَهُ ... صَحْبٌ تَساموا عن المَزْهُوِّ بالرُّتَبِ
حَمَلتُمُ العِبْءَ ، بل حُزتُم به شَرَفاً ... عُقْبَى الذى جلَّ عن شكٍّ وعن رِيَبِ

* * *

إنَّ التى بتُّ من أحلامها قَلِقاً ... فى حاضرٍ تتَرَاماها يَدُ النُّوَبِ
سَعِدتُ فيها على مَرٍّ من الحِقَبِ ... ونِلْتُ منها ، وقد حَقَّقْتُ من أرَبى
مَشَتْ على الدهرِ ، بنتُ الدهرِ يَخطِبُها ... صِيدُ الرجال ، فكانَتْ زينةَ الخِطَبِ
واسْتَقْبَلَتْها ربوعٌ لاحدودَ لها ... وهى السماحةُ فى الآفاقِ والرُّحَبِ
وقد تَحَلّى بها مِن غيرِ آهلِها ... جَمْعُ الورَى ، وهى صَوْتُ الجَحْفَلِ اللَّجِبِ
حَوَتْ لئالئَ ، لم تُعرَفْ بعامرةٍ ... من اللُّغاتِ التى خَفَّتْ إلى الجشِبِ

ولم تَقِفْ عند هذا ،بل شَأَت عَدَدًا ... من المعارف فى الأَجواء والشُّهُبِ
زَكَتْ وطابَ لها عِرْقٌ تَكَفَّلَهـا ... بما غَـذَتْهُ مِن أُمٍّ بَرَّةٍ وأَبِ
صَحِبْتُها فَنَمَتْ فى صُحبتِى مِقَـةٌ ... مَشَتْ إلى كلِّ عِرْق غابرٍ تَرِبِ
لَزِمْتُه فَهَـدانى بعضُ صُحْبَتِـهِ ... إلى مكارم هذا الخالِصِ الذَّهَبِ
وَجَدْتُه فوجَدْتُ العِلْقَ يَنْفُسُـه ... أُشابةٌ حَفَلَتْ بالتِّبْرِ والحَصَبِ
ولم أَشِحْ عن حَصاها ، جَلَّ عن شَبَةٍ ... بل جُلْتُ فيه ، وليس النبْعِ كالغَرَبِ
وقد يَشوقُكَ بعضُ السِّحْرِ فى حَجَرٍ ... كما تَرى الأَلَقَ المنضورَ فى خَشَبِ
وحُلْوُهُ حُلْوُ مااستَصْفَيتُ مِن مُلَحٍ ... فخَلِّ عناكَ بعيدًا شَهْدَةَ الضَّرَبِ
إنِّى لأَقْتَحِم الأَسرار فى شَظِفٍ ... من الأُوابدِ مِمّـا لُفَّ بالحُجُبِ

* * *

وقُلتُ : ها مِصْرُ قد عُدْنا وعادَ بنا ... ما ضِيمَ من حاضرٍ أَوفَى على الشَجَبِ
رُحْنا نَزُمُّ خَراباً باتَ ينقُضُنـا ... من القواعد ، بل رُحنا إلى صَخَبِ
كأنَّنا لم نَرِثْ من غابرٍ أَلَقـاً ... يبدو على ما أَضَعناه من الحَسَبِ
أَنَرتضِى أَنْ يسودَ الكفرُ فى بَلَدٍ ... أَسْرَى إليه نَبِيُّ العُجْمِ والعَرَبِ
يَسُومُنا الخَسْفَ لم نَثْأَرْ لمَظْلَمةٍ ... وقــد تَحَوَّلَ معمورٌ إلى خَرِبِ
لَهْفِى على الرَّبَواتِ الزُّهْرِ عَفَّرهـا ... دَمُ الشهادةِ مَطلولًا على التُّرُبِ
ويا رُبَى « القُدسِ » وافاكِ الرفاقُ بما ... يَزيدُ بِحَرًا على أَثوابِكِ القُشُبِ
حَمِدْتُ فيكِ الأُلَى اختاروا سِلاحَهُمْ ... « حجارةً » كَرُمَتْ كالسُّمْرِ والقُضُبِ
فــذاكَ أَجْدَى علينا من رُفَهْنِيةٍ ... إن كانَ كلُّ الذى نَبغيهِ فى الخُطَبِ
لم نَعْتَبِرْ بالذى يُرْوَى لنـا عَجَباً ... ما قيلَ من فَعَلاتِ الخُرَّدِ العُرُبِ
إنِّى لآنَفُ منَ بعضٍ تَخَطَّفَهمْ ... ما زانَهم فارتـمَوا فى نَشْوةِ الطَّرَبِ
وقد أَعانوا « بلَغْوٍ » لاغَناءَ به ... وذاكَ أَعظَمُ مِمَّنْ لاذَ بالهَرَبِ

لو أنّ قومى أفاقوا من عَمايتِهِمْ وقد تَداعَوا فثارَتْ سَوْرةُ الغَضَبِ
إذَنْ لآمَنْتُ أنّا أمّــةٌ فطَنَــتْ لِما يُحيقُ « بأقصاها » من الكُرَبِ

* * *

يا مِصْرُ ، يامِصْرُ أمَّ الوافدينَ إلى رِحابِ مجدِكِ من مَوروثِه الخَصِبِ
مَشَوا إليكِ ، وكُلٌّ يَجتَديكِ إلى « صَعيد » أرضِكِ بالأمجاد مُخْتَضِبِ
يَسْتَلْهِمونَ نَجيعَ التضحياتِ هُدىً بادى الشواهِدِ من آنى دَمٍ سَرِبِ
وحَسْبُهُمْ كلُّ شِبْرٍ جَلَّ مَعْلَمُهُ وبَيْضةُ المجدِ لم تَهْرَمْ ولمْ تَشِبِ

* * *

يا مِصْرُ إنْ هَزَّنى لُقْياكِ يأسِرُنى وقــد سَعَيتُ إليه سَعْىَ مُرْتَقِبِ
فقد وَقَفْتُ على أمرٍ وَجِعْتُ لــه ونالَ منّى ما قد نالَ من نَصَبى
وذاكَ أنَّ صِحاباً قــد عَرَفْتُهُمُ طَوَوا فرُحْتُ أُعانى أىَّ مُضْطَرَبِ
بِهِمْ غَنيتُ ، وقد حقّقْتُ نافلةً أنْ كانَ فى «رُفَقاء » الأمسِ مُطَّلَبى
طَوَوا ، وأمرىَ منهم أمْرُ مُحتَسِبٍ وبِنْتُ عنهم ، وصَبْرى صَبْرُ مُحْتَرِبِ
بَكَيْتُهم ، وبكائى زَفرةٌ صَعَدَتْ تهُدُّ من صَبْرٍ مُلْتاعٍ ومُلْتَهِبِ
وقد أسَوْتُ إلى جُرْحى ببعضِ أسًى عن بعض مُبْتَعِدٍ فى شَخْصِ مُقتَرِبِ
طَوَوا شُخوصاً ، وعندى مِن سَراوتِهِمْ كأنَّ منها ظِــلالًا قَطُّ لم تَغِبِ
لكنّنى رُحْتُ فى تَيْهاءَ مُظلِمــةٍ كأنّها البحرُ ذو التَّيّارِ والعَبَبِ
وبى تَعِـلَّةُ ما أُلقَى بِــهِ سَــعَةً أُغنّى بها فى وجود عابسٍ شَحِبِ

ابراهيم السامرائى
عضو المجمع المراسل من العراق

* * *

أثر الشئون الاجتماعية في خصائص اللغة وتطورها بوصفها أهم وسيلة للإعلام (*)

للدكتور علي عبد الواحد وافي

تتأثر اللغة في خصائصها وتطورها بعوامل كثيرة، يرجع أهمها إلى الشئون الاجتماعية، وهي التي تتمثل في حضارة الأمه، ونظمها، وعاداتها وتقاليدها، وعقائدها، ومظاهر نشاطها العملى والعقلى، وثقافتها العامة، واتجاهاتها الفكرية، ومناحي وجدانها ونزوعها ... وهلم جرا .... - وسنقصر بحثنا على هذا النوع من العوامل.

١ - فكلما اتسعت حضارة الأمة، وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها، ورقى تفكيرها، وتهذبت اتجاهاتها النفسية، نهضت لغتها، وسمت أساليبها، وتعددت فيها فنون القول، ودقت معانى مفرداتها القديمة، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة ... وهلم جرا. واللغة العربية أصدق شاهد على مانقول. فقد كان لانتقال العرب من همجية الجاهلية إلى حضارة الإسلام، ومن النطاق العربى الضيق الذى امتازت به حضارتهم فى عصر بنى أمية إلى الأفق العالمى الواسع الذى تحولوا إليه فى عصر بنى العباس، كان لهذين الانتقالين أجلُّ أثر فى نهضة لغتهم ورقى أساليبها واتساعها لمختلف فنون الأدب وشتى مسائل العلوم.

٢ - وانتقال الأمـة من البداوة إلى الحضارة يهذب لغتها، ويسمو بأساليبها ويوسـع نطاقها، ويزيل ماعسى أن يكون بها من خشونة، ويكسبها مرونة فى

(*) ألقى هذا البحث على مجلس المجمع يوم الأربعاء ٢٧ / ٢ / ١٩٨٨ م.

التعبير والدلالة . وإن موازنة بين حالة اللغة العربية فى عهد بداوة العرب قبل الإسلام وحالتها فى عهد حضارتهم الإسلامية أو بين ماكانت عليه عند أهل البادية فى عصر ما وما كانت عليه فى العصر نفسه فى الحضر لأصدق دليل على ما نقول وإن البدوى الذى لم يلهمه شيطانه فى مدحه للأمير أحسن من قوله :

أنت كالكلب فى حفاظك للعهـ
ـد وكالتيس فى قراع الخطوب

ثم أخذ يشبه مظاهر مجد الأمير بنظائرها عند الحيوان المستأنس وغيره هذا البدوى نفسه قد استطاعت قريحته ، بعد أن هذبتها حضارة بغداد ، أن تجود بمثل قولة :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

٣ - ومظاهر النشاط الاقتصادى تطبع اللغة كذلك بطابع خاص فى مفرداتها ومعانيها وأساليبها وتراكيبها . ومن ثم اختلفت مظاهر اللغة فى الأمم والمناطق تبعا لاختلافها فى نوع الإنتاج ، ونظم الاقتصاد ، وشئون الحياة المادية ، والمهنة السائدة (الزراعة ، الصناعة ، التجارة ، الصيد ، رعى الانعام . . . الخ) . وقد تؤثر هذه المظاهر فى أصوات اللغة نفسها . فقد يؤدى نوع العمل الذى يزاوله سكان منطقة ما إلى تشكيل أعضاء نطقهم فى صورة خاصة تتأثر بها مخارج الحروف ونبرات الألفاظ ومناهج التطور الصوتى .

٤ - واللغة مرآة ينعكس فيها كذلك ما يسير عليه الناطقون بها فى شئونهم الإجتماعية العامة . فعقائد الأمة وتقاليدها ، وما تخضع له من مبادئ فى نواحى السياسة والتشريع والقضاء والأخلاق والتربية وحياة الأسرة ، وميلها إلى الحرب أو جنوحها إلى السلم وما تعتنقه من نظم بصدد الموسيقى والنحت والرسم والتصوير والعمارة ، وسائر أنواع الفنون الجميلة . . . كل ذلك وما إليه يصبغ اللغة بصبغة خاصة فى جميع مظاهرها : فى الأصوات والمفردات والدلالة والقواعد والأساليب وهلم جرا . وإليك مثلا درجة القرابة التى تربط الفرد بكل من أسرة أبيه وأسرة أمه ، فإن الأمم التى تسير نظمها

الإجتماعية على إنزال هاتين الأُسرتين منزلة واحدة تقريبا فى درجة قرابتهما للفرد تطلق لغتها كلمة واحدة على كل من العم أو الخال oncle, uncle والعمـة والخالـة tante, aunt . وابن العم والعمة أو وابن الخال أو الخالة cousine وابنة العم أو العمة وأبنة الخال أو الخالة cousine .

على حين أن الأمم التى تفرق نظمها الاجتماعية بين هاتين الأُسرتين تختلف فى لغتها الكلمات الدالة على أفراد أسرة الأب عن الكلمات الدالة على أفراد أسرة الأُم : العم ، الخال ، العمة ، الخالة ، ابن العم ، ابن العمة ، ابن الخال ابن الخالة ، بنت العم ، بنت العمة ، بنت الخال ، بنت الخالة . . . . وإليك مثلا آخر مبلغ اتجاه الأُمة إلى مبادئ المساوة أو انحرافها نحو نظام الطبقات . فإن ما تسير عليه نظمها الإجتماعية بهذا الصدد يؤثر فى مختلف نواحى لغتها حتى فى ناحية القواعد . فبمخاطبة الفرد بضمير الجميع تعظيما له : (أرجو إن تتفضلوا . . .) وإجراء الخطاب فى صيغة الإخبار عن الغائب : (يتفضل سيدى . . .) ، كل ذلك وما إليه من أساليب التبجيل لا يبدو فى اللغة إلا حيث ينحرف الناس عن مبادئ المساواة وتكثر الفوارق بين الطبقات . ولذلك يعد تطور هذه الضمائر فى أُمة ما أصدق سجل لتطور اتجاهاتها فى هذه الشئون . فالصراع فى اللغة الفرنسية بين " tu " (أنت) و vous (أنتم) ، فى مخاطبة المفرد ، يمثل أصدق تمثيل مراحل الصراع بين روح المساواة ونظام الطبقات فى الشعب الفرنسى . فقد كانت الغلبة للضمير الأول فى العصور التى سادت فيها مبادئ المساواة ، وللضمير الثانى فى العصور التى وهنت فيها هذه المبادئ .

ومثل هذا يقال فى اللغة العربية . فقد كان العرب فى جاهليتهم من أكثر الشعوب ميلا إلى المساواة بين الأفراد ، ولذلك ساد فى خطابهم ضمير المفرد ، ولم تبد فى لغتهم مظاهر المبالغة فى التبجيل . وقد سار القرآن على هذه الطريقة حتى فى توجيه الخطاب إلى الله

عز وجل . ولكنهم لم يلبثوا بعد اتساع ملكهم ، واحتكاكهم بالأمم الأخرى وانغماسهم فى الترف ، ومحاكاتهم لأبهة الفرس وأساليبهم فى الحياة ، واتجاه خاصتهم وأغنيائهم إلى الترفع عن الدهماء وطبقات المستضعفين ، لم يلبثوا بعد هذا أن انحرفوا عن مبادئهم الأولى ، فانحرفت معهم أساليب لغتهم ، وساد فيها خطاب المفرد بضمير الجمع وإجراء الخطاب فى صيغة الإخبار عن الغائب ، ونفذت إليها ألقاب « الحضرة » و « الجناب » وما إلى ذلك .

٥ – وكثيرا ما ينجم عن اختلاف الناس فى طبقاتهم وفئاتهم اختلاف مدلول الكلمات وخروجها من معانيها الأولى . ويؤدى إلى ذلك ما يوجد بين الجماعات الناطقة باللغة الواحدة من فروق فى الخواص النفسية ، وفى شئون السياسة ، والاجتماع ، والثقافة ، والتربية ، ومناحى التفكير والوجدان ومستوى المعيشة ، وحياة الأسرة ، والتقاليد والعادات . . . . وما تزاوله كل طبقة من أعمال ، وتضطلع به من وظائف ، والآثار العميقة التى تتركها كل وظيفة ومهنة فى عقلية المشتغلين بها ، وحاجة أفراد كل طبقة إلى دقة التعبير وسرعته وإنشاء مصطلحات خاصة بصدد الأمور التى يكثر ورودها فى حياتهم وتستأثر بقسط كبير من انتباههم ، وما يلجئون إليه من استخدام مفردات فى غير ما وضعت له أو قصرها على بعض مدلولاتها للتعبير عن أمور تتصل بصناعاتهم وأعمالهم . . . .

وهلم جرا . فمن الواضح أن هذه الأمور وما إليها من شأنها أن تخرج بالكلمات عن مدلولاتها الأولى ، وتوجه معانيها فى كل طبقة وفى كل جماعة وجهة تختلف عن وجهتها عند غيرها .

٦ – وتتشكل اللغة كذلك بالشكل الذى يتفق مع اتجاهات الأمة العامة وتغلب الناحية المادية أو الأدبية على شئون حياتها . فاتجاه الانجليز مثلا إلى الناحية العملية قد صبغ لغتهم بصبغة مادية فى مفرداتها وتراكيبها حتى إنه ليقال فيها : « دفع – زيارة أو تحية أو شكرا او انتباها » .

وكيف أستطيع أن ادفع لك مقابل أياديك على ، وانفق وقتـه فى كيت وكيت » و « تربح الساعة أو تخسر .

" To pay visit, compliments, attention ". How can I pay you for all your goods " He spent his time in. The watch gains or loses.

بدلا من « أدى زيارة « و » وقدم تحية أو شكرا « و « أبدى انتباها » ولا أستطيع أن أرد لك مقابل أيا ديك على ، و « قضى وقته فى عمل ما » و « الساعة تقدم أو تؤخر » .

٧ــ وما يكون عليه الأفراد من حشمة وأدب فى شئونهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ينبعث كذلك صداه فى لغتهم ألفاظها وتراكيبها . فاللغة اللاتينية لا تستحيى أن تعبر عن العورات والأمــور المستهجنة والأعمال الواجب سترها بعبارات مكشوفة ، ولا أن تسميها بأسمائها الصريحة ، على حين أن اللغة العربية بعد الإسلام تتلمس أحسن الحيل وأدناها إلى الحشمة والأب فى التعبير عن هذه الشئون ، فتلجأ إلى المجاز فى اللفظ ، وتستبدل الكنايــة بصريح القول : القبل ، الدبر : قارب النساء ، لمس امرأته ، قضى حاجته . . . الخ ولقد كان لها بهذا الصدد فى ألفاظ القرآن الكريم وعباراته أسوة حسنة : « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » « وقد افضى بعضكم إلى بعض » . « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » ، ــ « فاعتزلوا النساء فى المحيض » و « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا » . . . .

وما إلى ذلك من كريم العبارات ونبيل الألفاظ . وما يبدو فى اللغة العربية بهذا الصدد يبدو مثله فى اللغات الأوربية الحديثة وخاصة الشمالية منها . وأكثرها تحرجا فى هذه الناحية اللغة الانجليزية . فالبطن مثلا لا يعبر عنه فى لغة التخاطب الانجليزية باسمه الصريح بل يطلق عليه فى الغالب ؛ the Stomarch (أى المعدة) ، وسراويل الرجل تطلق عليها أحيانا كلمة معناها الأصــلى » مالا يمكن التعبير عنه : Inexpressible وسراويل المرأة يطلق عليها كلمة معناها

الأصلى « الجمع أو التركيب combinaton وهلم جرا .

٨ - ويتطور مدلول الكلمة فى لغة ما تبعا لتطور الشئون الاجتماعية المحيطة بهذا المدلول . فكل تطور من هذا القبيل يتجه بمدلول الكلمة وجهة خاصة ، وينحرف به قليلا أو كثيرا عن أوضاعه الأولى . والأمثلة على ذلك تجل عن الحصر فى اللغة العربية وفى غيرها من اللغات . فكلمة « القطار » مثلا كانت تطلق فى الأصل على عدد من الإبل على نسق واحد تستخدم فى السفر وفى النقل ، ولكن تغير الآن مدلولها الأصلى تبعاً لتطور وسائل المواصلات ، فأصبحت تطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخارية . وكلمة « البريد » كانت تطلق على الدابة التى تحمل عليها الرسائل ، ثم تغير الآن مدلولها تبعا لتطور الطرق المستخدمة فى ايصال الرسائل ، فأصبحت تطلق على النظم والوسائل المتخذة لهذه الغاية فى العصر الحاضر ، وكلمة الريشة plume كانت تطلق على آلة الكتابة أيام كانت تتخذ من ريش الطيور ، ولكن تغير الآن مدلولها الأصلى تبعاً لتغير المادة المتخذة منها آلة الكتابة ، فاصبحت تطلق على قطعة من الحديد مشكلة فى صورة خاصة . وعبارة بنى الرجل على امرأته كانت تستخدم كناية عن دخوله بها ؛ لأن الشاب البدوى كان إذا تزوج يبنى له ولأهله خباءً جديدا ولكنها فقدت الآن معناها الأصلى لانقراض هذا النظام ، وإن كانت لا تزال تستخدم كناية عن الزفاف . وقد جرت العادة فى بعض العصور بفرنسا أن يقضى المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة مدة عقوبتهم فى أعمال التجديف على ظهر السفن الملكية ، ومن ثم جاءت عبارة envoyer aus galères وجاء وصف galérien ولكن تغير الآن مدلولها تبعا لتغير النظم المتصلة بهذه العقوبة ونوعها .

وكثرة استخدام الكلمة فى مدلول ما ، لحدوث ما يدعو إلى ذلك فى شئون الحياة الاجتماعية وما يتصل بها ، يجردها — مع

تقادم العهد– من مدلولها الأَصلى ويقصرها على الناحية التى كثر فيها استخدامها . فكثرة استخدام العام مثلاً فى بعض ما يدل عليه ، لسبب اجتماعى ما ، يزيل مع تقادم العهد عموم معناه ، ويقصر مدلوله على الحالات التى شاع فيها استعماله . ولدينا فى اللغة العربية وحدها آلاف من أَمثلة هذا النوع . فمن ذلك جميع المفردات التى كانت عامة المدلول ثم شاع استعمالها فى الإِسلام فى معان خاصة تتعلق بالعقائد أَو الشعائر أَو النظم الدينية : كالصلاة والحج والصوم والمؤمن والكافر والمنافق والركوع والسجود ... وهلم جرا . فالصلاة مثلاً معناها فى الأَصل الدعاء ثم شاع استعمالها فى الإِسلام فى العبادة المعروفة لاشتمالها على مظهر من مظاهر الدعاء ، حتى أصبحت لا تنصرف عند إطلاقها إلى غير هذا المعنى ،والحج معناه فى الاصل قصد الشىء والاتجاه إليه ، ثم شاع استعماله فى قصد البيت الحرام ،حتى أَصبح مدلوله الحقيقى مقصوراً على هذه الشعيرة ... وقس على ذلك جميع أَفراد هذه الطائفة . ومن ذلك أَيضًا كلمة « الرث » ، فقد كانت تطلق على الخسيس من كل شىء ، ثم قصر مدلولها على الخسيس مما يفرش أو يلبس لكثرة استخدامها فى هاتين الطائفتين ، وكلمة « المُدَام » فهى فى الأَصل كل ما سكن ودام ، ثم شاع استعمالها فى الخمر لدوامها فى الدن أَو لأَنه يغلى عليها حتى تسكن ، فأَصبحت لا تنصرف إلى غير هذا المعنى .

وكثرة استخدام الخاص فى معان عامة عن طريق التوسع لسبب اجتماعى ما تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم . فمن ذلك مثلا فى اللغة العربية كلمات : البأْس والورد والرائد والنجعة.. وهلم جرا . فالبأْس فى الأَصل الحرب . ثم كثر استخدامه فى كل شدة فاكتسب من هذا الاستخدام عموم معناه ؛ وأَصل الورد إتيان الماء وحده ، ثم صار اتيان كل شىء وردًا لكثيرة استخدامه فى هذا المعنى العام ؛ والرائد فى الأَصل طالب الكلأ ثم صار طالب كل حاجة رائدا ؛ والنجعة فى الأَصل طلب الغيث ، ثم عممت فى الاستخدام فأَصبح كل طلب انتجاعاً . ومن ذلك فى اللغة الفرنسية كلمة salaire فقد كان معناها فى الأَصل– كما تدل على ذلك بنيتها

ما يصرف للجندى من نقود فى نظير مايحتاج إليه من ملح الطعام ، ثم شاع استعمالها فى كل أُجرة حتى نسى معناها الأصلى ؛ وكلمة arriver : فقد كانت تدل فى الأصل ـ كما تشير إلى ذلك بنيتها ـ عَلَى الوصول إلى الشاطئ ، ثم شاع استعمالها فى كل وصول ، فاستقر معناها على هذا الوضع العام .

وكثرة استخدام الكلمة فى معنى مجازى لسبب اجتماعى يؤدى غالباً إلى انقراض معناها الحقيقى وحلول هذا المعنى المجازى محله . فمن ذلك مثلاً فى اللغة العربية كلمات المجد والأَفَن والوغى والغفران والعقيقة ... وهلم جرا . فالمجد معناه فى الأَصل امتلاءُ بطن الدابة من العلف ، ثم كثر استخدامه مجازًا فى الامتلاء بالكرم حتى انقرض معناه الأَصلى وأَصبح حقيقة فى هذا المعنى المجازى . ولهذا السبب نفسه انتقل معنى « الأَفَنَ » من قلة لبن الناقة إلى نقص العقل ؛ وانتقل معنى « الوغى » من اختلاط الأَصوات فى الحرب إلى الحرب نفسها ؛ ومعنى « الغفر » و « الغفران » من الستر إلى الصفح عن الذنوب ؛ ومعنى « العقيقة » من الشعر الذى يخرج على الولد من بطن أُمه إلى ما يذبح عنه حلق ذلك الشعر .

واستخدام الكلمة فى فن ما بمعنى خاص يجردها فى هذا الفن من معناها اللغوى ويقصرها على مدلولها الإصطلاحى . ويدخل فى هذا مصطلحات الآداب والفلسفة والقانون والاجتماع والعلوم والفنون .... وما إلى ذلك . ومن ثم نرى أَن الكلمة الواحدة تستعمل فى الشعر بمعنى ، وفى الرسائل بمعنى آخر ، وفى السياسة بمعنى ثالث ، وفى الفنون الحربية بمعنى رابع ، وفى القانون بمعنى خامس ، وفى الطبيعة بمعنى سادس ، وفى الطب بمعنى سابع .... وهلم جرا .

٩ ـ وإلى مقتضيات الحياة الاجتماعية وشئونها ترجع كذلك أَهم الأَسباب فى نشأَة كلمات لم تكن موجودة فى اللغة من قبل وفى هجر كلمات كانت مستخدمة فيها أَو انقراضها انقراضاً تاماً . فأَهم العوامل التى تدعو إلى نشأَة كلمات فى اللغة ترجع إلى مقتضيات الحاجة إلى تسمية مستحدث اجتماعى جديد : نظام حديث

فى الشئون الاجتماعية أو الاقتصادية أو غيرها نظرية جديدة علمية أو فلسفية مخترع مادى جديد ... وهلم جرا . وأهم العوامل التى تؤدى إلى إنقراض كلمة من الاستعمال ترجع إلى انقراض مدلولها نفسه من نطاق الحياة الاجتماعية ، أوإلى عدم استخدامه . ويصدق هذا على الملابس والأثاث وعدد الحرب ووسائل النقل وآلات الصناعة والمقاييس والنقود ومظاهر النشاط والنظم الاجتماعية التى انقرضت أو بطل استخدامها فانقرضت معها المفردات الدالة عليها . فقد انقرض فى العربية كثير من الكلمات الدالة على نظم جاهلية قضى عليها الإسلام ، كالمِرْباع والصَّرُورة والنَوَافِج . وانقرض فى الفرنسية لهذا العامل ومايتصل به كلمات كثيرة منها :

Veste, casaquin, cabat, carosse, oupentes, briquel, pacotille, corvette fégate, brulot, boulet, arpent, lcaliard, toise...etc.

١٠ ــ وللشئون الاجتماعية أثر كبير كذلك فى صراع اللغات الناشئ عن نزوح عنصر أجنبى إلى البلد يتكلم بلغة غير أهلة ، على أثر هجرة أو فتح أواستعمار . وفيما ينتهى إليه هذا الصراع من تغلب إحدى اللغتين المتصارعتين على الأخرى أو بقائهما معاً جنباً إلى جنب مع تبادل التأثر والتأثير ..

فإذا لم يكن لكلا الشعبين اللَّذِينَ تتصارع لغتاهما حضارة يعتد بها ، ويزيد عدد أفراد أحدهما عن عدد أفراد الآخر زيادة كبيرة ففى هذه الحالة تتغلب لغة أكثرهما عددًا . سواءٌ كانت لغة الأصيل أو الدخيل ، لغة الغالب حربياً أم المغلوب . وذلك أنه عند انعدام النوع ، وهو ما تمثله الحضارة ، يتحكم الكم فى مصير الأمور . والأمثلة على ذلك كثيرة فى التاريخ . فمن ذلك أن النورماندين حينما أغاروا على إنجلترا فى منتصف القرن التاسع الميلادى ، واحتلوا معظم مناطقها ، لم تلبث لغة الشعب المقهور أن تغلبت على لغتيهم ، فأصبح جميع السكان . أصيلهم ودخيلهم إنجليزيهم ونورمانديهم يتكلمون الإنجليزية السكسونية . وذلك لأن الإنجليز المغلوبين كانوا يزيدون زيادة كبيرة فى عددهم عن النورماندين الغالبين ، ولم يكن لأحدهما حضارة يعتد بها ، فتحكم الكم فيما انتهى إليه الصراع .

وإذا كان الشعب الغالب أرقى من الشعب المغلوب فى حضارته وثقافته ، وأشد منه بأساً وأوسع نفوذًا فإن النصر يكتب للغته وإن قل عدد أفراده عن أفراد الشعب المغلوب ؛ على شريطة أن تدوم غلبته وقوته مدة كافية ، وأن تقيم بصفة دائمة جالية يعتد بها من أفراده فى بلاد الشعب المغلوب ، وإن تمتزج هذه الجالية بأفراد هذا الشعب ، وأن تكون اللغتان من شعبه لغوية واحدة أو من شعبتين متقاربتين تجمعهما فصيلة واحدة .

والأمثلة عن ذلك كثيرة فى التاريخ ، فقد نجم عن فتوح الرومان فى وسط أوربا وشرقها أن تغلبت لغتهم اللاتينية على اللغات الأصلية لإيطاليا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال ورومانيا ، مع أن الرومان المغيرين كانوا فى هذه البلاد أقلية بالنسبة إلى سكانها الأصليين ، وقد توافرت الشروط التى ذكرناها فى هذه الحالة . فقد دامت غلبة الرومان فى هذه البلاد مدة كافية ، وأقامت بصفة دائمة جالية يعتد بها من الرومان فى هذه البلاد وامتزجت بأفراد الشعوب المغلوبة ، وكانت اللغتان وهما اللاتينية للرومان والكلتية للشعوب المغلوبة من فصيلة لغوية واحدة ، وهى الفصيلة الهندية – الأوربية ، وكان الشعب الغالب – وهم الرومان – أرقى من الشعوب المغلوبة فى حضارته وثقافته وآداب لغته ، وأشد منه بأساً وأوسع نفوذًا . وقد نجم عن فتوح العرب المسلمين فى آسيا وأفريقيا أن تغلبت لغتهم على كثير من اللغات السامية الأخرى وعلى اللغة القبطية فى مصر والبربرية فى شمال أفريقيا . فأصبحت اللغة العربية لغة الحديث والكتابة فى معظم مناطق شبه الجزيرة العربية وفى مصر والسودان وشمال أفريقيا ، مع أن الجالية العربية فى هذه البلاد كان عددها أقل كثيرًا من عدد السكان الأصليين ، وقد توافرت الشروط التى ذكرناها فى هذه الحالة . فاللغة العربية وهى لغة الشعب الغالب ، كانت أرقى كثيرا من لغات هذه الشعوب ، وقد دخلت هذه البلاد وبين يديها تراث لغوى مجيد على رأسه القرآن الكريم وأحاديث الرسول عَلَيْهِ السَّلَام والأدب الجاهلى والإسلامى ، وكان الشعب العربى نفسه حينئذ أرقى كثيرًا من هذه الشعوب فى حضارته وتراثه وأشد منها بأساً وأوسع نفوذًا ، وقد

دامت غلبته وقوته مدة كافية ، وأقامت بصفه دائمة جالية يعتد بها من أفراده فى بلاد الشعوب المغلوبة وامتزجت بأفراد هذه الشعوب ، وزاد امتزاجها بهم بعد أن دخلوا الإسلام ، وكانت اللغة العربية ولغات هذه الشعوب من فصيلة لغوية واحدة وهى الفصيلة السامية ـ الحامية .

وإذا لم يتوافر شرط من الشروط السابق ذكرها والتى يتوقف عليها تغلب إحدى اللغتين على الأخرى فأنهما تعيشان معاً جنباً إلى جنب مع تبادل التأثر والتأثير .

والأمثلة على ذلك كثيرة فى تاريخ الأمم الغابرة وفى العصر الحاضر . فاللغة اللاتينية لم تقو على التغلب على اللغة الإغريقية ، مع أن الأولى كانت لغة الشعب الغالب ، وكانت اللغتان من فصيلة واحدة ، وهى الفصيلة الهندية ـ الأوربية . وذلك لأن الإغريق مع خضوعهم حربياً وسياسيا للرومان ، كانوا أعرق منهم حضارة وأوسع ثقافة وأرقى لغة وقد سبق أن انهزام لغة الشعب المغلوب أمام لغة الشعب الغالب لايحدث إلا إذا كان الشعب الثانى أرقى من الشعب الأول فى جميع هذه الامور . واللغة العربية لم تقو على الانتصار على اللغة الفارسية على الرغم من فتح العرب لبلاد فارس وبقائها تحت سلطانهم أمداً طويلا . وذلك لأن حضارة الشعب الفارسى لم تكن حينئذ أقل من حضارة العرب إن لم تكن أرقى منها هذا إلى أن كلتا اللغتين تنتمى إلى فصيلة لغوية غير الفصيلة التى تنتمى إليها اللغة الأخرى . فالعربية من الفصيلة السامية والفارسية من الفصيلة الهندية ـ الأوربية .

وإذا هاجر شعب من منطقته إلى منطقة أخرى وأنبتَّ عن إخوته ، وأحيط بشعوب تستخدم لغة أخرى غير لغته ، فإن لغة هذه الشعوب لا تلبث أن تتغلب على لغته ولو كانت من فصيلة أخرى غير فصيلته ومن أمثلة ذلك أهل بلغاريا ، فإنهم حينما نزحوا من شمال أوربا إلى البلقان بعدوا بعداً كبيراً عن اخوانهم الذين يتحدثون باللغات الفينية ، وأحيطوا من جميع جهاتهم بشعوب صقلبية ، وأتيح لهم الامتزاج بهذه الشعوب امتزاجاً كبيراً ، فأخذت لغتهم تنهزم شيئاً فشيئاً أمام لغات هذه الشعوب حتى انقرضت وحل

محلها لسان صقلبى . وهكذا يكون الجزاء للمنبت عن أخوته حضاريًا .

وإذا تقوقع مجتمع ما فى منطقته ، وضعف اتصاله الحضارى ببقية سكان البلد ، فإنه يظل محافظاً على لغته ولا يخضع لقوانين الصراع اللغوى . والأمثلة على ذلك كثيرة فى التاريخ :

فمن ذلك أنه يظهر أن بنى إسرائيل فى مصر قد ظلوا محافظين على لسانهم العبرى يتخاطبون به فيما بينهم فى أثناء مقامهم الطويل فى مصر الذى امتد إلى أكثر من أربعة قرون ، وأنه ظل لسانهم بعد أن خرجوا من مصر مع موسى عليه السلام ، وذلك مع المامهم باللغة المصرية وتفاهمهم بها مع بقية السكان ، مع أن القانون كان يقضى بتغلب اللسان المصرى على ألسنتهم . ويظهر أن السبب فى ذلك يرجع إلى العادة الإسرائيلية التى ظلت ملازمة لهم إلى الوقت الحاضر ، والتى تتمثل فى قوقعتهم فى شوارع وحارات فى المدن التى يسكنونها أو يهاجرون إليها ، وحفاظهم فى هذه الشوارع والحارات على تقاليدهم ولغتهم .

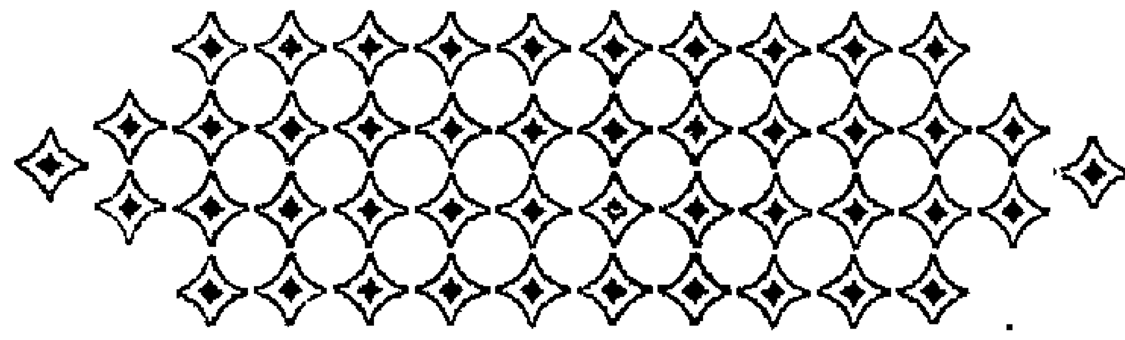
ومن ذلك أيضاً أهل بلاد النوبة فى مصر ، فإن تقوقعهم فى مناطقهم كان له أثر كبير فى احتفاظهم بلغتهم وعدم تأثرهم باللغة العربية . التى تغلبت على ألسنة بقية سكان مصر ؛ هذا إلى اختلاف فصيلة لغتهم عن فصيلة اللغة العربية .

ومن ذلك أيضاً أن اللغة العربية لم تستطع التغلب على اللغات البربرية فى بعض المناطق فى شمال أفريقيا ، فلا يزال إلى الوقت الحاضر عدد غير يسير من سكان المغرب والجزائر وتونس يستخدمون فى تخاطبهم بعضهم مع بعض لهجاتهم البربرية القديمة وإن كانوا يستخدمون العامية العريقة فى تخاطبهم مع أهل البلاد . مع أن اللغة العربية قد تغلبت على معظم البلاد البربرية . ومع إنتماء اللغتين إلى فصيلة واحدة وهى الفصيلة السامية الحامية ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى تقوقع السكان فى هذه المناطق وعدم امتزاجهم كثيراً ببقية السكان .

ومن ذلك أيضاً جماعة البزيتون فى الجنوب الغربى لفرنسا فى محافظة اللوار

الأدنى على سواحل المحيط الأطلسى .
فإن تقوقعهم فى منطقتهم كان له أثر كبير فى احتفاظهم بلغتهم الكلتية ، وعدم تأثرهم باللغة اللاتينية ولا باللغة الفرنسية التى انشعبت عن اللاتينية ، وإن كانت لغتهم هذه قد أخذت فى الانقراض .
فقد زرت هذه المقاطعة وقضيت فيها عدة أسابيع متنقلا فى بلادها فلم أسمع هذه اللهجة إلَّا عند طائفة من الشيوخ .
وحتى هؤلاء أنفسهم لايتكلمون بلهجتهم هذه إلَّا فيما بينهم ، وأما مع غيرهم فيتكلمون الفرنسية ، ولكن ينال كلماتها وتراكيبها فى السنتهم كثير من التحريف ، كما تحرف العربية فى السنة النوبيين .
وقد انقرضت هذه اللهجة انقراضاً تاماً من لغة الكتابة والأدب . وانقرضت كذلك من لغة التخاطب بين أبناء الجيل المعاصر .

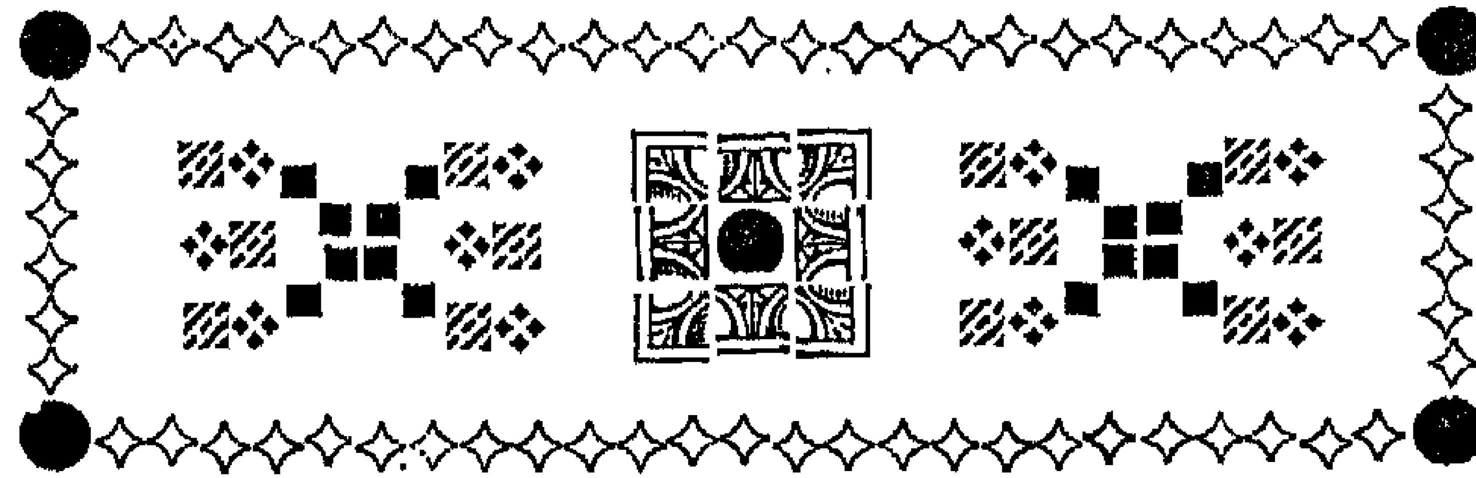
على عبد الواحد وافى
عضو المجمع



من أهم مراجع البحث

(عنوان الكتاب)	(المؤلف)
اللغة والمجتمع	ا . د . على عبد الواحد واقى .
علم اللغة .	ا . د . على عبد الواحد واقى .
فقه اللغة .	ا . د . على عبد الواحد واقى .
الصاحبى فى فقه الله وسنن العرب . فى كلامها .	ابن فارس .
فقه اللغة .	الثعالبى .
شفاء العليل فيما ورد فى كلام العرب. من الدخيل .	شهاب الدين الخفاجى .
المزهر فى علوم اللغة وأنواعها .	السيوطى .

De la croix Le Langaze et la pensée
Dausat : philosphophie du langage
Dausat : le vie du langage
Ribot : L'Evolution des idees Générales
Moi llet : Comment les mots changent de Sens (dans "L'année Sociologique" tome IX.
Vanniet L'Esprit et les Moeurs d'une nation d'après sa langue (Revue pedagogique 1907, T.2. p.p. 434-463).



من كناشة النوادر (٨)

للأستاذ عبد السلام هارون

أصل ما انقطع من القول بعد عام كامل عثرت فيه على نوادر من النصوص التى تضمنا إلى ركب التراث العربى بكنوزه الغالية ، تجديدا للشوق إليه ووفاء لفضله على حضارتنا الراهنة القائمة على أساس من أركانه الوطيدة ودعائمه الراسية . . . .

بغداد فى التاريخ

جنة الأرض :

قال الثعالبى فى شأنها :

يقال لبغداد : جنة الأرض . ومجتمع الرافدين : دجلة والفرات ، وواسطة الدنيا ومدينة السلام ، وقبة الإسلام ، لأنها غرة البلاد ، ودار الخلافة ، ومجمع المحاسن والطيبات ، ومعدن الطرائف واللطائف . وبها أرباب النهايات فى كل فن وآحاد الدهر فى كل نوع .

وكان أبو إسحاق الزجاج يقول : بغداد حاضرة الدنيا وماعداها بادية . وكان أبو الفرج الببغا يقول : هى مدينة السلام ، بل مدينة الإسلام ، فإن الدولة النبوية والخلافة الإسلامية بها عششتا وفرختا ، وضربتا بعروقهما وسمتا بفروعهما وإن هواءها أعدل من كل هواء ، وماءها أعذب من كل ماء ، ونسيمها أرق من كل نسيم وهى من الإقليم الاعتدالى بمنزلة المركز من الدائرة ، ولم تزل موطن الأكاسرة فى سالف الأزمان ومنزل الخلفاء فى دولة الإسلام .

(*) ألقى البحث فى الجلسة السابعة ليوم الاثنين ٢٩ / ٢ / ١٩٨٨ م .

وكان أبو الفضل بن العميد إذا طرأ عليه أحد من منتحلى العلم ، وأراد امتحان عقله سأله عن بغداد فإن فطن عن خواصها ونبّه على محاسنها وأثنى عليها خيرا جعل ذلك مقدمة فضله ، وعنوان عقله . ثم سأله عن الجاحظ فإن وجد عنده أثرا بمطالعة كتبه والاقتباس من ألفاظه وبعض القياس بمسائله ، قضى بأنه غرة شادخة فى العلم وإن وجده ذاماً لبغداد ، غافلا عما يجب أن يكون موسوما به من الانتساب إلى المعارف التى يختص بها الجاحظ لم ينتفع بعد ذلك عنده بشىء من المحاسن ولما رجع الصاحب من بغداد ، وسأله ابن العميد عنها قال : بغداد فى البلاد كالأستاذ فى العباد : فجعلها مثلا فى الغاية من الفضل والكمال .

لا يموت فيها خليفة :

قال : ومن عجيب شأنها : أنها على كونها الحضرة الكبرى لاستيطان الخلفاء إياها لايموت بها خليفة ، كما قال عُمارة بن عقيل بن جرير بن بلال :

أعاينت فى طول من الأرض أو عرض
كبغداد دارا ، إنها جنةُ الأرض

قضى ربها ألاَّ يموت خليفة
بها ، إنه ماشاءَ فى خلقه يقضى

ولما فرغ المنصور من بنائها سنة ١٤٦هـ أمر نوبخت المنجم – وكان متقدما فى علم النجوم – بأن يأخذ المطالع ويتعرف أحوالها ، ففعل ووجد المشترى فى القوس والقوس طالعها ، فأخبره بما تدل عليه النجوم من طول ثباتها ، وكثرة عمارتها وانصباب الدنيا عليها وفقر الملوك والسوقة إليها فَسُرَّ المنصور وقرأ :

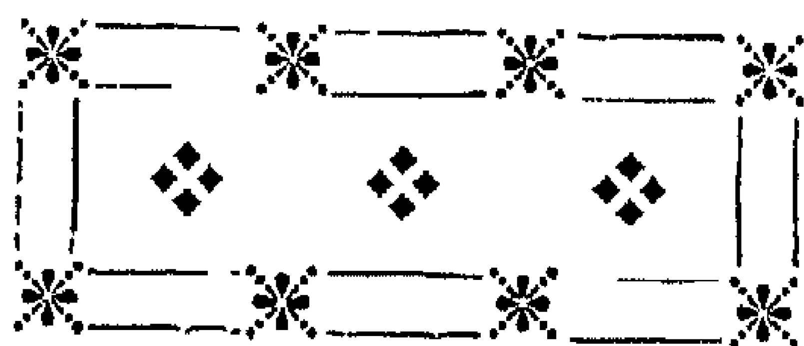
«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» .

ثم قال له نوبخت : وخصلة أخرى ياأمير المؤمنين هى من أعجب خصائصها ، قال :

وماهى ؟ . قال : لايموت بها خليفة أبدا .

فجرى الأمر فيه على حكمه إلى زماننا هذا بإذن الله تعالى ، وذلك أن المنصور مات بمكة سنة١٥٨هـ والمهدى بماسبذان ،

والهادى بعيا آباد ، والرشيد بطوس ، وقتل الأمين ، ومات المأمون بطرسوس ، والمعتصم بسر من رأى ، والواثق بها ، وقتل المتوكل ، ومات المنتصر بسر من رأى ، وخلع المستعين ، وكذلك المعتز ، وقتل المهتدى ، ومات المعتمد بالحسنية ، وكذلك المعتضد والمكتفى . وقتل المقتدر وقتل القاهر ، ومات الراضى بالحسنية ، وقتل المتقى والمستكفى ، ومات المطيع بدير العاقول وخلع الطائع .



النصفية

الباحث فى كتب التراث كثيرا مايعثر على ألفاظ يمكن إطلاقها على مدلول الألفاظ الدخيلة أو المعربة بدلا منها ، وكم فى العربية من كنوز يعوزها الباحث فمن ذلك ماعثرت عليه فى كتاب نكت الهميان فى نكت العميان للإمام الصفدى فى ترجمة على بن أحمد بن يوسف ابن الخضر [1] ، أن بعض أصحابه أهدى إليه نصفية حسنة فسرقت من بيته ، فرأى شيخه الإمام مجد الدين شيخ القراء ببغداد : فى النوم وهو يقول له : النصفية أخذها فلان وأودعها عند فلان ، اذهب وخذها منه ، فلما استيقظ ذهب إلى هذا الرجل فدق عليه الباب فخرج إليه ، فقال : أعطنى النصفية التى أودعها فلان عندك ، ودخل فأخرجها له فأخذها وذهب ولم يقل شيئا . وواضح أن المراد بالنصفية الحسنة هنا ثوب يغطى نصف الجسد وهو مايقال له فى الألفاظ الدخيلة جاكت أو جاكتة للرجال ، وبلوز أو بلوزة للسيدات .

فالأولى بلاريب أن يستعمل فيها هذا اللفظ الصحيح الفصيح الذى سرعان مايحتل مكانه الأمين فى لغتنا العزيزة .



(١) نكت الهميان ٢٠٦ .

الافـراط فى التوكل

يروى السيوطى فى بُغية الوعاة [1] أن ابن بابشاذ النحوى أحد أعلام العربية كان من تجار اللؤلؤ فى العراق ، وأخذ عن علمائها ورجع إلى مصر واستُخدم فى ديوان الرسائل يتأمل مايخرج من الديوان من الإنشاء فى الرسائل ويصلح مايراه من الخطأ فى الكتابة أو فى النحو أو فى اللغة ، وكانت له حلقة اشتغال بجامع مصر ، ثم تزهد وانقطع عن التدريس .

وسبب ذلك أنه كان جالسا يأكل فجاءه سنور ، فكان إذا ألقى شيئا لايأكله ، بل يحمله فى فيه ويمضى ، وكثر ذلك منه ، فتبعه يوما لينظر أين يذهب بما يحمل فإذا هو يحمله إلى موضع مظلم فيه سنورة عمياء فيلقى إليها بما يحمله فتأكله ، فعجب وقال : إن الذى سخر هذا لهذه ليجيئها بقوتها قادر على أن يغنينى عن هذا العالم ! فلازم منارة الجامع بمصر . وخرج منها فى بعض الليالى والليل مقمر : وفى عينه بقيه من نوم ، فسقط من المنارة إلى سطح الجامع فمات فى الحال .

وكان هذا عاقبة إفراطه فى التوكل .

* * *

(١) بغية الوعاة ٢٧٢ .

اللبخة

هى اللعبة الشعبية التى يسميها عامة أهل مصر (التحطيب) ، وهى تسمية غير سليمة ، وإنما هى لعبة العصىّ . فلم يرد الفعل حطَّب فى اللغة الفصيحة ، كما أن الحطب اسم لما أعد من الشجر شَبوبا للنار من عيدان الشجر الدقيقة على حين تكون العيدان التى تتخذ لهذه اللعبة عيدانا غليظة صلبة تصمد للمضاربة .

وقد تطورت هذه التسمية ، أى التحطيب من تسمية قديمة صحيحة ، هى «اللَّبَخَة» واللبخ : شجر عظام كانت تنشر ألواحه ويجعلها الملاحون فى بناء السفن الضخمة فتلتحم بعد عام وتصير لوحا واحدا . وهو غير شجر اللبخ المعروف الآن . فإن اللبخ الذى يذكر فى هذا شجر ضخم أيضا له ثمر أخضر يشبه التمر حلو جدا إلا أنه كريه .

وقد وصف اللبخة المثمرة هذا عبد اللطيف البغدادى فى رحلة إلى مصر . ورآها ابن المكرم صاحب لسان العرب بجزيرة مصر الروضة ، كما فى اللسان (لبخ) وجاء فى حواشى النجوم الزاهرة[1] : «وشهدها المقريزى مثمرة ، ولم نسمع عنها شيئا بعد ذلك .

وفى الطبقات الكبرى للشعرانى فى ترجمة عثمان الخطاب المتوفى سنة نيف وثمانمائة : «وكان شجاعا يلعب اللبخة فيخرج له عشرة من الشطار ويهجمون عليه بالضرب فيمسك عصاه من وسطها ويردّ الجميع فلا تصيبه واحدة قال[2] الشعرانى : «هكذا خبر عن نفسه فى صباه» .

وإذا أردنا أن نعرف أولية هذه اللعبة وجدنا جواب ذلك فى النجوم الزاهرة فى سنة ٧٤٦ إذ يقول ابن تغرى

(١) النجوم الزاهرة وحواشيها ١٠ – ١٢٨ .

(٢) لعب العرب لتيمور ٥٧ ورحلة عبد اللطيف البغدادى والخطط المقريزية .

بردى : «فى أول ربيع الأول توجه السلطان (الملك الكامل) إلى سرياقوس وأحضر الأوباش فلعبوا قدامه باللبخة، وهى عصى كبار حدث اللعب بها فى هذه الأيام، ولما لعبوا بها قتل رجل رفيقه فخلع السلطان على بعضهم وأنعم على كبيرهم بخبز فى الحلقة «يزاد أجرى له جراية خبز».

فهذا ماكان من أولية هذه اللعبة التى لاتزال معروفة يمارسها أهل الريف فى أفراحهم وأعيادهم، وأصبحت من التراث الشعبى الذى يمارسه بعض الفرق الفنية فى القاهرة والعواصم الكبرى.



المـــارماهى

ضرب من السمك الشبيه بالحيات ، ذكره الجاحظ فى الحيوان [1] من نحو ١٠٠٠ عام وزعم أنه إما أن يكون من أولاد الحيات انقلبت وتحولت بما عرض لها من طبيعة البيئة والماء ، وإما أن يكون من نسل سمك وحيات تلاقحت فأنتجت هذا الضرب وضبطها بالمر فى معجمه بكسر الراء .

ويقول القزوينى فى عجائب المخلوقات [2] عند الكلام على بحر الهند (المحيط الهندى) : «ومنها سمكة خضراء رأسها كرأس الحية من أكل منها اعتصم من الطعام أياما ، فهى سمكة مدورة يقال لها مارما هى على ظهرها شبه عمود محدد الرأس لاتقوم لها سمكة إلا تضربها بذلك العمود وتقتلها .

وقد قيل : « حدث عن البحر ولا حرج وقال داود الأنطاكى فى التذكرة : « مارماهى هو حيات الماء المعروف عندنا بالأنكليس سمك شبيه بالحيات كله دهن ». والأنكليس ذكره الجاحظ أيضا ، ولفظه يونانى معرّب كما فى معجم الحيوان للمعلوف . وضبطه صاحب القاموس وكذا الدميرى فى حياة الحيوان بفتح الهمزة واللام وبكسرهما . وقال المعلوف : « ويعرف فى الشـام بالجنكليس وفى مصر بثعبان الماء وفى بغداد بالمرمريج .

أما المارماهى ففارسى مركب من « مار » بمعنى الحية ، «وماهى » بمعنى السمك كما فى معجم استينجاس . ويقال له أيضا بالفارسية : « ماهى مار » بالقلب بنفس المعنى السابق .



(١) الحيوان من ٤ – ١٢٩ .
(٢) عجائب المخلوقات ١١٠ .

المحمل والكسوة الشريفة

المحمل : تحفة مصرية قديمة من عهد شجرة الدر ، وهو إطار عظيم مكعب الشكل تعلوه قمة هرمية ،

وله ستور من الديباج الأحمر عليها رخارف وكتابة مطرزة تطريزا فاخرا بالذهب على أرضية من الحرير الأخضر أو الأحمر وله قماقم أربعة من الفضة المطلية بالذهب ، وعلى أطراف هذا الكساء شراريب تعلوها كرات فضة يتفرع منها أسلاك دقيقة .

أما كسوة الكعبة فكانت أجزاء كثيرة من المُخْمَل الأسود تعلوها كتابات دهبية وزخارف توضع على صناديق خشبية مستطيلة وتحملها الجمال كما يَحمِل المحمل جمل ضخم يسمى جمل المحمل ، يتمتع بما يتمتع به المحمل من تبرك به . وهذا الجمل يعفى من العمل بقية السنة ؛ ويعلف ويعتنى به عناية كاملة .

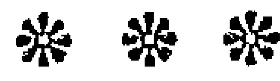
والمحمل لايحوى إلا مصحفين صغيرين داخل صندوقين من الفضة المذهبة معلقين بالقمة . ويحتفل بالمحمل فى شوارع القاهرة مصحوبا بالموسيقات والمزامير والطبول كما يخرج معه أصحاب الطرق الصوفية يتمارسون طقوس الذكر على صور شتى ، مع رفع الصوت بالتكبير والتهليل وأغانى الحج ؛ ثم يحتفل به فى ميدان القلعة . وكان يحضر هذا الاحتفال نائب عن الحكومة وأمير الحج وبعثة الحج وبعض العلماء والكبراء ؛ وقد جرت العادة أن ينحنى أمير الحج إلى مقود الجمل ويقبله . وكان هذا الاحتفال يثنى مرتين . مرة عند خروج الحجاج فى ذى القعدة ، ومرة عند عودتهم منه فى المحرم ، وكان يثير فى جماهير الناس عاطفة دينية شديدة فى تلك الأثناء ، وتطلق المدافع من القلعة فى هاتين المناسبتين. ويقضى المصريون هذين الوقتين فى فرحة كبيرة وابتهاج بهاتين المناسبتين : سفر المحمل إلى الحجاز وعودته منه محملا بالكسوة القديمة التى وضعت

بدلها الكسوة الجديدة ، وتوزع بعض أجزائها على الأعيان والفضلاء .

هذا ماكان أمر المحمل في أيامنا إلى ماكان من تدخل إخواننا الوهابيين لمنعه شيئا فشيئا إلى أن ألغى تمام الإلغاء .

وكان للمحمل مصلحة حكومية تعنى بإعداده هو والكسوة . أما الكسوة الآن فيجرى عملها طوال العام في المملكة العربية السعودية مع إثارة من بقية من تلاميذ من كان يعملها من الصناع المصريين المهرة طوال العام .

وترجع أولية الاحتفال بالمحمل إلى عهد قديم ، إذ يذكر صاحب النجوم الزاهرة في حوادث سنة ٦٧٨ أنه في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان حدث الطواف بكسوة الكعبة عظمها الله تعالى ، بمصر والقاهرة على العادة ، ولعبت مماليك السلطان الملك المنصور قلاوون أمام الكسوة بالرماح والسلاح . قال : وأظن هذا أول ابتداء سوق المحمل المعهود الآن ، أي سنة ٨٤٠ .



المنجنيق

آلة من آلات الحرب الضخمة المتطورة . وهى كلمة معربة من الفارسية اختلف فى تأصيلها ، فصاحب القاموس يذكر أن أصلها : مَن جَه نَيك أى ما أجودنى : أما أدى شير فى الألفاظ الفارسية المعربة فيذكر أن أصلها : مَنجَك نَيك ، وأن منجك معناه الارتفاع إلى فوق ولاريب أن الكلمة مأخوذة من الفارسية وإن كان فرنكل واستينجاس ١٣٢٤ يذهبان إلى أنها مأخوذة من اليونانية (ماجانون) . واختلف فى ضبطها بعد التعريف بين منجنيق ومنجنوق ومنجليق ، بكل هؤلاء نطق العرب .

ولعل أقدم نص وردت فيه الكلمة قول زفر بن الحارث لقد تركتنى منجنيق ابن بحدل أحيد عن العصفور حين يطير وزفر هذا من التابعين كانت وفاته سنة ٧٥ هـ ومن أقدم هذه النصوص أيضاً قول جرير المتوفى سنة ١١٠ هـ :

يلقى الزلازل أقوام دلفت لهم

بالمنجنيق وصكا بالملاطيس

الملاطيس جمع ملطاس ، وهو حجر ضخم يدق به النوى .

وقد اشتق العرب المنجنيق فعلا فقال أحد الأعراب فى جواب لأبى عبيدة كانت بيننا حروب عون ، تفقأ فيها العيون مرة نجنق ومرة رشق .

وقال العرب كذلك جَنَّقونا بالمجانيق تجنيقاً ، أى رمونا بأحجارها . ومن ذلك أيضاً الجنق : أصحاب تدبير المنجنيق ، وقالوا أيضاً : مجنقوا المنجنيق وجنقوه ، أى استعملوه ومهما يكن من أمر تأصيلها وما يدور حولها من مباحث لغوية فإن المراد بها أنها آلة حربية ضخمة لرمى الحجارة الضخمة كانت تستعمل فى الحروب مماثلة للمدافع الحربية التى تستعملها الجيوش فى عصرنا هذا .

وأول الأخبار فى استعمالها فى الإسلام كان فى سنة ٧٢ من الهجرة أيام حصار الحجاج لعبدالله بن الزبير بمكة .

وقد حج بالناس فى تلك السنة الحجاج ابن يوسف إلّا أنّهُ لم يتمكن من الطواف

بالكعبة ولا سعى بين الصَّفَا والمروة ، منعه ابن الزبير من ذلك وكذلك لم يتمكن ابن الزبير ولا أصحابه من الوقوف بعرفة ولم يرموا الجمار ، فبطل حج الفريقين جميعاً .

وحج ابن عمر تلك السنة ، وأرسل إلى الحجاج ، أن اتَّقِ الله واكفف هذه الحجارة عن الناس فإنك فى شهر حرام . وقد قدمت وفود الله من أقطار الأرض ليؤدوا فريضة الله ، وإن المنجنيق قد منعهم من الطواف . فبطل الرمى حتى عاد الناس من عرفات وطافوا وسعوا . ولم يمنع ابن الزبير الحاج من الطواف والسعى . فلما فرغوا من طواف الزيارة نادى منادى الحجاج : انصرفوا إلى بلادكم فإنا نعود بالحجارة على ابن الزبير الملحد !

فأخذ الحجاج حجر المنجنيق بيده فوضعه فيه ورمى به معهم ، ولم يزل القتال دائراً حتى قتل ابن الزبير بعد حصار دام ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة . وكان مقتله سنة ٧٣ .

فهذا أول خبر فى استعمال المنجنيق .

وقد استعمل المنجنيق بعد ذلك بعد تطويره وتضخيمه فى سنة ٧٤٤ يقول ابن كثير فى البداية والنهاية[1] : « وفى شهر رمضان نصب المنجنيق الكبير على باب الميدان الأخضر وطوال أكتافه ثمانية عشر ذراعاً ، وطول سهمه سبعة وعشرون ذراعاً ، وخرج الناس للفرجة عليه ، ورمى به فى يوم السبت حجر زنته ستون رطلا ، فبلغ إلى مقابلة القصر من الميدان الكبير وذكر معلم المجانيق أنه ليس فى حصون الإسلام مثله ، وأنَّه عمله الحاج محمد الصافى ليكون بالكرك فقدر الله أنَّه خرج ليحاصر الكَرَك[2]

(١) البداية والنهاية ١٤ : ٢٠٧

(٢) الكرك قلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء.

قميص يوسف

أجرى الله تعالى أمر يوسف من ابتدائه إلى انتهائه عَلَى ثَلَاثَة أَقْمِصَة[1] :

أولها : قميصه المضرج بدم كذب ، حين ذهب أخوة يوسف به ، وأخفوه حسدًا منهم فى الجب ثم رجعوا إلى أبيهم وقد ضرجوا قميصه بدم كذب وقالوا : قد أكله الذئب : فلم يصدقهم يعقوب ، وعلم أن ذلك خدعة منهم . وقال : تالله ما رأيت ذئباً أحلم من هذا وأرفق ! أكل ابنى ولم يمزق قميصه !

والثانى : قميصه الذى قُدَّ من دُبُر ، حين فتنت به امرأة العزيز وراودته عن نفسه وشقت قميصه من طوقه الأعلى فانخرق إلى أسفله من دُبر . وشهد شاهد من أهلها : إن كان قميصه قُدَّ من قبل فصدقت وهُوَ من الكاذِبين ، وإن كان قميصه قُدَّ من دُبرٍ فكذبت وهُوَ من الصَّادِقِين . فَلَمَّا رَأَى العزيز أَنَّ قَمِيصَهُ قُدَّ من دبر قال للنسوة : إِنَّهُ من كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيم !

(١) ثمار القلوب ٤٦ – ٤٨ .

والثالث : قميصه الذى شم ريحه أبو يعقوب فارتد بصيراً بعد أن أدركه العمى حُزْنا على فقده ، فأدركَ من رائحة القميص أنه قميص ولده الغائب عنه يوسف بعد مرور نحو سبعين عاماً فعادت إليه الفرحة وأَعَادَ اللهُ إليه بصرَه .

وكان أخوهم يهوذَا قالَ لإخوته : قد ذهبت إلى أبى بقميص الترحة من قبل ، أى الحزن فدعونى أذهب إليه بقميص الفرحةِ .

ومن نوادر القمصان ما وقع لأبى الحارث جُمّيز ، وهو أنّه رُئِىَ فى ثِياب رثة متخرقة فقيل له : ألَا يكسُوكَ مُحمد بن يحيى ؟ فقالَ : لو كَانَ فى بيتٍ مملوءٍ برا وجَاءه يعقوب ومعه الأنبياءُ شفعاء ، والملائكة ضمناء يطلب منه إبرة ليخيط بها قميص يوسف الذى قُدّ من دُبر ما أعاره إيَّاهَا ، فكيف يكسونى ؟ ! وأنْشَد :

لو أن دارك أنبتت لك واحتشت
إبرًا يضيق بها فناءُ المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك إبرة
ليخيط قد قميصه لم تفعل

سنو يوسف

وهى التى أشار إليها الكتاب العزيز فى قوله : «قَالَ : تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبا فما حَصدتُّم فذروه فى سُنْبُلِهِ إلَّا قليلا مِمَّا تأْكُلونَ * ثُمَّ يأْتى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُم لَهُنَّ إلَّا قَلِيلا مما تُحْصِنُون * ثم يأْتى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عامٌ فيه يُغَاثُ الناسُ وفيهِ يَعْصِرُونَ » .

وجاء فى الحديث الشريف قول الرسول الكريم : «اللهم اشدد وطأتك على مضر وابعث فيهم سنين كسنى يوسف . وأن الله استجاب دعاءه حتى شووا الجلد وأكلوا القدّ(۱) » ويضرب بها المثل فى القحط والشدة .

يقول الثعالبى (۲) : ومن قصة سنى يوسف أنه كان عليه السلام قد أعدّ فى سنى الخصب من الحنطة والشعير وسائر الحبوب فى الأهراء والخزائن مايكفى أهل مصر وغيرهم . فلما انتهت سنو الخصب وجاءت السنون الشداد جعل يوسف يبيعهم فى السنة الأولى بالدراهم والدنانير حتى استغرق دراهم مصر ودنانيرها ثم باعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر حتى لم يبق فى أيدى الناس شىء منها ، ثم باعهم فى الثالثة بالمواشى والدواب حتى استولى عليها كلها . ثم باعهم فى الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق لأحدهم عبدٌ ولا أمة ثم باعهم فى الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى جمع بين مُلك مصر وملكها . ثم باعهم فى السادسة بأولادهم حتى استرقهم ، ثم باعهم فى السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة إلا صار عبدا وصارت أمة له . ثم إنه عليه السلام قال : إنى لم أملك مصر لأملك أهلها ، ولم أبرهم لأجفوهم . فأعتقهم كلهم ورد عليهم أموالهم وأملاكهم وأولادهم .

---

(۱) القد : بالفتح : الجلد وجلد السخلة .

(۲) ثمار القلوب ٤٩ .

عصا موسى

فى الكتاب العزيز : « وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى « قَالَ : هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى »

سئل يونس[1] بن حبيب عن قوله : « ولى فيها مآرب أخرى « فقال : لست أحيط بجميع مآرب موسى ص ولكنى سأنبئكم جملا تدخل فى باب الحاجة إلى العصا : من ذلك أنها تحمل للحية والعقرب ، وللذئب ، وللفحل الهائج ولعير العامة فى زمن هيج الفحول من الإبل وكذلك فحول الحجور من الخيل فى المروج . ويتوكأ عليها الكبير الدالف والسقيم المدنف والأقطع الرجل والأعرج ، فإنها تقوم مقام رجل أخرى . وتنوب للأعمى عن قائده . وهى للقصار والفاشكار[2] والدباغ . ومنها المفاد للملة[3] ، والمحراك للتنور . وهى لدق الجص والجبين[4] والسمسم ، ولخبط الشجر ، وللفيج[5] وللمكارى[6] . فإذا طال الشوط وبعدت الغاية استعانا فى حضرهما وهرولتهما فى أضعاف ذلك بالاعتماد على وجه الأرض .

وهى تعدل من ميل المفلوج وتقيم من ارتعاش المبرسم ، ويتخذها الراعى لغنمه وكل راكب لمركبه ، ويدخل

(١) البيان ٣ – ٦٧ .

(٢) من بشارى ، الفلاحة بالفارسية .

(٣) المفاد : خشب يحرك بها التنور .

(٤) هو ما يعرف فى مصر بالمصيص .

(٥) الفيج : الذى يسعى على رجله يحمل الأخبار من بلد الى بلد .

(٦) المكارى : الذى يكريك دابة بالأجرة .

عصاه فى عروة المزور ويمسك بيـده الطرف الآخر . وتكون إن شئت وتداً فى حائط ، وإن شئت ركزتها فى الفضاء وجعلتها قبلة ، وإن شئت جعلتها مظلة وإن جعلت فيها زُجًّا كانت عَنَزَة وإن زدت فيها شيئا كانت عكازا ، وإن زدت فيها شيئا كانت مِطردًا ، وإن زدت فيها شيئا كانت رمحا .

والعصا تكون سوطا وسلاحا ، وكان رسول الله ﷺ يخطب بالقضيب ، وكفى بذلك دليلا على عظم شأنها وشرف حالها وعلى ذلك الخلفاء وكبراء العرب من الخطباء .

* * *

القوافى الخمس

ذكر السيوطى فى بغية الوعاة[1] أن محمد بن الحسينى بن عمير اليمنى كان مقيما بمصر ، وصنَّف كتاب أخبار النحويين . ، ومن شعره وزعم أن ليس لقافيته خامس :

أسقمنى حب من هويت فقد
صرت بحبه فى الهوى آية

ياغاية فى الجمال صوره اللـ
ـه أما للصدود مِن غايـة

تركتنى بالسقام مشتهرا
أشهر فى العالم من راية

أحب جيرانكم من أجلكم
بحجة الطفل تشبع الداية

قال السيوطى : قلت ذيلت عليها بخامس :

أود أن لو أبيتُ جاركم
ولو بمأْوى الجمال فى الثايـة

وأقول : «ومن روائع الشعر المتكلف قول الإمام النحوى الدمامينى ، بقوله فى امرأة جبَّانة ، أى صانعة للجبن :

مذ تعانت صناعة الجبن خود
قتلتنا عيونها الفتانة

لاتقل لى كم مات فيها قتيل
كم قتيل بهذه الجبَّانة[2]

* * *

(١) بغية الوعاة ٣٧
(٢) الجبانة هنا المقبرة .

أثافى الشر

ألاثافى : جمع أثفيَّة ، والأُثفيَّة : حجر مثل رأس الإنسان .

وكثيرا ماتوضع القدر على أثفيتين اثنتين إلى جوار قطعة من الجبل فتكون القطعة من الجبل ثالثة الأثافى .

ويقال فى الأمثال للرجل يرمى صاحبه بالمعضلات : رماه بثالثة الأثافى ، أى بالشرّ كله . ومن ذلك قول خفاف بن ندبة :

وإن قصيدة شنعاء منى
إذا حضرت كثالثة الأثافى

وقال الأصمعى : « كان جرير والفرزدق والأخطل يُسمَّون : أثافى الشرّ ، تهاجَوا أربعين سنة » .

* * *

همع الهوامع

فى شرح جمع الجوامع للسيوطى

يعد هذا الكتاب أجمع كتاب لمسائل العربية وفروعها الدقيقة وتعليلاتها المتشعبة. أما المتن ، وهو جمع الجوامع فيقول فيه السيوطى : «جمعته من نحو مائة مصنف فلا غرو أن لقبته : جمع الجوامع».

(أما الهمع فهو فى جزأين نظام الأول منهما يجرى على إيراد بعض نصوص المتن يعقبها نصوص شرحها كل منهما بمعزل عن الآخر ويجرى النسق فيهما هكذا إلى تمام قسم كبير من الكتاب (الثانى) من جمع الجوامع وهو كتاب الفضلات .

أما الجزء الثانى فيستمر النسق فى أوله جريا على النسق نفسه إلى أن يختم الكتاب الثانى فى صدره بمنصوبات الأفعال . ثم يبدأ نسق آخر ، هو نظام الشرح المتداخل فى المتن بدءًا من الكتاب (الثالث) من جمع الجوامع ، وهو المجرورات وما حمل عليها من المجزومات يتلوها الكتاب (الرابع) فى العوامل ، و (الخامس) فى التوابع وأعراض التركيب ، و (السادس) فى الأبنية وهى علم الصرف المشتمل على صيغ الأفعال والأسماء ومايعرض لها من نحو الجمع والتصغير ، والنسب وبناء المصادر والآلات والمبالغة والإمالة والوقف .

أما الكتاب (السابع) فهو ماسماه السيوطى بالتصريف ، وهو القسم الذى تتغير فيه الكلمة لا لاختلاف المعانى كما يحدث من النقص والإدغام والإبدال والقلب والنقل ونحو ذلك مما لامدخل له فى الحروف ولا فى الأسماء المبنية ولا الأفعال الجامدة نحو ليس وعسى ، وإنما مدخله الاسم المعرب والفعل المتصرف فقط .

وأعقب هذا كله بخاتمة فى (الخط) ويعنى به مانسميه علم الرسم أو علم الإملاء ومنه فصل فى كتابة المصحف .

وأريد أن أنبه هنا على أن الطبعة الأُولى من هذا الكتاب ، وهى طبعة مطبعة السعادة سنة ١٣٢٧ الهجرية بتصحيح السيد محمد بدر الدين النعسانى قد أعتمدت على ثلاث مخطوطات كما ورد فى حواشى ص ٨٠ من الجزء الأول «بياض بالأصل فى النسخ الثلاث» . ومنها نسخة بخط السيوطى نفسه ويبدو أنه استعين بها أو ببعض قطعها أخيرا كما ورد فى هوامش ص ١١٧ من الجزء الثانى : وهكذا وجد بياض فى عدة نسخ منها نسخة بخط المؤلف بمكتبة المرحوم الشيخ إبراهيم السقا » .

والشيخ إبراهيم السقا هذا هو إبراهيم بن على حسن بن حسن السقا . مولده ووفاته بالقاهرة ١٢١٢ - ١٢٩٨ . وكان من الفقهاء الخطباء ، تولى الخطابة فى الأزهر نيفا وعشرين عاما . وهو صاحب كتاب : «غاية الأُمنية ، فى الخطب المنبرية» مطبوع .



لفظان غريبان

أما الأوَّل فكلمة «الحُملان» التى يبدو أنها عامية مبتذلة مع أنها عربية فصيحة ، وهى بضم الحاء كما فى اللسان . حمل الشىء حملاً وحُملاناً ومثله فى القاموس .

وأنشد السيوطى فى البغية ٢٨٠ لعبد الله المالقى :

سهرت أعين ونامت عيون
لأُمور تكون أو لا تكون

فاطرد لهم ما استطعت عن النف
س فحُملانك الهموم جنون

إن ربا كفاك بالأمس ما كا
ن سيكفيك فى غد مايكون

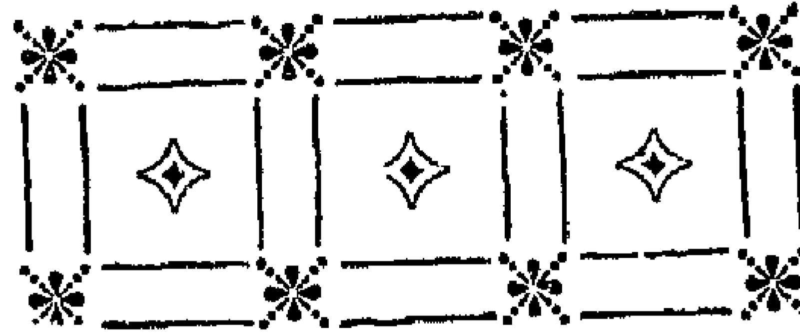
وأما الثانية فكلمة «المِداس» قد تظن كذلك مع أنها عربية فصيحة . ففى المصباح (دوس) : «وأما المِداس الذى ينتعله الإنسان فإن صح سماعه فقياسه كسر الميم لأنه آلة» وإلا فى الكسر أيضا حملا على النظائر الغالبة من العربية» .

وانظر الخزانة ٣ : ٤٤ ـ ٤٥ حيث تجد خبرا مسهبا ورد فيه ذكر «المِداس» تعليقا على قول أبى نواس :

وإذا المطى بنا بلغن محمدا
فظهورهن على الرحال حرام

وقد ضمن المِداس معنى المطية ، وهو خبر طريف .

عبد السلام هارون
الأمين العام للمجمع



مع الرازى

للدكتور حسن على إبراهيم

سبق أن تكلمت فى مؤتمر للمجمع عن طريقة تفكير أبى بكر الرازى وذلك من خلال حوار تخيلت أنه دار بينه وبين ابن سينا وأبو القاسم الزهراوى وبينت أنه كان عمليا فى تفكيره وقلما كان يلجأ إلى الفلسفة كما تكلمت عن التجارب التى أجراها وطريقة تدريبه وما أجراه من أبحاث فى العلاج المقارن واليوم أعود إليه لأتكلم عن نواح أخرى وقد اخترت أمراض المسالك البولية لأنها خير ماكتبه الرازى وكما يقول الدكتور محمد كامل حسين فى كتابه العظيم ومجمله أن ماقاله الرازى فى هذا الباب مازال ينفع معظمه لتدريس طلبة الطب فى وقتنا الحاضر كما يفيد الممارس العام ولكن كما يقولون لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة ولعلى أكون ظالما إذا جريت وراء الكبوات فقط .

يمتاز الرازى بدقة الملاحظة والذكاء الخارق والعلم الغزير فقد كان الرجل أديبا فيلسوفا موسيقيا فلكيا ولكن أهم ماتميز به هو الطب ولو أنه مارسه عندما قارب الأربعين من عمره بينما بدأ ابن سينا يمارس الطب وهو فى السادسة عشرة وكل من يقرأ كتاب الحاوى بتمعن يستطيع أن يرى مقدار علم الرازى بوضوح ولكن أهم مايميز الرازى هو أنه استطاع التخلص من رفقة جالينوس وفلسفته وغيره من فلاسفة الإغريق الذين فلسفوا الطب فقد عارض جالينوس فى كثير من المواضع وخطأه وكان يقول رأيه بعد كلمة ولى أو أقول وهو ما لم يستطعه ابن سينا مع أنه أتى بعد الرازى بما يقرب من قرن من الزمان وبالرغم من معارضة الرازى لجالينوس فإنه كان يكنّ له كثيرا من الإحترام وفى مواضع

(*) ألقى البحث فى الجلسة السابعة ليوم الأثنين ٢٩ / ٢ / ١٩٨٨ م .

كثيرة من كتابه ذكره باسم الفاضل جالينوس ولكن من المؤسف أن رأيه الذى عارض به جالينوس كان خاطئا بمقاييسنا الحالية وكان هذا الخطأ يأتى غالبا فى تفسير الظاهرة المرضية وسببها وهو عيب الأطباء القدامى جميعا فإنهم كانوا يلجأون إلى مايسميه الإنجليز Arm Chair Thouyhts أى أنا والكرسى الوثير وذلك بأن تجلس وتفكر عن منشأ وأسباب المرض وذلك لايتأتى أبدا بالتفكير المجرد بل يحتاج إلى المعامل والمجهر والتجارب والأشعة والتشريح وغير ذلك وذلك لم يكن فى حوزتهم ، والآن سوف أسرد بعض أمثلة مما قاله الرازى فى أمراض المسالك البولية «بول الدم خالصًا غزيرًا بلا سبب ظاهر يكون من انصداع عرق فى الكلى لامتلائه من الدم وقد يكون ذلك من وثبة أو سقطة (لى) رأيت خلقا بالودما كثيرا نقيا فنقدتهم فكان ذلك عن الكلى ولايكاد يكون عن المثانة ويقول «من بال دما بغتة فإن عرقا فى كلاه انصدع وليس يمكن أن يكون ذلك من أجل المثانة وذلك أنه ليس يمكن فى عروق المثانة أن تتصدع من أجل دم ينصب إليها كما يعرض ذلك فى الكلى وذلك أنه ليس يتصفى الدم فى العروق التى فى المثانة كما يتصفى فى العروق التى فى الكلى وإنما يجىء من الدم إلى المثانة مايكفيهما فقط وتتغذى به فأما الكلى فلأن الدم يتصفى فيهما وقد يجىء إليها عروق كبار ودم كثير فضلا عن غذائها ـ كثيرا جدا .

ويقول «وذلك أن العروق التى فى المثانة ليست مكشوفة ولا غير معتمة مثل العروق التى تدخل إلى باطن الكليتين التى قد يحدث فيها التقيح والتصدع من أجل كثرة الأخلاط والعروق إذا تصدعت تفرغ منها دم كثير صحيح أما إذا انفتح دفعة وخاصة إذا كان انفتاح العروق التى يتصفى فيها الدم يسيرا لكنه يرشح منه أرقة قليلا قليلا فيجىء البول قد خالطه شىء من الدم .

ويقول إذا خرج الدم من الكلى بلاقيح ولم يكن معه وجع ولاحرارة شديدة ولاحمى فإن من انفتاح العروق وانشقاقها وماكان من خراج فإن الدم يخرج مع

المدة ثم يصف الدم الآتى من الكلى فيقول يكون الدم رقيقا لاغلظ له ولا لزوجة وهذا صحيح تماما . ويلفت نظرنا فى هذا الوصف الرائع أنه لم يتكلم عن الألم إلا فى حالة الخراج أى أن الدم يكون كثيرا دون ألم وهذا ينطبق تماما على البول الدموى عندما يكون الدم صادرا عن الكلية وهو يحدث غالبا فى حالات أورام الكلية السرطانية وعندما كنا طلبة فى كلية الطب كنا نقول احفظ فى حالات سرطان الكلية وهى profose Peridic. painless, parpoless أى غزير ومتقطع وغير مصحوب بألم وبلاسبب ظاهر .

وما يلفت النظر أيضا أنه يفرق بين الدم الآتى إلى الكلى وبين الدم الذى يغذى المثانة فقد فطن إلى أن الكلى هى مصفاة الدم ولذلك تصلها عروق كبيرة وقد قرر أن من ثلث إلى ربع الدورة الدموية يمر فى الكلى مع كل نبضة قلب وهذا يفوق حاجتها الغذائية بكثير فالكلى ترشح هذا الدم وتستخرج منه السموم الناتجة عن الأيض مثل حمض البوليك والبولينا والأملاح المختلفة بينما لاتأخذ المثانة من الدم إلا مايكفيها لغذائها فقط. فالمثانة خزان للبول تمتلىء فتتقلص وتدفع ماءها إلى الخارج وليست مصفاة للدم كما أنه حيز بين طبقة العروق فى الكلى والمثانة ففى الأولى نجد عروقا كبيرة تتفرع فى جسم هش نسجيا بينما عروق المثانة مدفونة بين عضلها السميك وكلنا نعلم أن الدم الآتى من المثانة يكون فى آخر التبول ولايكون كثيرا كما يحدث فى حالات البلهارسيا والثآليل أو السرطان أو الإلتهاب ولست أفهم بالضبط الفرق بين التصدع أو الإنشقاق ولكن الدكتور كامل حسين يقول إنه ربما كان يعنى بالإنشقاق إنه إتساع غير عادى بالعروق فيرشح الدم من جدرانه كما يحدث فى حالات الإلتهاب مثلا .

ويقول الرازى كلما ضعف الجانب المقعر من الكبد كان إختلاف شبيه بماء اللحم وكذلك من اعتل الجانب المحدب بال مثل ماء اللحم ، وفى الواقع كان الرازى يعتقد أن الفص الأيمن من الكبد متصل تشريحيا بالكلى وهذا خطأ ولكنه ملامس للكلية فقط وقد يمتد الصديد

حول الكلى حتى يصل إلى الحجاب الحاجز ويكون حول الكبد .

كذلك خراج الكبد قد يصل إلى ماحول الكلية وفى كلتا الحالتين قد يخرج مع البول صديد (لى) سيدل على هذا النوع من بول الدم بسوء السمنة واللون وإياك فى هذه الفصد لأن هذا الضعف دال على برد الكبد لكن إستدل عليه ثم أقبل عليه بما يقوى الكبد كالروائد . . . الخ ، وهنا وقع الرازى فى نفس الخطأ الذى وقع فيه من قبله ومن بعده إذ أن جميع أعضاء الجسم الداخلية فى درجة حرارة واحدة فلايوجد عضو ساخن ولا عضو بارد .

ويقول الرازى «قد يخرج من الكلى ماء رقيق كغسالة اللحم الطرى .وذلك يكون لضعف الكلى وهذا إذا لم تميز الكلى من مائية الدم البولى الذى فيه لكن أدته إلى المثانة كما هو وذلك يضعف قوتها الطابخة والهاضمة» وفى الواقع فإن الجزء الأول من الكلام يكاد يكون صحيحا . أما الجزء الثانى يكون صحيحا لو إستبدل الرازى كلمتى الطابخة والهاضمة بكلمة التركيز فإن الكلى الضعيفة لاتركز البول أما الطبخ والهضم فله أماكن كثيرة أخرى كالكبد والمعدة والقناة الهضمية والبنكرياس وغيرها حتى أن المخ نفسه يشارك فى هذه العملية فهو يأخذ الجلوكوز من الدم ويحوله إلى ثانى أكسيد الكربون والماء ، أما الكلى بجانب إفرازها للبول فإنها تدخل فى عمليات الأيض ، فهى تفرز الماء وثانى أكسيد الكربون كما تفعل سائر الأعضاء وتنتج النشادر وتتخلص من بعض الهرمونات فى خلاياها كالجاسترين مثلا وتتخلص من كثير من العقاقير والأدوية كالبارتبيوريت وغيرها .

ويقول الرازى «إن جمعت فى الكلى مدة فإنه يعرض وجع» فى القطن ونتوء فيه دون الشراسيف وإذا نام على جنب أحس بثقل معلق ويتبع ذلك حمى مختلطة ونافض ويكون بوله ناريا فإذا انفجرت المدة سكنت الحمى والنافضة البتة ثم نعلم حال القرحة من جودة المدة وبياضها وتوسطها فى الغلظة والرقة ولاتكون منتنة وإن مال إلى المثانة فذلك أصلح موضع يميل إليه وإن مال إلى الأمعاء كان

شرا من الأولى إلا أنه أصلح من أن ينصب إلى المواضع الخالية يعنى حول الأحشاء ».

والكلام فى جملته جيد وواضح أنه يصف حالة تقيح فى الكلى أو فى كلية كانت أصلا متمددة وقد تعلمنا ونحن طلبة أن المرارة والكلية هما العضوان الوحيدان داخل البطن . الذين إذا أصابهما إلتهاب حاد أحدث حرارة عالية ورعشة أما أن المدة حسنة فذلك خطأ فما دام هناك صديد فى البول فهو يعنى إستمرار الإلتهاب وإن كان قد تفتح أما النتن فإنه ينتج من بعض الميكروبات مثل بكتيريا القولون B. Cdi والميكروبات الأخرى لاتسبب نتنا فى البول كما أننا نعرف الآن إنتهاء الإلتهاب بالفحص المجهرى للبول كذلك بتوزيع البول. أما إنفتاح تقيح الكلى إلى الأمعاء فذلك أمر نادر أما إذا انفجر القيح إلى ماحول الأحشاء فذلك قاتل لأنه ينتج عنه إلتهاب بريتونى حاد وذلك لايحدث إلا نادرًا أيضا فى حالات الكلية المتمددة المنتفخة .

ولعل أبدع ماكتبه الرازى هو ماقاله فى أعراض حصاة الكلية قال «أصحاب الحجارة فى الكلى يصيبهم أشد مايكون من الوجع فى تولُّدها وفى وقت مرورها ونزولها إلى المثانة خاصة وأما فى سائر الأوقات. فإنما يجدون شيئا ثقيلا موضوعا فى موضع الكلى (ومن الأطباء) من ظن أن الحصى يتولد فى بطون الكلى فإن الوجع لايكون عند التوليد وإنما يكون فى وقت المرور (ومنهم) من ظن أنه يتولد فى لحم الكلى بمنزلة مايتولد فى المفاصل » .

أما أن الوجع يكون عند تولد الحصاة فذلك أمر مشكوك فيه فهناك مرضى تحوى كليتهم حصاة كبيرة أو ربما تفرعت هذه الحصاة على هيئة قرون الوعل. لتتفرع داخل الكلى وأنابيبها وكؤوسها ومع ذلك فلم يشعروا بألم قط والذى يعجبنى أنه تنبه إلى أن مرور الحصاة إلى المثانة يكون مصحوبا بألم شديد وهو مانسميه المغص الكلوى وفى الواقع فإن الحصاة لاتسبب ألما إلا إذا إعترضت طريق البول سواء فى مرورها من كؤوس الكلية إلى حوضها

أو إذا سدت مابين حوض الكلية وأول الحالب أو نزلت فى الحالب وسببه الألم أن السدة تسبب إرتفاع ضغط البول فوقها هذا مع تقلص عضلات الحالب تقلصا شديدا ليدفع بها إلى المثانة ويمكن إثبات ذلك الآن بتجربتين بسيطتين .

الأولى أن يدخل منظار فى المثانة وتعين فتحة الحالب ثم من خلال المنظار تمرر قسطرة رفيعة فى الحالب ويدفع بها إلى مافوق مكان الحصاة فيندفع من القسطرة ويزول الألم فى الحال .

والثانية هو مايسمونه تقرير حجم حوض الكلية pelvic estimation فخلال نفس القسطرة الحالبية يحقن سائل محلول الملح الفسيولوجى ببطء حتى يملأ حوض الكلية فيزيد الضغط بداخله ويشعر المريض بألم فى الحال .

وبعد أيها السادة أود أن أقول أنى سقت بعض الأمثلة فقط وعلقت عليها أما إذا أردت أن أكتب وأعلق على كل ماقاله الرازى فى المسالك البولية فإن ذلك يحتاج إلى أكثر من عشرين جلسة فى مجمعكم هذا .

ومما لاشك فيه أن الرازى عاش طويلا وقد كتبت تاريخ ميلاده ووفاته بالتقويم الميلادى كما جاء فى عنوان البحث ويبدو أن هذا هو ماإتفق عليه الباحثون الأجانب أما عن تاريخ وفاته فلم أر اختلافا بين الناس بقدر ما وجدت فى الرازى فالتقديرات تختلف مابين ٦١١ إلى ٦٥٢ هجرية وقد فقد الرازى بصره فى أواخر أيامه ربما من الماء الأبيض أو الأزرق (الجلوكوما) وقالوا

ماذا لو قدحت فقال مامعناه أنه عاش طويلا جدا ورأى من الدنيا مايكفيه ولايريد أن يرى أكثر وقد سافر إلى الرى وهى مسقط رأسه حيث توفى .

أيها السادة شكرا لكم لحسن إستماعكم لهذا الموضوع العلمى الجامد والسلام عليكم ورحمة الله .

الدكتور حسن على ابراهيم

اللغة بين التطور وفكرة الصواب والخطأ

للدكتور كمال محمد بشر

من المقرر فى عرف الدارسين أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتفاعل مع المجتمع تؤثر فيه ويؤثر فيها . ولا يمكن أن نتصور لغة بدون مجتمع ، كما لا يمكن أن نتصور مجتمعا بدون لغة ، فبينهما تبادل تام . واللغة فى ذلك شأنها شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى ، من تقاليد وأنماط السلوك والعادات والأعراف . ومعنى ذلك أن التطور أو التغير سمة لازمة للغة ، فكما تتغير أنماط السلوك بتقدم الزمن وانتقاله من فترة إلى أخرى ، كذلك تتغير اللغة أو يصيبها ما يسمى بالتطور .

والتطور أو التغير فى الأنماط الاجتماعية أو السلوكية قد يكون أحيانا مفاجئا أو سريعا ، وبخاصة فى أوقات الصحوة الاجتماعية ، عندما ينهض القوم ويأخذون بأسباب التقدم وعوامل النمو فى حياتهم الاجتماعية . وهنا قد تحدث فجوة أو صراع بين القديم والجديد . يحدث هذا فى كل أنماط السلوك ويحدث فى اللغة أيضاً . ومن ثم نجد أنفسنا أحيانا فى حاجة إلى أن نقف وقفات قصيرة أو طويلة أمام بعض القضايا التى تحتاج إلى نظر كما قد يختلف الناس أيضاً حول بعض الأنماط الاجتماعية ، وتتصارع الفكر ويتباحث المفكرون ويختلفون فيما بينهم : أهذا النمط من السلوك صحيح أم خطأ ؟ أهذا الأسلوب فى اللغة صواب أم غير صواب ؟ . . . الخ .

والتطور فى اللغة — كما قلنا — سمة لازمة ، وينشأ على مرحلتين اثنتين متصلتين غير منفصلتين .

(*) ألقى البحث فى الجلسة العلنية المسائية ليوم الإثنين ٢٩ / ٢ / ١٩٨٨ م .

المرحلة الأولى فردية يقوم بها إنسان ما أو مجموعة من النـاس غير متفقين ، كأن يتبكر أو يولد فرد كلمة أو عبارة أو يعمد إلى تغيير معنى كلمة من الكلمات بطريق التوسع أو المجاز الخ . هذا التغير قد يفشل وقد ينجح . فإذا فشل انتهى وقضى الأمر ، وإذا نجح ذاع وشـاع وتلقته الجماعة بالقبول . وبمرور الزمن يصبح تقليدا أو عادة ويصير جزءًا لا يتجزأ من نظام اللغة المعنية . هذا القبول الجماعى الذى يمثل المرحلة الثانية ربما تنشأ عنه بعض المواقف التى تحتاج إلى نظر وتدبر من ذوى الشأن المعنيين بسلامة اللغة والمحافظة عليها . فهناك جديد انضم إلى القديم : أهذا الجديد صواب أم خطأ ؟ وما وجه الخطأ والصواب ؟ ومعيار الحكم ؟ المفروض – فى رأينا – أن يفسر الجديد فى ضوء مفهوم التطور . ولكن ما معنى التطور فى اللغة ؟

اختلف الدارسون فيما بينهم وقدموا لنا أربعة آراء ، نوجز مضمونها فيما يلى :

الرأى الأول :

ويرى أصحابه أن التطور اللغوى يعنى الانتقال باللغة من حالة إلى حالة أحسن وأفضل إذ إن ذلك يعنى أن اللغـة قد جدت فيها ظواهر من شأنها أن تفى بحاجة المجتمع وتؤدى أغراض التعبير وتقدم وسائله لمقابلة التجديد أو النمو فى الحياة الفكرية والحضارية والعلمية الخ . . . .

الرأى الثانى :

يتجه اتجاها آخر ويقرر أن التغير يستلزم فى أغلب الحالات أو بعضها الخروج عن القواعد الثابتة المقررة ، فهذا التغير إذن ضرب من الخطأ الصرف ، وينبغى أن ينظر إليه على هذا الأساس .

الرأى الثالث :

يتوسط فى الأمر وينظر إلى التطور على أنه نوع من الميل أو الانحراف عن القاعدة الأصلية ولكنه لم يصل بعد

إلى درجة الخطأ المحض ، إذ من الممكن تفسيره أو تسويغه ورده إلى أصل من أصول اللغة أو بعض قواعدها . وأنماط استخدامها .

أما الرأى الرابع :

فيفسر التطور فى اللغة بمعنى مجرد التغير : تغير فى الأصوات أو بنية الكلمات أو فى قواعد النحو وأساليب التراكيب ودلالاتها . وواضح أن أصحاب هذا الرأى لا يشغلون أنفسهم بقضية الصواب والخطأ بقدر انشغالهم بملاحظة ما جدّ فى اللغة وتسجيل هذا الجديد . إنهم معنيون فى المقام الأول برصد الظواهر الجديدة وتحليلها . وتصنيفها . وهؤلاء هم أصحاب البحث العلمى الذين يجهدون أنفسهم فى سبيل الوصول إلى الحقائق وتركها تتحدث عن نفسها ، ولمن شاء – بعد – أن يتلقى هذه الحقائق وينظر فيها من زاوية أخرى ، وهى زاوية إعادة النظر فى هذه المادة لبيان موقعها والحكم عليها فى إطار فكرة الصواب والخطأ بمعايير تختلف باختلاف وجهات نظر الدارسين وأهدافهم .

ونحن من جانبنا سوف نأخذ بهذا الرأى الأخير بوصفه منطلقا لمعالجة الموضوع معالجة علمية مع تضمينه نجاهنا الخاص فى تفسيره وكيفية الإفادة منه ومن مبادئه فى الوصول إلى رأى محدد فى هذه القضية : قضية التطور وفكرة الصواب والخطأ فى اللغة . ولا علينا فى هذا المقام أن نشير فى البدء إلى شيء من أسباب التطور اللغوى . ومعلوم أن هذه الأسباب كثيرة متداخلة متشابكة ، ولا يمكن حصرها حصرا كافيا فى هذا المقام ، ومن ثم سوف نقنع بإيراد أمثلة منها بقصد التوضيح . من هذه الأسباب :

١ – التطور نفسه ، وهذا أمر طبيعى مقرر معروف .

٢ – الحاجة إلى الابتكار أو التوليد أو التجديد فى بعض الظواهر اللغوية لمقابلة أغراض الدارسين والباحثين وللوفاء بأساليب الحياة وأنماط السلوك فيها المتجددة دائما وأبدا .

٣ – التأثر باللغات الأجنبية بطريق الترجمة أو بغيرها . وقد يظهر تأثير

اللغات الأجنبية فى الأصوات أو قواعد الصرف والنحو والأساليب والتراكيب . وتختلف حالات التأثر والتأثير بدرجات متفاوته من مستوى لغوى إلى آخر ، ومن بيئة إلى بيئة أخرى .

٤ — ويلحق بهذا سبب آخر واضح ، وهو اختلاط الجنسيات بعضها ببعض فى الوطن الواحد : قوم عرب وقوم غير عرب ، وغير العرب أحيانا ينتمون إلى أكثر من أمة أو دولة ، ويختلط هؤلاء بأولئك قليلا أو كثيرا ومن ثم يحدث التأثير والتأثر بين لغة أهل البلد الأصليين واللغة أو اللغات القومية للوافدين . وأظن أن هذا الوضع واضح تماما فى بعض البلاد العربية التى تكثر فيها الجاليات الأجنبية .

٥ — ومن أسباب التغير فى اللغة أيضاً ، ما يتعلق بالنطق وميكانيكيته ، كما يحدث أحيانا فى الانحراف عن النطق السائد المقرر ، إما لعيوب خلقية ، كما فى الفأفأة والتأتأة واللثغة الخ . . وإما لجهل بقواعد النطق وإما لفقدان التربية النطقية .

تلك إشارات خفيفة إلى شىء من أسباب التطور اللغوى أو التغير فى اللغة . وعلينا الآن أن ننظر فى معايير الحكم ، متى سلمنا بأن اللغة يصيبها التغير أو التطور . من المقرر أن أمثلة هذا التطور وقعت فى اللغة العربية على كل المستويات ، وفى كل الفترات . ما حكمنا على هذه الأمثلة الجديدة ؟ أهى صواب أم خطأ ؟ من المعروف أن قضية الصواب والخطأ قضية قديمة شغل بها العرب أنفسهم منذ بدء التدوين اللغوى ، وعرفت أيضاً بحركة التنقية أو التصويب اللغوى . تصدوا لهذا العمل عندما أحسوا بانتشار اللحن والتحريف فى كلامهم لأسباب كثيرة أهمها اختلاط العرب بالأعاجم أو الأجانب بوجه عام .

يظن بعض الدارسين أن اللحن ظهر أول ما ظهر فى النحو . وهذا رأى غير دقيق من الناحية العلمية ، إذ اللحن ظهر . — ويظهر دائماً وأبدا — على كل المستويات أصواتاً وصرفا ونحوا . ويمكن تفسير مقولتهم هذه على أية حال — بأنهم لاحظوا اللحن فى النحو

قبل ملاحظتهم له فى بقية المستويات الأُخرى ، أو لاحظوه فى هذه المستويات ولكنهم لم يهتموا به اهتمامهم بما شاب النحو من تحريف أو خطأ .

ولكن تظل الحقيقة باقية ، وهى احتمال وقوع اللحن فى كل الظواهر اللغوية بلا استثناء . وربما ساغ لنا القول بأن الخطأ فى الأصوات أو النطق هو المستوى الأول المرشح لوقوع التجاوز والتحريف فيه ، فانتقال النطق من السالف إلى الخالف معرض دون شك لشىء من التغير أو عدم التقليد الدقيق للمنطوق بكل خواصه ودقائقه . وهذا الأمر واضح كل الوضوح عندما يمارس الصغير أو الأجنبى عملية النطق ، فإنه ولا شك معرض للتجاوز أو اللحن أو الخلط فى نطق بعض الأصوات . وقد يمتد هذا أيضاً إلى الخطأ فى الصيغ الصرفية وبعض السمات النحوية كذلك .

وانشغال العرب باللحن فى القديم (وأحسبه فى الحديث كذلك) يرجع إلى عدة من العوامل . أهمها عاملان أو سببان ، أحدهما دينى والآخر أدبى اجتماعى . فمن الناحية الأُولى كان اهتمام العرب موجها إلى فصحاهم محافظة عليها وعلى كتاب الله ، فهى أداته وهى لسانه المبين . وفى الجانب الآخر ، كان اللحن فى نظرهم هجنة ومذمة ومنقصة . والقصص المروية عن هذا الجانب الأدبى الاجتماعى كثيرة معروفة ومتناثرة هنا وهناك فى المصنفات اللغوية والأدبية جميعاً .

أما المقصود بالمصطلح الشائع « اللحن » ففى تفسيراته عدة توجيهات : قيل معناه الخطأ أو هو من التلحين والغناء والتطريب ، أو اللحن الإرماز أوالتكنية أو الفطنة . أما قول قائلهم :

منطق صائب وتلحن أحيا

نا وخير الكلام ما كان لحنا

فقد روى فى تفسير « اللحن » فيه عدة وجوه . قيل إنه من الغناء والتلحين وقيل معناه « الخطأ » ، وهذا الخطأ محبب من هذه الحسناء ، وفسره آخرون « بالفطنة » فهى امرأة فطنة ذكية .

ولنعد الآن إلى قضيتنا الأصلية ، وهى البحث فى معايير الصواب والخطأ ونقرر منذ البداية أن « اللحن » فى عرف قدامى اللغويين المحترفين هو الخطأ ، أو بعبارة علمية هو الخروج عن القواعد والضوابط الرسمية المتعارف عليها لدى أصحاب الاختصاص ومن على شاكلتهم من المعنيين باللغة وشئونها . فما خرج عن هـذه القواعد أو ما انحرف عنها بوجه من الوجوه يعد لحنا أو خطأً ، وماسار على هديها وجاء مطابقاً لمبادئها فهو صواب . ولم يشذ أحد عن هذا المعيار والاحتكام إليه فى هذه القضية طوال تاريخ العربية إلا نفر قليل منهم - وبخاصة فى أيامنا هذه - ينظرون إلى بعض الأمثلة بشىء من التسمح ويحاولون تصحيحها أو تفصيحها بطريق التأويل أو بربطها بلهجة قديمة أو بصور نادرة فى الاستعمال أو جائزة على رأى أو توجيه من التوجيهات التى تقبلها بعض نصوص العربية ، لمرونة قواعدها وضوابطها العامة .

أما فى النظر الحديث فقد اختلف الدارسون فى الوصول إلى معايير محددة وذلك لسببين ، أولهما اختلافهم فى تحديد مفهوم « اللغة » وثانيهما اختلاف وجهات نظرهم حول نوعية المعايير وعددها . فبالنسبة لمفهوم اللغة برز اتجاهان متقابلان : اتجاه يرى أن « اللغـة » هى ما يجب أن يتكمله الناس ، ومعناه أن هناك نموذجا لغويا اتفق عليه ، ويجب الأخذ به فى كل حين وآن ، فمن حاد عن هذا النموذج أو انحراف عنه قليلا أو كثيرا عد مخطئاً ، ومن التزم به وسار على دربه فهو مصيب . وقد عرفت هذه النظرة « بالنظرة المعيارية » ، كما عرف أتباعها « بالمعياريين » . وهم قوم من اللغويين يسعون إلى محاولة استخلاص مجموعة من القوانين اللغوية للغة ما ، ويرون فرضها على أصحاب تلك اللغة ووجوب التزامهم بها .

أما الاتجاه الثانى نحو مفهوم اللغة فيرى أصحابه أن اللغة « هى ما يتكامه الناس بالفعل » ، فهم ينظرون إلى الواقع والحاصـل بالفعل ، ويكتفون

بوصف هذا الواقع وتحليله ، ولا عليهم بعد ذلك أن ينظروا فى خطئه أو صوابه . فهل معنى هذا أن « الوصفيين فوضويون ؟ الجواب بالنفى ، إنهم يلتزمون بمنهج علمى معترف به يقفون عنده ولا يجاوزونه . إنهم يقومون بدراسة اللغة دراسة مبنية على الملاحظة والتسجيل والتحليل الوصفى ،ويخرجون من كل ذلك بمجموعة من القواعد والضوابط ولكن دون فرض لها . وهنا تنتهى مهمتهم ، ويأتى بعدهم من يشاءُ ويتلقى نتائجهم ، وله أن يأخذ بها كما هى أو يختار منها ، ويفرض ما يختار وفقاً لأغراضه ، وأهدافه ووفقاً لموقعه ومسئوليته . إذن لنا أن نقرر أن الوصفيين مشغولون أيضاً بالقواعد ، ولكنهم لا يحاولون – وليس من شأنهم – فرضها على المتكلمين ...

أما فيما يتعلق بالسبب الثانى ، للاختلاف فى تحديد معايير معينة فقد ظهر أثره فى تقديم مجموعة متباينة من المعايير ، كل معيار منها صالح للأخذ به فى نظر أصحابه وقد وردت إلينا فى هـذا الشأن سبعة معايير [1] .

المعيار الأول :

هذا المعيار – فى جملته – يمثل وجهة نظر المعنيين بشئون اللغة من الرسميين ، وأصحاب النظرة « المحافظة » التقليدية . إن هؤلاء يرون أن أساس الحكم والصواب يتمثل فى القواعد والضوابط اللغوية المسجلة فى كتب اللغة المتعارف عليها والموثوق بها والتى يجرى التعامل على هديها ووفقا لما قرر بها . وهذه النظرة – وإن كانت ذات أهمية بالغة فى تعليم اللغة – يؤخذ عليها أنها تنكر حقيقة التطور الذى يصيب اللغة من آن لآخر ، إذ اللغة قابلة للحركة : شىءٌ يجد وشىءٌ يختفى الخ . .

المعيار الثانى :

هو ما يشار إليه « بالمعيار الجغرافى » . وخلاصته أن قوما من الدارسين يرون أنه فى الإمكان اتخاذ لغه بيئة معينة معيارا للحكم ، لأسباب تؤهلها لذلك ، من ذلك مثلا لغة العواصم ، حيث يوجد المجتمع المثقف عادة ، فهناك الجامعات ، والمؤسسات العلمية والصحافة والإذاعة وهناك أيضاً جو اجتماعى عام يساعد على الاختلاط الذى من شأنه أن يعمل على

---

(١) قد أفدنا فى الحديث عن المعايير السبعة التالية مما قرره « يسبرسن » فى كتابه :
Mankind, Nation and Individual Froma Linistic Point of View .

ظهور مستوى لغوى صحيح مقبول ، يمكن الاعتماد عليه والأخذ به مقياسا للحكم فى هذه القضية .

وقد يعترض على هـذا المعيار بأنه ليس من الضرورى أن تكون لغة العواصم أصح أو أفضل من غيرها من لغة بيئات أخرى أو لهجاتها . أضف إلى هذا أن العواصم تتسم بسمات تبعدها فى نظر بعضهم عن هذا الموقع ، إذ هى ساحات معهودة لتجمعات من البشر غير متجانسة فى الثقافة وأنماط السلوك ، وغير متجانسة أيضاً فى مستويات الكلام وفى عبارة موجزة : فيها أخلاط من البشر وأخلاط من اللهجات والرطانات ، وهذا بدوره يؤدى إلى الخلط فى الاستعمال اللغوى الأمر الذى يفقد هذا المعيار صلاحيته المطلقة للحكم .

وفى وطننا العربى بالذات يصعب الأخذ بهذا المعيار ، إذ العواصم العربية كثيرة ولا يمكن الأخذ بلغة واحدة منها دون الأخريات ، حيث لا مجال للتفضيل بينها لغويا واجتماعيا وثقافيا .

فكلها متشابهة من حيث الخلط اللغوى وتعدد الطبقات الاجتماعية والثقافية . والأخذ بلغة هذه العواصم جميعاً يفوت على أصحاب هذا المعيار هدفهم وهو الوصول إلى مستوى لغوى ذى ضوابط وسمات محددة تمكن العود إليها عند الحاجة . فما أبعد الوصول إلى هذه السمات والضوابط وسط هذا الحشد الهائل من اللهجات والرطانات المتنافرة المختلفة اختلافاً واسعاً فى شكلها ومضمونها . هـذا بالإضافة إلى أن المستوى اللغوى بهذه العواصم – مجتمعة ومنفردة – مستوى يبعد أن يكون أهلا للقياس عليه أو للسير على هديه ، لما فيه من ضعف ظاهر وخروج كبير عن قواعد العربية التى ينبغى الحفاظ عليها وتنميتها ، دون أن نضحى بخواصها الأساسية المميزة لها .

نعم قد يعمد أقوام من الناس إلى اختيار نمط من الكلام تؤهله ظروفه الثقافية والاجتماعية واللغوية لأن يكون نواة أو أساسا للغة مشتركة صالحة للأخـذ بها وحسبانها منطلقاً لتنمية

لغة صحيحة يرتضونها معيارا ومثالا يحتذى ويمكن العود إليه فى قضية الصواب والخطأ هذه .

حدث هذا فى إنجلترا ، حيث توصلوا هناك إلى تحديد ضوابط وسمات معينة للغة سموها Standard English أو ما يطلقون عليهـا أحيـانا Received English وبنوها فى الأساس على لهجة عرفت بالنقـاء النسبى المقبول من العـامة والخاصة على سواء . هذه اللهجة – على ما نعرف – هى لهجة أهل الجنوب ومن ثم نراهم يستخدمون أيضاً المصطلح ، Southern English للإشارة إلى هذا الأصل الذى أصبح الآن يمثل المستوى اللغوى الذى يجرى به التعامل فى الدوائر الرسمية والعلمية والثقافية ، والذى أصبح النموذج الإنجليزى العـام المتبع فى حقول التعليم .

وفى ظننا أن شيئاً من هذا القبيل ، حدث للغة العربية فى عصورها الأولى إذ المروى أن فصحانا ترجع فى أصولها الأساسية إلى لهجة قريش ، وهى لهجة عرفت بسمة الانتشار لما كان لأهليها من نفوذ سياسى ودينى ، ومكانة ثقافية واجتماعية واقتصادية متميزة .

المعيار الثالث :

وقد عرف فى الأوساط اللغوية بالمعيار الأدبى . ومجمل الرأى فيه أنه فى الإمكان الاعتماد فى هذا الشأن على لغة كبار الأدباء والشعراء والمفكرين وخاصـة المثقفين ، إذ المفروض أن تكون لغة هؤلاء القوم على درجة من الفصاحة والصحة ترشحها لأن تكون مثلا صالحا وأساسا مناسبا للحكم فى قضية الصواب والخطأ . ولكن هذا المعيار – كسابقيه – وجهت إليه بعض التساؤلات . من هم كبار المفكرين والأدباء ؟ ومن هم خاصة المثقفين ؟ وما أساس الحكم هنا أو هناك : أنبنيه على الشهرة أم على كثرة الإنتاج ؟

أما بالنسبة للشهرة فإنها لا تعنى بالضرورة جودة اللغة أو صحتها المطلقة ، فقد يكون المرء غزير الإنتاج واسـعه ، ومع ذلك لا ترقى لغته – فى مجملها – إلى درجة « المعيارية » فى كل الحالات وربما يكون للشهرة أسباب أخرى غير لغوية .

وليس من النادر على كل حال أن نلحظ شيئاً من التحريف والعيوب اللغوية فيما يصدر عن هؤلاء وأولئك بلا استثناء في أعمالهم المكتوبة . واختيار أديب أو كاتب أو مفكر معين للاهتداء بلغته أو طرائقه في الاستعمال اللغوي لا يخرجنا من هذا المأزق . سوف تصطرع الآراء وتختلف وجهات النظر حول هذا المختار وأسباب اختياره . وبالجملة نستطيع أن نقرر أن هذا المعيار وحده لا يكفي في قضيتنا هذه . وإن كنا لا ننكر إمكانة الانتفاع به .

المعيار الرابع :

يميل بعض الدارسين إلى الأخذ بمقولة قديمة ، خلاصتها أن ما جاء من التوظيف اللغوي مطابقاً لقواعد « المنطق العام » مقبول وصحيح ، وأن ما جاوز هذه القواعد خطأ لا يؤخذ به . وفي رأينا أن هذا « المعيار المنطقي » « غير دقيق ، ولا ينبغي اتباعه دائماً في كل اللغات ، إذ ليس من المنطق ربط اللغة ربطا وثيقاً أو دائما « بالمنطق العام » لأن لكل لغة منطقها وخواصها المعينة . فهناك في اللغة العربية مثلا نقابل بأمثلة من القواعد النحوية منوعة لا تسير وفقا لما تقتضيه قواعد « المنطق » في عرف الناس ، ولكنها في الوقت ذاته وقعت في العربية بصفتها خاصة من خواصها المميزة لها .

من ذلك مثلا أحكام المطابقة في التذكير والتأنيث في أحوال العدد من ثلاثة إلى عشرة ، إذ تقتضي قواعد العربية وجوب المخالفة في هذه الحالة . كما هو معروف ، على عكس ما هو متوقع من وجهة النظر المنطقية الخالصة . وهناك أيضاً في باب العدد يأتي التمييز (وجوبا) بصيغة المفرد في حين أن العدد ينتظم فكرة « الجمعية » . وذلك واضح في تمييز الأعداد المركبة والعقود والمائة والألف الخ . . نقول : خمسة عشر رجلا وعشرون امرأة ومائة جندي . ثم ما المنطق في وجوب إعراب كلمات ووجوب بناء كلمات أخرى ؟ إنه منطق العربية ، وهذه خواصها .

وليس معنى هذا على أية حال أن اللغات تناقض المنطق أو لا تتمشى مع أحكامه دائما وأبدا . ما نريد أن نقرره هو أنه ليس هنا توافق مطرد بين قواعد اللغات وقواعد المنطق العام . نعم ، هناك صلات مسلم بها بين اللغة والمنطق فى بعض القضايا الجوهرية ولكن على الرغم من ذلك ، المنطق اتجاهاته وللغة هى الأخرى طرائقها وقد يتفقان وكثيرا ما يختلفان . ودليل ذلك اختلاف اللغات فيما بينها فى جملة من مظاهرها وسماتها ، ولو كانت اللغات متمشية فى كل حال مع المنطق العام ما اختلفت اللغات. واللغات – كما نعلم – تختلف فيما بينها اختلافا واضحا فى جملة قواعدها .

المعيار الخامس :

أطلقوا على هذا المعيار « المعيار الذوقى » . اتجه بعض الدارسين إلى ربط الحكم بالصواب والخطأ على الظواهر اللغوية بعامل « الذوق » . فما جاء منها مقبولا من الذوق العام عد صحيحا ، والعكس بالعكس .

وهذا المعيار – فى رأينا – لا يمكن الاعتماد عليه فى هذه القضية ، لأن « الذوقية » أمر « نسبى » ، يعتمد على الاتجاه الفردى أو الشخصى ، وكثيرا ما تختلف الأذواق فى الحكم على الأشياء ، لأسباب كثيرة ، نفسية واجتماعية وثقافية الخ . وليس هناك مانع بالطبع من أن نلجأ إلى عامل الذوق وقت الحاجة للاستعانة أو الاسترشاد به ، شريطة ألا يناقض الأخذ به ما بنى أو أسس على أحكام موضوعية .

المعيار السادس :

ويسميه بعضهم «المعيار الأرستقراطى » ويعنون بذلك أنه يمكن الأخذ فى هذا الشأن بلغة « الأرستقراط » أو الخاصة من القوم ، على أساس أن هؤلاء لديهم فرص طيبة للتفوق الثقافى والاجتماعى ، بالإضافة إلى ما عرفوا به من اتخاذ أسلوب لغوى متميز يتسق مع منزلتهم ذات الوضع الاجتماعى الرفيع .

وهذا المعيار بدوره ليس صالحا للأخذ به وحده فى كل زمان ومكان . ربما

يصدق هذا القول على بعض البيئات فى بعض الفترات ، كما هو الحال فى الماضى - والحاضر أيضاً - فى الوسط الأرستقراطى الإنجليزى ، وأوساط أخرى ثقافية تحاول الاحتفاظ بلغة أو لهجة منتظمة لخواص وسمات جيدة حرمت منها اللهجات الأخرى فى البيئة الإنجليزية فى عمومها .

غير أن هذا المعيار إن صح هناك لا يصح فى بلادنا العربية . فخاصتنا الأرستقراطية فى الماضى القريب لم تكن لديها معرفة كافية باللغة العربية ، بحيث يمكن الاقتداء بها أو الاعتماد عليها فى التوظيف اللغوى الفصيح الصحيح . والمشهور أن كثيرا من الأرستقراط فى مصر قبل ثورة ٥٢ كانوا يتعاملون فيما بينهم بلغات أجنبية إنجليزية أو فرنسية . أما الآن فليس بالبلاد العربية ما يمكن أن نطلق عليهم مصطلح « الأرستقراط » بالمعنى الدقيق ، وإن كانت هناك فئات تحظى بقدر كبير من الثروة ، ولكنهم - فى الوقت نفسه - على درجة متواضعة من الثقافة والمعرفة باللغة التى يمكن أن تتخذ نموذجاً للاقتداء بها أو السير على هديها .

المعيار السابع :

ويدعى « المعيار الديمقراطى » « أو » العام » أو « الجماهيرى ». ومعناه إمكانية العود إلى لغة الجماهير أو الشعب فى عمومه بقطع النظر عن فئاته أو طبقاته . إذ إن هذه اللغة تنظم مجموعة من السمات والخواص التى يشترك فى توظيفها أفراد المجتمع المعين .

وقد اعترض على الأخذ بهذا المعيار فى قضية الصواب والخطأ ، حيث إن « عمومية » الكلام مصطلح ذو مفهوم غامض ، ربما يجرنا إلى الاضطراب أو الدخول فى متاهات الاختلاف بين المستويات اللغوية الناشئة عن الفروق الفردية الثقافية والاجتماعية ، بالإضافة إلى الفروق فى التوظيف اللغوى . وهذا كله يعنى فقدان الحدود الواضحة التى يمكن الاعتماد عليها فى هذا الشأن . والقيام بحصر الظواهر اللغوية الشائعة بطريق العمليات الإحصائية

سبيل غير عملى ، لاحتياجه إلى جهود جبارة وتمويل ثرى غنى .

تلك جملة من المعايير التى قدمت للفصل فى قضية الصواب والخطأ فى اللغة ، وكلها – أو جلها – واجهتها بعض الاعتراضات ، كما رأينا . وهى اعتراضات تجعل الأخذ بهذه المعايير جملة وتفصيلا أمرًا غير مرغوب فيه ، لقصور فى بعضها وعدم الدقة فى المبادئ التى بنى عليها بعضها الآخر . وهنا نتساءل : أمعنى هذا أننا وصلنا إلى طريق مسدود فى هـذا الشأن ؟ الجواب بالنفى طبعاً .

لنا فى هذه القضية رأى معين بنيناه على أساس نظرتنا إلى واقع اللغة ومايجد فيها من ظواهر من جهة وإلى ما ينبغى علينا القيام به نحو هذا الجديد بوصفنا مسئولين عن لغتنا من جهة أخرى . أما من الناحية الأولى فلا مفر من الاعتراف بأن اللغات جميعها يصيبها شىء من التغير من فترة زمنية إلى أخرى ، ومن بيئة إلى أخرى ، بحسب الظروف والأحوال . هذا واقع لاسبيل إلى إنكاره أو رفضه أو قبوله دون نظر وتدبر . ومن الناحية الثانية ، هذا الجديد الذى اعترفنا بوقوعه ينبغى النظر فى حدوده واتجاهاته ، كى نضع له ضوابط ومعايير ، على أساس منها يكون الحكم عليه بالصواب أو الخطأ ؛ إذ ليس من النظر العلمى فى شىء أن يقبل الجديد كله أو أن يرفض كله . إذن هناك أولا دراسة ونظر ، ثم يعقب ذلك خروج بنتائج معينة توزن بمعايير يرتضيها منطق اللغة المعينة مع التسليم بمبدأ التجديد فى حدود هذه المعايير أو المقاييس .

لهذا كان منهجنا ذا جناحين أو خطوتين اثنتين متصلتين غير منفصلتين .

الخطوة الأولى وصف الظواهر الجديدة وتحليلها ، وهذا عمل البحث العلمى الموضوعى . والثانية رسم حـدود أو خطوط عريضة نسترشد بها فى الحكم على هذه الظواهر . والخطوة الأولى تتمشى مع ما يسمى المنهج الوصفى والأخرى تطبيق للمنهج المعيارى . الأول وظيفة الباحثين والثانى مسئولية المعلمين ، ونحن بحمد الله نجمع بين الموقعين . ومن ثم لايعترض علينا بالخلط بين المناهج ، إذ إن لكل منهج فى عملنا هذا

دوره المخصص له . وهما فى حالتنا هذه يكمل أحدهما الآخر .

ويتلخص رأينا فى قضية الحكم بالصواب والخطأ على الظواهر اللغوية الجديدة فى الأخذ بثلاثة مبادئ متكاملة . يقود أحدها إلى الآخر . هذه المبادئ هى :

أولا : استشارة المراجع اللغوية المعتمدة والمعمول بها فى معاهد العلم ، والجارى اتباعها والأخذ بما جاء فيها من قواعد .

ثانياً : إن وجدنا ضالتنا فى هذه المراجع فبها ونعمت ، وإلا رجعنا إلى الثقات من العلماء والدارسين المتخصصين . علنا نجد عندهم التفسير أو التوضيح أو إبداء الرأى فيما نستفتيهم فيه . إذ لديهم من المعرفة والخبرة ما من شأنه أن يضع الأمور فى نصابها ، بحكم تعمقهم واطلاعهم على ماقد يعجز الدارس العادى عن الوصول إليه أو العثور عليه من مراجع أو آثار علمية أو أفكار متناثرة هنا وهناك فى كتب اللغة .

ثالثاً : الشيوع أو اطراد الاستعمال للظواهر الجديدة مبدأ يمكن الأخذ به والاعتماد عليه فى الحكم فى قضية الصواب والخطأ لما استجد واستحدث من عناصر لغوية مخالفة فى ظاهرها أو تبدو كذلك بالنسبة للموروث المتعارف عليه من ضوابط .

هذه المبادئ الثلاثة تكون إطاراً متكاملا وخطة للنظر منهجية تأخذ بيد الدارس فى سهولة ويسر وبطريق علمى نحو إبداء الرأى فيما يواجهه من جديد أو تطور فى اللغة على كل مستوياتها .

وتفسير المبادئ المذكورة هو أنه ينبغى النظر فى الجديد فى ضوء القديم ، أى فى ضوء القواعد المسجلة أولا . فإذا وفقنا إلى حاجتنا وقفنا عند هذا الحد . ولكن الاعتماد على القواعد المسجلة وحدها تكتنفه بعض الصعوبات أحياناً ، ولذلك أسباب عدة . منها :

١ – ربما يكون للظاهرة اللغوية الواحدة أكثر من وجه من حيث الجواز وعدمه أو من حيث درجة هذا الجواز من وجهة نظر اللغويين . ومن ثم يحار المرء عند اختيار وجه دون وجه ، أيأخذ بهذا أم بذاك ، كما يحار فى تحديد المعيار الذى ينبنى عليه هذا الاختيار .

٢ - التقعيد اللغوى العربى مملوء بالتأويل والافتراض والتفسير المغرق فى الجدل والفلسفة ، كما هو معروف . والأخذ بهذا النهج يفتح الباب على مصراعيه لكل « جديد » ، إذ سوف نجد له مندوحة فى إطار هذا المسلك غير العلمى ، أو نعثر له على تفسير مفترض أو متخيل ، يسمح له بالانضمام إلى دائرة الصحة دون وجه حق . ومن ثم يصدق علينا حينئذ ماقالوه قديما : « لايخطئ نحوى قط » . وهى - فى رأينا - مقولة صادقة غير صادقة فى الوقت نفسه .

٣ - الاعتماد على القواعد المسجلة وحدها فى كتب القواعد المعروفة لنا قد يفوت علينا الغرض أحياناً . من الجائز ألا نجد نماذج أو أمثلة يمكن القياس عليها أو الاسترشاد بها فى الحكم على الظواهر « الجديدة » ، إذ ليس من المفروض أن تكون تلك القواعد القديمة قد وضعت بحيث تغطى كل أمثلة اللغة قديمها وجديدها على مر الزمن الطويل الخاضعة ظروفه للتغير والتطور . والمعروف أن قواعد العربية (وغيرها) تتصف بالعموم لا بالشمول ، وهذه قضية مهمة لم يلتفت إليها بعض الدارسين : فرق بين العموم والشمول : العموم معناه استخلاص الحكم العام من الأمثلة المتاحة للدارس قدر الطاقة فى الظرف المعين . وهذا يعنى إمكانية وجود أمثلة أخرى لاينطبق عليها الحكم ، إمّا لقصور فى جمع المادة ، وإما لعدم الوقوف على أمثلة نافرة ، لهجية أو غير لهجية (وربما تكون صحيحة بالنسبة لبيئتها) ، ومن ثم لم تؤخذ فى الحسبان عند التقعيد . ودليلنا على ذلك ما يقابلنا من وقت إلى آخر فى بعض المراجع القديمة القليلة التداول بين عامة الناس من إشارات خفيفة إلى مثل هذه اللهجات أو الأمثلة[1] .

---

(١) من ذلك مثلا : كلمة « البعض » بالألف واللام تعد خطأ فى نظر بعض الدراسين ، فى حين أن ابن جنى استعملها بهذه الصورة (محلاة بال) فى خصائصه ، وأجازها مجمع اللغة العربية بالقاهرة مؤخرا . التركيب « قد لا » أى دخول « لا » على « قد » يظنه بعضهم من باب الخطأ ، فى حين أن ابن جنى (فى الخصائص أيضا) استعمله أكثر من مرة وجاء فى ألفية ابن مالك :

والمصروف قد لا ينصرف

درج أغلب اللغويين على القول بأن « كافة » لا تأتى إلا حالا مجردة من ال وللعاقل دون غيره ، اعتمادا على أنها لم يستخدم إلا كذلك فى القرآن الكريم ، فى حين أنا نجد « كافة » مستعملة فى غير الحال ومعرفة بالإضافة ومجرورة بالحرف =

ومعنى هذا أن معيار العودة أو الرجوع إلى الكتب أو إلى القواعد الرسمية الموروثة وحده لا يكفى فى كل الحالات . وهذا يقتضى التماس النصح من الثقات والمهتمين بشئون اللغة ، كرجال المجامع اللغوية . فهؤلاء الثقات أكثر معرفة وأوثق صلة باللغة وقواعدها من جماعة المتخصصين والمثقفين عموماً . ولكننا هُنَا فى هَذِهِ الحَالَة أيضاً قَدْ نعجز عن الوصول إلَى فَتْوَى واضحة حاسمة تقطع الشك باليقين . ذلك أن هؤلاء القوم – لشدة حرصهم على سلامة اللغة – يختلفون فيما بينهم اختلافاً كبيراً فى طرائق النظر فى الظواهر الجديدة وفى معايير الحكم عليها . هَذَا بالإضافة إلَى أن الأَمْر قَدْ يمتد بهم أياماً بل شهوراً لإبداء الرأى فى المسألة الواحدة.

نعم ، إنهم مشكورون على جهودهم وتفانيهم فى خدمة اللغة ، ولكن هذا النهج ربما يقف بهم حيث هم ، فى حين أن اللغة تسير فى طريقها آخذة فى التجديد والتطوير ، وربما لا نستطيع اللحاق بها شئنا أم لم نشأ .

وهنا يسوغ لنا أن نشير إلى المبدأ الثالث وهو معروف ومأخوذ به فى الدرس اللغوى الحديث . ذلك هو ما نسميه « اطراد الاستعمال وشيوعه » . فإذا شاعت الظاهرة اللغوية الجديدة ، وصار استعمالها فى البيئة المعينة يمثل اتجاهاً عاماً ، ولم تخالف نصاً صريحاً فى قواعد اللغة أو لم تعارض قاعدة أصلية أو سمة أساسية فى اللغة العربية – إذا كان هذا حالها جاز الأخذ بها والسماح لها بالانضمام إلى صحيح الكلام ، مع وضع ضوابط لأمثلتها تنضم

= لغير العاقل فى مقدمة الزمخشرى لكتابه « المفصل » يقول : « ولقد ندبنى ما بالمسلمين من الأدب إلى معرفة كلام العرب ، إلى إنشاء كتاب فى الإعراب محيط بكافة الأبواب » وورد شيء نحو هذا فى كلام عمر بن الخطاب فى كتابه لآل بنى كاكلة ، فقيه يقول « قد جعلت لآل بنى كلكلة على كافة بيت مال المسلمين ، لكل عام مائتى مثقال عينا ذهبا ابريزا . . . » قيل وعرض هذا الكتاب على « على بن أبى طالب » لما آلت الخلافة إليه ، فنفذ ما فيه ، ولم ينكره ، « وعلى » هو « على » فى الفصاحة والبيان (راجع مذكرة الأستاذ عبد السلام هارون فى مسألة « كافة » المقدمة إلى مؤتمر المجمع الدورة الثالثة والخمسين) .

نص ابن هشام (فى المغنى) على أن التعبير هو « قبضت عشرة ليس غير » ؛ ولا يجوز « لا غير » فى حين جاء فى تاج العروس (فى مادة ح دث) « . . . ولا يقال للسن حدث ، ولا للضرس حدث ، وإنما يقال للغلام نفسه هو حدث لاغير » إلخ . . .

إلى قواعد اللغة ، أو تلحق بقاعدة أصلية على وجه من التوسع أو التجوز أو ما إلى ذلك من وسائل التيسير .

ولا نعني بهذا المبدأ الثالث فتح الباب على مصراعيه لكل جديد ، دون قيد أو مسوغ لغوى اجتماعى ثقافى . فاطراد الاستعمال وشيوعه ينبغى أن ينظر إليه فى إطار عام ذى جوانب محددة .ينبغى أن يؤخذ فى الحسبان عند تطبيق هذ المبدأ (مبدأ الاطراد والشيوع) هذه الجوانب هى :

١ ـ المستوى اللغوى المعين ، أهو فصيح أم عامى أم لهجة خاصة .

٢ ـ الحاجة والضرورة العلمية أو الثقافية التى تزكى إجازة هذه الظاهرة الجديدة أو تلك .

٣ ـ خلو اللغة (المستوى المعين) مما يسد النقص أو يفى بالغرض المطلوب .

إذا استرشدنا بهذه المبادئ مجتمعة ونظرنا فيما يجرى فى العربية الفصيحة من استعمالات جديدة فى المنطوق والمكتوب على سواء ، استطعنا أن نقدم مجموعات من الأمثلة المنوعة التى ـ وإن كثر استخدامها من بعض المثقفين ـ مازالت فى دائرة الخطأ الصرف من وجهة نظرنا . وقد يكون الخطأ فى القواعد الصوتية أو الصرفية أو النحوية ، كما يتضح من النماذج الآتية التى ما أردنا بها إلّا مجرد التنبيه إلى كثرة التجاوز فى قواعد اللغة والخروج بها عن ضوابطها الأصلية .

فى الأصوات :

من الطبيعى أن يكون التمثيل فى ميدان الأصوات (وفى غيره) من اللغة المنطوقة ، إذ اللغة المكتوبة لاتخضع للحكم الصحيح فى هذا الباب (والأبواب الأخرى للغة) ، لأنها ساكنة خامدة ، ولأنها ـ فى العادة ـ تتسم بسمة التكلف والاصطناع والمراجعة ، بالإضافة إلى خلوها عادة من الضبط بالشكل الذى يفصح عن حقيقة الأمر فيها .

ولنكتف الآن بذكر أمثلة محدودة معدودة من الأخطاء البارزة فى النطق العربى عند محاولة التحدث باللغة الفصيحة .

١ ـ همزة الوصل :

وأول ذلك ما نلحظه من خطأ واضح يتمثل فى نطق هذه الهمزة ، إذ درج المثقفون

على تحقيقها ونطقها همزة كاملة الصفات والسمات فى أى موقع تقع فيه ، فى حين أنها تنطق همزة فقط فى بدء الكلام ، وتسقط فى درجه (أى وصله) . وتفسير هذا النطق الخاطئ يتمثل فى أمرين

أولهما عدم معرفة حقيقة هذه الهمزة وسماتها ومواقعها فى الكلم العربى .

وثانيهما الخوف من الوقوع فى خطأ الإعراب للكلمة السابقة عليها. ومن ثم يلجأ المتحدث أحياناً إلى الوقوف بالسكون على الكلمة السابقة ، ثم يأخذ فى نطق الكلام التالى المبدوء بهمزة الوصل فيحققها خطأ ، لأن الكلام فى جملته مازال متصلا بعضه ببعض ، وهذا الاتصال يوجب سقوط همزة الوصل فى النطق .

وقد امتد هذا الخطأ إلى اللغة المكتوبة ، إذ نلاحظ كتابة علامة همزة القطع (ء) فوق ألف الوصل أو تحتها ، الأمر الذى يدل على عدم معرفة حقيقة همزة الوصل ، والجهل بمواقعها فى العربية .

والمعروف أن همزة الوصل لاتقع إلّا فى أول الكلمة ، ويحدث هذا فى أصناف من الكلم معدودة . ففى الأسماء تقع فى أول عشرة أسماء فقط : ابن – ابنة – مفردين ومثنيين)– ابنم – اثنان – اثنتان وامرؤ – امرأة – اسم (مفردة ومثناة) – ايمن (فى اليمين ، كما فى قولك مثلا وايمن لأفعلن كذا ، أما أيمن جمع يمين فهمزتها للقطع اتفاقاً) – است .

أمّا فى الأفعال فهمزة الوصل تقع فى أول الأمر من الفعل الثلاثى (نحو اضرب) وفى ماضى الخماسى وأمره ومصدره (اتحد ، اتحد – اتحادًا) وفى ماضى السداسى وأمره ومصدره (استفهم – استفهم – استفهاما) .

ولا تقع همزة الوصل فى الحروف إلّا فى أداة التعريف (ال) ، بخلاف الهمزة فى « أم » و « أو » إلخ مثلا ، فهى للقطع قولا واحدًا .

وتكتب همزة الوصل فى كل الحالات بالألف (ا) دون وضع علامة الهمزة (ء) تحتها أو فوقها . وأجازوا وضع رأس صاد صغيرة (ص) فوقها للدلالة على خاصتها الأساسية ، وهى إسقاطها فى النطق ووصل

الكلام السابق واللاحق بعضه ببعض . فهذه الصاد الصغيرة هي اختصار للفعل « صل » ، أي صل الكلام ولا تحقق الهمزة (همزة الوصل) في درج الكلام .

٢ ــ الثاء والذال والظاء :

هذه الأصوات الثلاثة قد ضاع نطقها الصحيح وضاعت سماتها الحقيقية في النطق وسط زحام الرطانات اللهجية . وأصبحت تنطق سيناوزاياوزايامفخمة (بهذا الترتيب) على ألسنة المتعاملين باللغة الفصيحة وقد يمتد هذا النطق الخاطئ ــ للأسف ــ إلى القرآن الكريم نفسه . والملاحظ على كل حال أن هذه الظاهرة لاتشيع بين المتعاملين بالفصحى من أبناء الخليج العربي ، أو ــ قل ــ بين أولئك الذين اعتادوا نطق « الضاد » (الأسنانية ــ اللثوية الانفجارية) كما لو كانت « ظاء » (أي احتكاكية مما بين الأسنان) .

٣ ــ أصوات التفخيم الكلي (الاطباق) :

وهي الصاد والضاد والطاء والظاء . إذ أصبح من الشائع نطق هذه الأصوات الأربعة مرققة في كثير من السياقات ، في حين أن نطقها الصحيح هو تفخيمها تفخيماً كلياً في أيّ موقع تقع فيه . وهذه الظاهرة أكثر ورودًا على ألسنة النساء ، بحيث أصبح هذا النطق عندهن أشبه بالقاعدة العامة . والمعروف أن ترقيق هذه الأصوات الأربعة سلوك صوتي معيب بالإضافة إلى أنه يؤدى إلى اللبس والخطأ في المعاني ، بسبب اختلاطها (عند الترقيق) بنظائرها المرققة وهي السين والدال والتاء والذال .

٤ ــ صوت الراء :

للراء ــ كما هو معروف ــ في اللغة العربية حالات من التفخيم والترقيق ، وحالاته مشروطة بشروطها المتمثلة في مواقعها السياقية في الكلام . على أننا نلحظ اليوم الميل إلى ترقيقها في كل مواقعها تقريبا ، وخاصة بين أهل الخليج العربي والنساء عامة . ولا يعترض باختلاف القراءات القرآنية في هذا الموضوع ، فالقراءات هي الأخرى لها ضوابطها المعروفة عند أهل الصنعة (أي القراء) ومن ثم لا يجوز تقليدهم بغير علم ودراية . والمفروض أن المتحدث العادى عليه أن أن يسلك المسلك العام في النطق . ونعني

به « النموذج » المتفق عليه بالنسبة للغة « المشتركة » التى تتعامل بها جماهير المثقفين والمرضى عنها من الثقات العارفين.

فى الصيغ الصرفية :

يقع الخطأ كثيراً على ألسنة المثقفين والخاصة فى الصيغ الصرفية من حيث أوزانها وأبنيتها وتصرفاتها ، بحيث أصبح أمراً شائعاً يحتاج إلى وقفة ونظر . وفيما يلى نماذج قليلة من هذه التجاوزات :

١ - وزن الفعل الثلاثى :

حدد الصرفيون للفعل الثلاثى مع مضارعه ستة أوزان معروفة ، بحسب ما يعرض لعين الفعل من حركات . وحاولوا أن يضعوا لها ضوابط عامة بحيث تؤخذ معياراً أو مقياساً عند الصوغ من جديد ، أو عند استخدام الثابت المقرر المروى عنهم . ولكن حال دون ذلك أمور كثيرة ، منها الجهل بدقائق هذه الضوابط وكثرة الأفعال وتنوع أصولها واختلاف مدلولاتها بالإضافة إلى اختلاف اللهجات . ذلك الاختلاف الذى أفسد على الصرفيين ضوابطهم العامة . وكانت النتيجة رواية الفعل الواحد بوزنين مختلفين أو بصورتين تنتميان إلى لهجتين مختلفتين .

وهذا الاضطراب فى أوزان الفعل قديم ، أحس به بعضهم من أمثال أبى زيد الذى روى عنه أنه قال : « إذا جاوزت المشاهير من الأفعال فأنت بالخيار بين الكسر والضم » أى إذا انتقلت من الأفعال المشهورة ذات الصيغ الثابتة المقررة على الألسنة والتى يعرفها الجميع - إذا انتقلت من هذا النوع إلى أفعال أخرى غير مشهورة فلك أن تأتى بالمضارع بكسر العين أو ضمها . كما فى « يهدف » و « يعتب » ونحوهما . وهذا الاضطراب (بأسبابه المتنوعة) جعل بعض الدارسين يقررون أن هذه الأوزان سماعية لاقياسية . أى تحتاج إلى الأخذ عن الثقات أو العودة إلى مصادر اللغة .

ومن الطبيعى أن يشتد هذا الاضطراب وتتعمق أصوله وتتفرع جوانبه وتنتشر آثاره اليوم (وقبل اليوم) فى استخدام الفعل الثلاثى وأوزانه ، بسبب الضعف العام الذى يسود التوظيف اللغوى فى عمومه ، وبسبب عدم العود إلى مصادر الفتيا الممثلة فى ذوى الخبرة والدراية وفى الآثار اللغوية المسجلة .

وأمثلة هذا الاضطراب الذى أدى إلى الوقوع فى أخطاء صريحة كثيرة تفوق الحصر والعد ، وقد يقع ذلك فى الماضى أو المضارع أو كليهما ، كما فى قولهم مثلا : حرص (بكسر الراء والصحيح فتحها) ولِقى (بفتح القاف مع المد) (والصحيح كسر القاف وفتح اليـاء) وينقل (بكسر القاف والصحيح ضمها) ويكد (بكسر الكاف والصحيح ضمها).

٢ ـ اسناد الفعل الى الضمير :

كثيراً ما يقع الخطأ فى صيغة الفعل عند إسناده إلى الضمير ، وبخاصة إذا كان معتل الآخر مسنداً إلى واو الجماعة ، كما فى قولهم : لقوا (بفتح القاف وتسكين الواو والصحيح ضم القاف مع المد)[1] ، وقد يأتى العكس فيقولون : سعوا (بضم العين مع المد والصحيح فتحها مع تسكين الواو) .

٣ ـ أخطاء بالتوهم :

يقولون « مشين » بضم الميم متوهمين أنّه من « أشان » وهو فعل رباعى لا وجود له فى اللغة ، والموجود هو « شان » الثلاثى ، والوصف منه حينئذ « شائن » بصيغة اسم الفاعل ، ولك أن تقول فى المعنى نفسه « مشين » (بفتح الميم ـ اسم مفعول من « شان » الثلاثى) ومثله قولهم هذا الشىء « مباع » ، فكأنه من « أباع » الذى لا تعرفه العربية ، والصحيح « مبيع » اسم مفعول من « باع » .

٤ ـ الخلط بين الصيغ ذات المعانى المختلفة :

يقولون « خطة » بكسر الخاء ويعنون « المنهج أو الأمر أو المشروع » ، والصحيح خطة « بضم الخاء ، إذ تنص قواعد اللغة على أن الصيغة بكسر الخاء إنما هى للدلالة المادية ، ومعناها ما يخطه الرجل لنفسه من أرض أو عقار . على حين أنها بالضم للدلالة المجردة ، على ما ذكرنا .

---

(١) ومع ذلك روى عن بنى طيء قولهم لقى بفتح القاف مع المد ، ومثله فى رضى انظر « بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى « أنوليتان » (مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول القاهرة) ـ المجلد العاشر ـ الجزء الأول مايو سنة ١٩٤٨ م .

ومثاله قولهم « قيد أنملة » بفتح القاف وتسكين الياء والصحيح « قيد » بكسر القاف مع المد ، ذلك أن الأولى تعنى « القيد » بالمعنى المعروف والثانية معناها « القدر » . ونماذج هذا الخلط كثيرة مشهورة ، منها الخلط بين « طوال » بكسر الطاء وهى جمع طويل . وطوال . بفتح الطاء ظرفاً ، و « عنان » بكسر العين وهى كاللجام وزنا ومعنى ، و «عنان» بفتح العين ، كسحاب وزنا ومعنى كذلك .

وفى ظننا أن هذا الضرب من الخطأ يرجع معظمه إلى اللغة المكتوبة . إذ هى غالباً ما تخلو من علامات الضبط فلا يدرى فى كلمة مثل « خطة » إن كانت بكسر الخاء أو بضمها ، وهذا مزلق يقع فيه غير العارفين من القراء .

فى قواعد التركيب :

يكثر الخطأ فى نظام التراكيب والجمل والإعراب ، أى فى النحو وقواعده . ومعلوم أن النحو ليس الإعراب وليس الإعراب النحو ، على العكس مما يفهم من أقوال بعض المتأخرين من النحاة ، ومما يستشف من سلوك بعض المعلمين فى تدريس قواعد اللغة ، إذ قد قصروا – مايبدو – وظيفة النحو على النظر فى أواخر الكلمة . حتى لتسمعهم يقولون بل ويسجلون فى أعمالهم « أن النحو هو علم الإعراب »

وحقيقة الأمر أن النحو هو علم التراكيب فينظر فى اختيار الصيغ وفى مواقعها وفى علاقتها بعضها ببعض وفى إعرابها فى إطار الجملة أو التركيب ، دون اهتمام بجانب دون آخر . إذا أخذنا هذا الاتجاه فى تحديد وظائف النحو فى الحسبان ، أمكننا فى الحال أن نقرر أن هناك أخطاء واضحة فى الوفاء بقواعد هذه الوظائف الأربع ، دون استثناء ، وإن كان أوضحها وأكثرها شيوعاً الانحراف بالكلم عن قواعده الإعرابية المقررة . وهذه أمثلة محدودة لأنماط التجاوز فى هذه الجهات النحوية .

١ – الاختيار :

ليس من النادر أن يفشل المتحدث أو الكاتب فى اختيار الكلمة أو الصيغة المناسبة لبناء التركيب الصحيح . يقولون : الرؤيا غير واضحة « فى حين أن المناسب للمقصود من التركيب كله

هو « الرؤية .. » بالتاء المربوطة . إذ « الرؤيا » (بالقصر) لاتكون إلا فى النوم ، ومعناها « الحلم » . وفى القرآن الكريم « ياأيها الملأ أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون » . أما « الرؤية » (بالتاء) فهى بصرية . ويقولون أيضاً « خرجوا سوياً » ويعنون « معاً » . فتوظيف « سوياً » هنا خطأ فى الاختيار ، لأن « السوىّ » هو الكامل فى الخلقة ، يقال « رجل سوى » ، وفى القرآن الكريم « فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا » .

ومن هذا القبيل أيضاً اختيار صيغ لاتصاحب مدخولها إلّا بشروط أو فى حدود معينة ، كما فى قولهم « لا زَالَ الأَمْر غَامِضاً » ، بدخول حرف النفى « لا » على الماضى فى غير الأساليب التى تجوز فيها هذه المصاحبة . ومعلوم أن الماضى لا ينفى « بلا » إلّا فى الدعاء وفى حالة تكرار الفعل ، كما فى نحو « لافض فوك » و « فلا صدق ولا صلى » ، وفى غير هاتين الحالتين يكون نفى الماضى بالأداة « ما » .

ومنه كذلك اختيار صيغ لايصاحب بعضها بعضاً ، لعدم ورود هذه المصاحبة فى الكلام العربى الفصيح ، استناداً إلى ذوق اللغة التى تعد هذا النموذج ضرباً من العبث أو التزيد غير المقبول لوجود صيغة واحدة تقوم مقام عنصرى المصاحبة وتؤدى وظيفتهما . من ذلك قولهم ، سوف لا أفعل كذا » ، حيث صاحبت الصيغة « سوف » حرف النفى « لا » فى حين أن لدينا أداة واحدة تؤدى هذه الوظيفة وتفى بالغرض المطلوب هذه الأداة هى « لن » ، وفيها فكرة النفى والاستقبال المراد التعبير عنهما « بسوف لا »

٢ - الموقعية :

للجملة العربية مجموعة من الضوابط التى تتعلق بهندستها وترتيب مفرداتها ومواقع الكلم فيها . فليس لهذه المفردات - بعد اختيارها - أن ترص رصاً بدون حدود أو قيود من حيث نظمها وتتابعها المناسب فى سلك الجملة ، وإنما على المنشىء - نطقاً أو كتباً - أن يصنع منها « عقداً » متآلفة حباته ، ومتسقاً بعضها مع بعض فى مدارج « الضم » وفقاً لمادة هذا العقد وأغراضه ومقاصده .

وللعربية فى هذا الشأن قواعد معلومة وقوانين مرسومة ، وإن جاءت فى

كتب اللغة متناثرة وموزعة هنا وهناك على أبواب النحو المختلفة ، تلك الأبواب التى صنفت فى معظم الأعمال النحوية على أساس الإعراب ، لا على أساس أنماط الجمل ونوعية مكوناتها وخواص هذه المكونات من موقعية وغيرها . ومن ثم كان على الباحث فى « الموقعية » أن يعد نفسه لمراجعة كل أو جل أبواب النحو ، محاولا أن يجمع شتات الموضوع وأن يلم أطرافه وجوانبه وتنوعات مسائله المختلفة ، أملا فى الوصول إلى ضالته بالتعرف على ضوابط نظم الكلام ، وقواعد ترتيبه بصورة تسمح له بالتعامل بها ومعها نظرا وتطبيقاً .

وغنى عن البيان أن هـذا الجهد – مهما اكتملت العدة والأدوات عند القائمين به – لا بد أن تقف دونه بعض الصعوبات وتعتوره بعض وجوه القصور والنقص ، وذلك لسبب بسيط هو اتساع دائرة البحث وتفرق مسائله وتباعد أطرافه واختلاف جزئياته ، بل وتضاربها أو تباينها أحيـانا .

فإذا أضفنا إلى ذلك ما نعرفه من اختلاف اللهجات فى أمثلة غير قليلة من قواعد « الموقعية » واختلاف النحاة فيها وفى غيرها من ضوابط النظم اللغة العربية بعامة ، استطعنا ان نصل إلى نتيجة شبه مؤكدة ، هى أن الحكم بصحة الموقعية لهذه الصيغة أو تلك أو عدم صحتها أمر يدق أحيانا على الدارسين ، وتختلف وجهات النظر فيه . وينضم إلى هذا كله ما يعرف عن العربية بأنها « تتصف بالمرونة النسبية فى قواعد نظم الكلام وترتيب مفرداته » ، كما يتضح ذلك جليا فى أحوال المفعول به والمبتدأ والخبر مثلا .

ولكن هذا لا يناقض – بحال – ما أسلفنا تسجيله من وجود مجموعة من ضوابط الموقعية للكلام العربى ، وهى ضوابط مطردة فى عمومها ومتفق عليها ، ويعد تجاوزها من باب الخطأ الصريح . ومن الجدير بالذكر أن جل الأمثلة التى تجمعت لدينا من هذا الباب ترجع فى حقيقتها إلى

التأثر باللغات الأجنبية ، بالتقليد المباشر أحيانا وبطريق الترجمة غير الدقيقة أحيانا أخرى . من ذلك مثلا :

قولهم : كلما قرأت كلما أفدت ، بتكرار الرابطة « كلما » . وهذا التكرار لاسند له من الصحة فى العربية ، ولكنه جاء على منوال التعبير الإنجليزى
The more . . . . The more :
ومن التجاوز فى الموقعية كذلك وقوع الرابطة « بينا » أو « بينما » فى وسط الكلام ، فى حين أن لها الصدارة فى أمثلتها الواردة فى الاستعمال الفصيح ، حيث يقولون : بينما نحن جلوس إذ دخل علينا صديق كريم .

وفى الأساليب الحديث تقابلنا تجاوزات فى الموقعية غير معهودة فى العربية ، كما فى قولهم :

كان شاعرا ربما غير مجيد

و مدير عام الإدارة

إذ نلاحظ الفصل بين الموصوف وصفته بأجنبى فى المثال الأول (وهو ربما) . وبين المضاف إليه بأجنبى كذلك (وهو عام) فى المثال الثانى .

وربما فسر المثال الأول تفسيراً آخر بغية تفصيح التركيب ، فيقال إن هذا التركيب مكون من جملتين أو ما أشبه : تنتهى الجملة الأولى بقولهم : كان شاعرا ، ثم استأنفوا كلاما آخر موضحا بادئا بالأداة « ربما » . وهذا الاستئناف أشبه بإجابة عن تساؤل مفترض (أو صريح) يوحى بالشك فى شاعرية المتحدث عنه ، ومن ثم لا فصل على هذا التأويل . وهو - كما ترى - تأويل فيه تكلف ظاهر .

أما المثال الثانى فلا يحتمل التفسير أو التأويل ، إذ هو ظاهر البطلان ، وليس هناك مسوغ صحيح لوقوع الصيغة « عام » هذا الموقع . وصحة الكلام إما : المدير العام للإدارة وإما مدير الإدارة العام . ولا يحتج بأن الخيار الثانى فيه فصل بين الموصوف وصفته ، لأن الفصل هنا كلا فصل لأن المضاف والمضاف إليه وحدة نحوية متكاملة فهما كالشيء الواحد كما يقولون .

ومن قبيل الفصل غير المقبول قولهم مثلا : : سبق وأن أشرنا إلى كذا . . بزيادة « الواو بين الفعل وفاعلـه المؤول « بأن » والفعل بعدها . وأمثلة هذا النوع كثيرة تلاحظها في الكتابات الحديثة وفي جملة وسائل الإعـلام المكتوبة والمنطوقة على سواء .

٢ ـ المطابقة أو العلاقات الداخلية بين الكلم :

ليس يكفي في بناء الجملة بناء سليما أن تقع مفرداتها في مواقعها المناسبة لها ، إذ لابد من تعليقها بعضها ببعض وربطها برباط معين يؤكد صحة الرقعية ويحيل الجملة كلها إلى وحدة متكاملة متناسقة الأجزاء والأطراف . وشأن الجملة في ذلك شأن « البناء » الذى لا يستقيم أمره بمجرد وضع الأحجار المناسبة في سلسلة متتابعة ، بل لابد لهذه الأحجار من « مادة » قوية تربط حجرا بآخر ربطا يحميها من التفكك والانهيار .

والعلاقات أو الروابط بين أجزاء الجملة ذات أنواع شتى ، فقد تكون « بالضم » اللازم كما في الصفة والموصوف وقد تكون به بالإضافة إلى عامل صوتى معين ، كما في المضاف والمضاف إليه ، حيث يستحيل الفصل بينهما « بسكتة pause » والإعراب نفسـه رابط مهم ، إذ به تتبين أحوال الكلم ، وتتضح العلاقة بين صيغة وأخرى : أهذه فاعل لتلك أم مفعول به الخ . . ومعروف أن ضمائر الغيبة ذات شأن كبير في هذا الأمر ، إذ يستحيل في العربية أن تقول مثلا « جاء الذى أبو قائم » بدون الضمير العائد على الموصول والواجب ذكره ، فنقول : « جاء الذى أبوه قائم » .

والمطابقة هي الأخرى وسيلة من أهم وسائل التعليق والربط وهي التي تعنينا في هذا المقام ، لوضوح مسائلها وكثرة الأخطاء الشائعة في أحوالها (للإعراب وقفة خاصة) . والبحث في المطابقة يتركز عادة على المطابقة في الشخص (التكلم ـ المخاطبة ـ الغيبة) وفي العدد (الإفراد والتثنيـة والجمع) وفي النوع (التذكير والتأنيث) . وفي التعريف والتنكير .

والمطابقة هنا لا تعنى دائما « المماثلة أو المطابقة المنطقية » بين أجناس الكلم . فقد تتحقق « بالمخالفة » أحيانا ، وتفسر حينئذ بأنها جاءت على وفق منطق اللغة المتمثل فى ضوابطها الخاصة فى هذه الحالة (وغيرها) ، تلك الضوابط التى استخلصت من واقع العربية الصحيحة ، وأقرها الدارسون . فمن صحيح ما ورد فى العربية قولنا مثلا : « رجال عدل ونساء عدل » . بمجىء الصفة بصيغة المفرد المذكر ، فى حين أن « المنطق » يقتضى جمعها فى الحالتين ، وجمعها مع التأنيث فى الحالة الثانية . ولكن هذا هو منطق العربية وهو ما سار عليه أهلوها ، وإلى ذلك يشير ابن مالك بقوله :

ونعتوا بمصدر كثيرا
فالتزموا الإفراد والتذكيرا

وليس من النادر أن نسمع فى الكلام الصحيح الفصيح نحو قولهم : « الحياة عذاب ، الأب مظلة » يستظل بها الأولاد إلى غير ذلك من هذا النمط من التراكيب التى تأتى مخالفة لطلق القول بوجوب المطابقة (بمعنى المماثلة الكاملة) بين المبتدأ والخبر فى التذكير والتأنيث . والرأى عندنا أن هذا القول الشائع والمسجل فى أغلب كتب النحو التعليمية وغيرها يحتاج إلى مراجعة ونظر . ويبدو لنا أن هذه المطابقة الكاملة فى النوع بين المبتدأ والخبر إنما تكون فى حالة الخبر المشتق أو نحوه .

ومهما يكن من أمر ، فأخطاء المطابقة فى النوع كثيرة ، وأشهرها ما يقع فى باب العدد من ٣ — ١٠ ، حيث يخالف الناس منطق العربية ، ويصدرون كلامهم على خلاف ضوابطها ، فيقولون مثلا : ثلاثة مسائل وثلاث كتب ، بالمطابقة المنطقية بين العدد والمعدود غير عارفين أو متجاهلين خاصة العربية فى ذلك وهى المطابقة بالمخالفة .

ويمكن أن يدخل فى هذا الباب نحو قولهم : إحدى المعاهد ، متوهمين التأنيث فى « إحدى » لارتباطها « بالمعاهد » وفيها معنى الجمعية ، ومن ثم تعامل عندهم معاملة المؤنث فى نحو

« معاهد كثيرة . » . والصواب إنما هو « أحد المعاهد » لأن المفرد « معهد » وهو مذكر .

ومن مشهور الأخطاء فى هذا الجانب أيضاً ما نسمعه منطوقاً ونراه مكتوبا من مثل قولهم :

الحلقة الرابعة عشر

بتأنيث الجزء الأول دون الثانى (وهو عشر) ، فى حين أن الواجب هنا تأنيث الجزء ين ، إذ المطابقة بالمماثلة هى القاعدة المقررة والتى لا شذوذ فيها فى هذا التركيب الواقع صفة لما قبله ، ومن الغريب أن هذا الخطأ بعينه نلحظه فى أعمال بعض الأدباء والعلماء المشهود لهم بالجودة اللغوية فى أساليبهم ، كما نسمعه ونلحظه بكثرة فى وسائل الإعلام مكتوبة ومنطوقة ، حتى ليظن غير العارف أن هذا التوظيف الخاطىء هو القاعدة .

أما أخطاء المطابقة فى التعريف والتنكير فهى قليلة ، وأشهرها المثالان التاليان . وقد خصصناهما بالذكر لكثرة شيوعهما فى الإستخدام بين المثقفين وبعض المتخصصين أحيانا .

الأول قولهم « الغير مفهوم » بإدخال أداة التعريف على « غير » الواقعة مضافا . والمخالفة هنا من جهتين ، أولاهما أن الرأى المعتد به لا يجيز إدخال أداة التعريف على « غير » مطلقا ، قالوا لتوغلها فى الإبهام وثانيهما أن « غير » هنا جاءت مضافا . ومعلوم أن المضاف فى العربية لا يجوز تعريفه « بال » ، إلا إذا كان صفة فيه « ال » ومضافا إلى مافيه « ال » من نحو قولك « الطويل القامة » وهو عندهم من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ، فكأن هذا الحكم فيه تسويغ لهذا التوظيف الخارج على قواعد التركيب الإضافى فى عمومه .

ومما يذكر أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة أجاز دخول « ال » على « غير » فى نحو قولهم « ومن رأى الغير . . . أى إذا استخدمت غير فى التركيب الإضافى ، وكانت بمعنى « الآخرين »

ونحن لا نميل إلى الأخذ بهذا الرأى لعدم الحاجة إليه .

ومن هذا القبيل المثال الثانى المشهور وهو قولهم مثلا :

الخمسة كتب

بتعريف الجزء الأول من التركيب الإضافى ، وهو على خلاف القاعدة المستقرة لديهم ، كما أشرنا إلى ذلك فى المثال السابق . وصحة الكلام هى « خمسة الكتب » بتجريد المضاف وتعريف المضاف إليه « بال » .

وأجاز الكوفيون تعريف الجزءين معاً أى « الخمسة الكتب » ، وهو وجه له مسوغ[1] ، ويجوز الأخذ به . أما مجمع اللغة العربية بالقاهرة فقد أجاز الخطأ المشهور وعده صحيحا لكثرة الاستعمال ، وهو رأى لا نأخذ به ، إذ ليس له مسوغ ظاهر يدخله فى دائرة الكلام الصحيح .

٤ – الاعراب :

لا ينكر أحد أن الإعراب من أهم خواص الكلام العربى ، بل هو الخاصة الأساسية التى تميز لغتنا من غيرها من اللغات المعروفة لنا الآن . والإعراب كذلك يمثل جانبا من أهم جوانب النحو بل ربما يخيل لبعضهم أنه النحو « فى جملته » ، حتى لتراهم فى آثارهم العلمية يوجهون إليه جل اهتمامهم بالدرس والتحليل . ويظهر ذلك بوجه خاص فى تصنيف المتأخرين لأبواب النحو ومسائله وفقاً للحالات الإعرابية ووجوهها .

والرأى عندنا – كما أشرنا إلى ذلك قبلا – أن الإعراب يمثل جانبا من جوانب النحو بالمعنى العلمى الدقيق . ولكنه جانب ذو أهمية بالغة إذ هو – بالإضافة إلى وظيفته الأساسية المتمثلة فى الإفصاح عن المعانى النحوية – دليل صحة الكلام فى جملته ، وأمارة

(١) والمسوغ عندنا هو إمكانة عد هذا المثال **من باب** جواز دخول « ال » على المضاف إذا كان صفة فيه ال مضافا إلى ما فيه «ال» ، على أساس أن «الخمسة» هنا من **باب** الصفات ، بدليل الوصف بها فى قولنا « الكتب الخمسة » .

صحة جوانب النحو الأُخرى من موقعية وربط وعلاقات داخلية بين مكونات التركيب ، فلسنا إذن فى جانب الادعاء بأن الإعراب ليست له دلالة نحوية ، وأن وظيفتـه – فى رأى بعضهم – وظيفة صوتية ، تظهر قيمتها فى التناسق أو التلاؤم الصوتى بين وحدات الجملة . وخلاصة القول عندنا أن الإعراب جزء لا يتجزأ من بناء الجملة وأن مجيئه على وجوهه الصحيحة دليل صحة الكلام مبنى ومعنى ، والخلط أو الخطأ فيه يجر الكلام إلى حظيرة الخطأ تركيبا ودلالة .

والملاحظ الآن أن الخطأ فى الإعراب وفى وجوهه المختلفة أصبح ظاهرة عامة بين المتعاملين بالكلمة الفصيحة نطقاً وكتبا ، حتى ليخيل إليك أن احـدا لا يعى أو لا يريد أن يعى خطورة هذا السلوك على وجود الفصحى وكيانها وهذه الأخطاء ملحوظة بصورة أوضح وأكثر شيوعا فى الكلام المنطوق . وذلك لسبب بسيط ، وهو أن الخطأ فى الكلام المكتوب لا تدرك حقيقته إلا فى حالات الإعراب بالحركات الطوال (الألف والواو والياء) وفى جزم الأفعال المعتلة ، وفى نصب الأفعال الخمسة وجزمها ؛ أو – قل – يدرك الخطأ فى المكتوب فى كل ما ليس إعرابه بالحركات القصيرة . أما الإعراب بهذه الحركات الأخيرة فمجهول أمره تماما لخلو الكلام عادة من علامات الضبط المميزة . وفى ظننا – على الرغم من ذلك – أنك لو طلبت إلى كاتب منهم أن يترجم نطقا جملة أو جملتين مما سطر ، فإنه سوف يقع فى مأزق وقل أن يأتى بهذه الترجمة سليمة من من الوجهة الإعرابية .

ونماذج الأخطاء الإعرابية كثيرة متنوعة . ولا نستطيع فى هذا المقام أن نأتى بأمثلة تفصيلية لكل هذه النماذج ، وثم سنكتفى بإيراد أمثلة لحالات من الخطأ مشهورة أصبحت تمثل اتجاها عاما أو شبه قاعدة عند بعض المثقفين . ونخص بالذكر هنا أربع حالات معينة .

الحالة الأولى :

إذا جاء اسم « إن » (أو إحدى أخواتها) مؤخرا مسبوقاً بخبره شبه الجملة ، درج كثير منهم على الإتيان بهذا الاسم مرفوعا فيقولون مثلا :

إن هناك (أو إن ثمة) رأى آخر

وقد يأتى الأمر بالعكس مع اسم كان (أو إحدى أخواتها) فى مثل هذا التركيب ، حيث يوظفون الاسم منصوبا ، فيقولون :

كان ثمة رأيا آخر

وهذا بالطبع دليل عدم المعرفة بمواقع الكلم وقيمها فى هذه المواقع ، أو – فى أحسن تقدير – عدم المعرفة بالقيمة النحوية للصيغتين « هناك وثمة » (أو ثم ، بفتح الثاء) .

الحالة الثانية :

تظهر هذه الحالة فى منع الصرف لما حقه الصرف ، من نحو قولهم : أصدقاء – أبناء – أضواء – أنباء . . إلخ بمنع الصرف ، متوهمين – على ضرب من القياس الخاطىء – أن هذه الصيغ وأمثالها تعامل معاملة نحو : شعراء وكبراء ، وعملاء فى منع الصرف .

وقد يأتى العكس وهو كثير جدا ، فيصرفون « شعراء » وأختيها (وما شابه ذلك) ، غير عارفين ضوابط باب الممنوع من الصرف .

الحالة الثالثة :

ودائرتها الخطأ فى نصب الفعل المضارع المعتل بالواو والياء ، حيث يأتون به غالبا فى كل المواقع خاليا من علامته الإعرابية وهى الفتحة الظاهرة .

الحالة الرابعة :

ويمثلها الخطأ فى نصب جمع المؤنث السالم ، فيأتون به أحيانا منصوبا بالفتحة . ويلحق بهذا الباب ما يقع فيه بعضهم من خطأ فى الإعراب على طريق « التوهم » . من ذلك إعرابهم نحو « أوقات » ، « أموات » ، « أصوات » إعراب المؤنث السالم فى حالة النصب ، فيأتون بهذه الأمثلة ونحوها منصوبا بالكسرة ، ظنا منهم

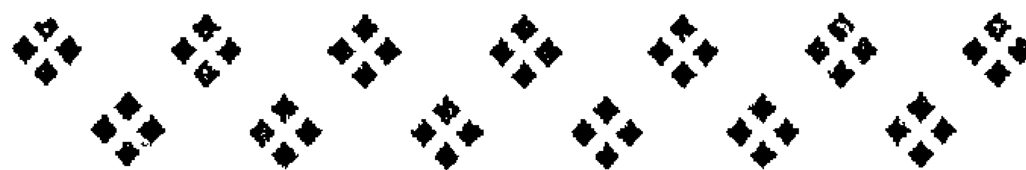
أنها من هذا الباب ، فى حين أنها جميعاً من جموع التكسير على وزن « أفعال » ، والتاء فيها ليست زائدة ومعلوم أن جمع المؤنث السالم يكون بزيادة الألف والتاء معا .

وربما يشتبه على بعضهم نحو « دعاة — قضاة — حماة » مما جاء على « فُعَلة » جمعا للاسم المنقوص ، حين تضاف إلى الضمير ، كما فى « دعاته — قضاته — حماته » ، حيث تكتب بالتاء المفتوحة فيتوهم قوم منهم أنها من جمع المؤنث السالم فيعربونها بالكسرة فى حالة النصب . وحقيقة الأمر أنها فى حالة الإضافة وعدم الإضافة جموع تكسير . أما كتابتها بالتاء المربوطة فى حالة الإفراد وبالتاء المفتوحة عند الإضافة إلى الضمير فهى مسألة إملائية بحتة .

تلك — فى الحق — مجرد نماذج لما يقع من أخطاء نحوية وغير نحوية فى المنطوق والمكتوب على سواء . ونستطيع أن نقرر أن بعض هذه النماذج يمثل اتجاهات تشيع فى استخدام اللغة الفصحى ، الأمر الذى ينذر بالخطر ، ويهدد اللسان العربى فى حاله ومستقبله ، إذ إن أمثلة غير قليلة من هذه النماذج تصدر عن جهات أو هيئات أو أفراد لها أو لهم — فى هذا الشأن وغيره — موقع القدوة . والقدوة — كما نعلم — من أخطر عوامل التأثير فى السلوك الاجتماعى بعامة والسلوك اللغوى بخاصة .

أما علاج هذا الوضع اللغوى غير المقبول فيحتاج منا إلى وقفة خاصة ممثلة فى بحث مستقل يناسب أهمية القضية وأبعادها المختلفة ؛ على أنا قد ألمحنا فى حديثنا هذا — بصورة أو بأخرى — إلى شىء من الخطوط ، العريضة التى تعين فى تصور هذا العلاج والتعرف على وسائله .

دكتور كمال بشر
عضو المجمع



قول فى قضيّة جمع الجمع

للأستاذ محمد شوقى أمين

عضو المجمع

١ - كان فيما أسلف المجمع من قضايا لغوية طرحها على بساط البحث وأصدر فيها قراره ، قضية جمع الجمع ، ولقد كان قراره فيها موجزاً غاية الإيجاز ، مقتصراً على جملة واحدة قصيرة ، نصُّها «جمع الجمع مقيس عند الحاجة» وللناظر أن يترنح نظره فى هذه الجملة إذ تتخايل له أوجه احتمالات عدّة فى مدلول كلمة الجمع المكررة فيها ، وذلك لأن الجموع كما هو معروف ثلاثة ، جمع تكسير ، وجمع تأنيث ، وجمع تذكير ، فأى هذه الجموع مراد بكل من الكلمتين (على أن إنعام النظر فى أوجه الاحتمالات يتيح للتذوق اللغوى أن ينفى من تلك الاحتمالات أن جمع التكسير يجمع جمع تذكير ، [؟] وكذلك ينفى أن جمع التذكير يجمع [ ] جمع تأنيث أو جمع تكسير . وعلى هذا لايبقى من الاحتمالات إلاّ أن جمع التكسير يجمع جمع تكسير أيضًا ، وأن جمع التكسير يجمع ، بعد ذلك جمع إناث

٢ - فى ضوء هذا التحديد يستبين أن المجمع كان يعنى بقراره أحد هذين الوجهين ، وظاهر أن هذا الوجه المعنى هو أن جمع التكسير يجمع لفظه جمع تكسير أيضًا وذلك لكثرة ما ورد من أمثلته فى القديم وأثبتته المعجمات . ومن الأمثلة فى المأثور : الأعاريب جمع أعراب والمفرد عرب ، والأقاويل جمع أقوال والمفرد قول ، والأزاهير جمع أزهار والمفرد زهر ،

وقد انقضت عشرات السنين على هذا القرار وهو فى جملته مقصور على

(*) ألقى هذا البحث الدكتور شوقى ضيف فى الجلسة التاسعة ليوم الثلاثاء أول مارس ١٩٨٨ م

جانب واحد فى شأن جمع الجمع ذلك الجانب هو أن جمع التكسير ينقاس جمعه جمع تكسير أيضًا . وظل الجانب الآخر وهو أن جمع التكسير يجمع جمع إناث واقفاً بباب المجمع ينتظر الإذن له فى أن يعرض على البحث وأن يصدر فيه قرار .

٣ – شغلنى هذا الجانب حقبة من الدهر ، فترصدت له فى مسموع اللغة ، وفيما يجرى به الاستعمال العصرى ، فاستبان لى أنه خليق بالنظر ، للحاجة إليه فى ذاته ، ولأنه استكمال للجانب الآخر فى قضية جمع الجمع وليس من الإنصاف إغفاله .

وعلى الرغم من أن القصور فى صحتى يحول بينى وبين الرجوع إلى أوراقى أو تصفح المراجع المطلوبة ، فإنى أستعين الذاكرة فيما إختزنته من أمثلة ذلك الجانب ، فإن لم يكن فيها كفاية وغنية ، فهى فتح لباب النظر فى الموضوع واستيفاء الرأى فيه ، ومابعثنى على ذلك إلاَّ اطمئنانى بأن تتبعى للموضوع فى المعجمات وفى كتب فقه اللغة يدعونى إلى تصويب القول بقياسية هذا الجانب تنظيراً بينه وبين الجانب الآخر الذى أصدر المجمع فيه قراره .

٤ – من المأثور فى أن جمع التكسير يجمع جمع تأنيث مايأتى :

– جمالات ، جمع جمال والمفرد جمل .

– أعطيات ، جمع أعطية ، المفرد عطاء .

– البيوتات ، جمع بيوت والمفرد بيت .

– الديارات ، جمع ديار والمفرد دار أو دير .

– الرجالات ، جمع رجال والمفرد رجل .

– السادات ، جمع سادة والمفرد سيد .

– الطرقات ، جمع طرق والمفرد طريق .

ولابد من وقفة عند كلمة جوزات ، فقد نص الفيروزابادى على أن الجوز جمعه جوزات ، والجوز جمع جوزة –

ولكن صاحب تاج العروس تدخل فى النص القاموسى بحيث يجعل الجوزات جمع جوزة ولم يكن ذلك مراداً لصاحب القاموس ولايمكن أن يكون مراده لأن جمع جوزة على جوزات لاتحتاج إلى نص معجمى .

كذلك لابد من وقفة عند قول النحاة إن جمع فُعلة بضم الفاء يجمع على فعُلات بضم العين وسكونها وفتحها ، ولكن ابن جنىّ فقيه اللغة ونحريرها لم يرتض فتح العين فلا يقال غرَفات إلاّ على اعتبار أن غرفات بفتح الراء جمع بعد جمع فالمفرد غرفة والجمع غرف وجمع الجمع غرفات وبناء على ذلك تصبح كلمة الغرفات بفتح الراء من أمثلة أن يجمع جمع : التكسير جمع إناث .

٥ ـ فإذا انتقلنا من المأثور إلى المولد أو ماهو فى حكمه وماهو دائر فى الاستعمالات العصرية صادفنا مايأتى :

يرد فى تعبيرات الصوفية كلمة الفيوضات وهى جمع فيوض التى مفردها فيض ـ كذلك تجد تعبير رد الغصوبات فى مهمة رجال الشرطة إذ أن عليهم رد الغصوبات وقد ورد هذا التعبير فى نهاية الأرب للنويرى وواضح أن الغصوبات جمع غصوب ومفردها غصب .

كذلك ترد كلمة الفتوحات وهى جمع فتوح والظاهر أن الفتوح هنا جمع فتح وبهذا الجمع عنوان كتاب فتوح البلدان للبلاذرى

كذلك ترد كلمة الجراحات وهى جمع جراح ومفردها جرح كما لايخفى وأما فى وادى الإستعمالات العصرية فمن الأمثلة مايأتى :

الخصومات (فى المحاسبة) جمع خصوم والمفرد خصم

القيودات ، جمع قيود والمفرد قيد

الوفورات (فى الموازنة) . جمع وفور والمفرد وفر

الحجوزات (فى التقاضى) ، جمع حجوز والمفرد حجز .

الأذونات ، جمع أذون والمفرد إذن

الرسومات ، جمع رسوم والمفرد رسم .

الأهرامات ، جمع أهرام والمفرد هرم .

الشحومات ، جمع شحوم والمفرد شحم .

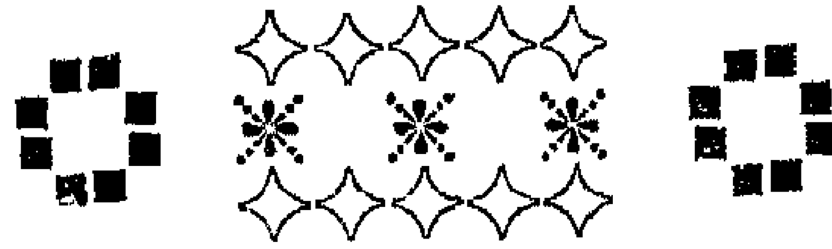
الفحومات ، جمع فحوم والمفرد فحم .

الرهونات ، جمع رهون والمفرد رهن .

٦ ــ تلك عجالة القول فى قضية جمع الجمع تتناول أحد الجناحين فى هذه القضية وهو جناح جمع التكسير جمع تأنيث تنظيراً بينه وبين جناح جمع التكسير وقياس جمعه جمع تكسير أيضاً وليس من ريب فى أن هذه التوسعة فى كل من الجناحين ليست لغواً ولا فضولا وإنما المقصود بجمع الجمع فى كلا الجناحين بيان الكثرة فى العدد أو الكثرة فى النوع والمعتمد فى هذه التوسعة هو سنة العربية وما ورد فيها من أمثلة تقل أو تكثر .

٧ ــ قصارى ذلك أنه لا إفتئات على اللغة إذا سوند قرار المجمع السابق فى قضية الجمع بقرار مكمل له « وهو أن جمع التكسير ينقاس جمعه جمع تأنيث بحسب الحاجة » .

محمد شوقى امين
عضو المجمع



حول حذف كلمة " ابن " بين الأعلام

للدكتور أمين على السيد

المثل الأعلى فى اللسان العربى هو القرآن الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى نزل بلسان عربى مبين ؛ أعجز أهل الدنيا عن أن يحاكوه أو ينسجوا على منواله .

وقد جاء فى القرآن الكريم ذكر كثير من الأعلام ، كما جاء فيه الاستغناء عن ذكر الأعلام بذكر صفة من الصفات تعين المقصود .

وغنى عن البيان أن آدم عليه السلام لم يولد كما ولد أبناؤه من أبوين ذكر وأنثى ، باستثناء عيسى عليه السلام . فلذا لايحتاج إلى أن يقال عنه : لم تحدث القرآن الكريم عنه دون نسبه إلى أم أو أب .

على أن الذين ورد ذكرهم فى القرآن منسوبين إلى أم أو أب لم يتجاوزوا اثنين فى العدد وهما : مريم بنة عمران ، وعيسى بن مريم ، وغير هذين من الأعلام الواردة فى القرآن جاءت مجردة عن النسب ، فقد ذكر رسولنا — صلى الله عليه وسلم — فى أربعة مواضع باسم محمد ، وذكر فى موضع واحد باسم أحمد ، وذكر غيره من الأنبياء بأسمائهم وحدهم مجردة عن النسب كذلك .

وقد خوطب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ببعض الصفات فى نحو : «يأيها الرسول» «يأيها النبى» «يأيها المدثر» «يأيها المزمل» استغناء بذكر الصفة عن ذكر الموصوف .

ومن ذلك أيضا ماجاء فى قوله تعالى : «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا . .» وقوله سبحانه : «فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه

(*) ألقى البحث فى الجلسة التاسعة ليوم الثلاثاء أول مارس ١٩٨٨ م .

من لدنا علما » واستغنى عن ذكر العلم بذكر اللقب فى القرآن الكريم فى نحو قوله تعالى : « وذا النون إذ ذهب مغاضبا » وقوله سبحانه : « ويسألونك عن ذى القرنين » وجاء ذكر كل من . لقمان وقارون وهارون وفرعون وهامان وزيد فى القرآن الكريم أعلاما غير منسوبين إلى آبائهم أو أمهاتهم .

وقد جاء القرآن الكريم دستورا للبشرية كلها وكتابا قال عنه منزله « مافرطنا فى الكتاب من شئ » فإذا جعلناه إماما لنا فى هذه الظاهرة تبين أن نسبة العلم إلى أبيه أو إلى أمه إنما تلزم حين يحتمل الاختلاط أو يتوقع اللبس أو تدفع بهذه النسبة ريبة أو تهمة . أما حين يكون ذكر العلم مجردا قطعى الدلالة فلا حاجة إلى ذكر هذه النسبة .

ولا أستطيع الجزم بصحة ما أقول ولكنى أحسب ذلك صحيحا ، إذ إنى لم أعثر فيما قرأت على أن أحدا من أهل العلم قال : إن وضع كلمة « ابن » بين العلم وأبيه واجب من الواجبات الدينية أو اللغوية ، أو سنة من السنن المتبعة ، فقد وردت أعلام الأنبياء والرسل وغيرهم فى القرآن الكريم غير موصوفة بكلمة « ابن » وغير منسوبة إلى الآباء أو الأمهات . باستثناء مريم وعيسى عليهما السلام كما تقدم .

وأما قوله تعالى فى سورة الأحزاب « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » فإن هذا قد نزل فى تحريم التبنى بدليل ماقبله من قوله تعالى : وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » فلا تدل هذه الآية الكريمة على وجوب ذكر كلمة « ابن » بين الأعلام . وإنما تدل على وجوب ذكر أسماء الآباء مع الأبناء ، إذا قلنا : إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

فإذا قيل على سبيل المثال : زارنى حامد خالد ، وسافر محمد محمود ، ونجح بكر سعيد ، وكان هذا معروفا عند المخاطب لم تكن هناك ضرورة تدعو إلى أن يقال : زارنى حامدُ بنُ خالد ، وسافر محمدُ بنُ محمود ، ونجح بكرُ

ابنُ سعيد . أضف إلى ذلك أن اللغة العربية مبناها على الإيجاز ، وأن حذف المعلوم جائز كما سيأتى بيانه وتوضيحه .

كذلك جاءت الأحاديث النبوية الشريفة تؤكد ماسبق بيانه من أن الذى يجب الاعتداد به هو الدلالة القطعية التى لايتسرب إليها شك أو ارتياب – فى قوله صلى الله عليه وسلم : « والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » وفى قوله : «يافاطمة بنتَ محمد لاأغنى عنك من الله شيئا . . . ياعباسُ بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا . . . »

وفى قوله للغلام الذى جاءه بشىء من العنب فى الطائف حين أخبره بأنه من نينوى : بلد أخى الصالح يونس ابن متى .

فى هذه الأحاديث إشارة إلى أن توسط كلمة « ابن » بين اسم الشخص واسم أبيه قد جاء على لسانه صلى الله عليه وسلم ، وإن كان قد نسب نفسه إلى جده لا إلى أبيه فى قوله : « أنا النبى لاكذب ، أنا ابن عبد المطلب » ومع ذلك نرى كثيرا من الأحاديث لايلتزم فيها ذلك .

ومن الأعلام الأسماء التى كثر ذكرها فى كتب الحديث مجردة عن نسبتها إلى الأب : عائشة ، وأنسُ رضى الله تعالى عنهما ، ومن الأعلام الكنى التى امتلأت بها كتب السنة : أبو هريرة ، وأبو ذر ، وأبو سعيد الخدرى ، وأبو أيوب الأنصارى ، وأبو موسى الأشعرى ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ومن الأحاديث المشهورة قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كنت لك كأبى زرع لأم زرع » فهاتان الكنيتان دلتا على المراد منهما فاكتفى بهما . ومن يتصفح كتب السنة يجد كثيرا مثل ذلك ، إذ إن الأمر مبنى على الدلالة القطعية وتنحية اللبس والاختلاط .

ولنا فى القرآن الكريم وفى السنة النبوية القدوة الصالحة ولهذا يمكن القول بأن ظاهرة حذف كلمة «ابن» بين الأعلام لاتشكل خطرا ، لاعلى اللغة العربية الفصحى ولا على الحقوق النظامية والفوارق وبيان ذلك فيما يأتى :

هذه الظاهرة بالنسبة لمن تَتَصَدَّى لذكرهم وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة ووكالات أنباء وغيرها ، وهي تتحدث عنهم لاتصالهم بأحداث سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية على مستوى دولهم ، أو على المستوى العالمي وقد تُشِيدُ ببعض مآثرهم مما يقدمون لبلادهم أو للعالم من أمور نافعة ، وقد تقصد إلى وضعهم موضع القدوة الصالحة أو إلى وضعهم موضع التنفير من سوء ما اقترفوا من الأعمال . . . هذه الظاهرة بالنسبة لهؤلاء لاخطورة فيها على الإطلاق لأنهم أشخاص شهروا بأسماء يَتَحرَّى ذِكْرَها القائمون على وسيلة من وسائل الاعلام ، ولم يحدث في تاريخ البشرية وقوعُ شبهة أو لبس بين ملك وملك ، أو بين رئيس دولة ورئيس دولة أخرى ، أو بين وزير ووزير في بلد واحد ، أو بين وزير ونظير ، في بلد آخر

فإذا قرأنا أو سمعنا أنّ الملك فلانا صنع كذا ، أو قدم كذا ، أو سيقوم بزيارة لبلد من البلاد ، فإن الأمر لايحتاج إلى ذكر اسم أبيه ، بله استخدام كلمة «ابن» بين اسمه واسم أبيه .

فالشخصيات التي يرد ذكرها في وسائل الأعلام شخصيات بارزة لها أهميتها ويعرف الناس معالم تُعَيِّن كلا منهم ، وقد جاء مثل ذلك في كتب التاريخ وسير الأعلام من أمثال : الصديق أبي بكر ، والفاروق عمر ، وسيف الله المسلول خالد ، والحسن البصري ، والفارابي ، وأبي العباس المبرد ، وأبي العباس ثعلب . وغيرُ هؤلاء كثير ، كعنترة ، وحاتم ، وسحبان ، وباقل ، فإذا جاء ذكر واحد من هؤلاء وأمثالهم لم ينصرف الذهن إلى غيره ، ولم يكن في حاجة إلى قرينة أخرى تعينه .

أما بالنسبة للتخاطب في الدواوين الرسمية فإن الأمور في هذه الدواوين تؤخذ مأخذ الجد والصرامة ، من أجل إعطاء كل ذي حق حقه ، فالقائمون على خزائن الصرف مثلا لايعطون شيئا لأحد إلا بعد التأكد من أنه هو صاحبه ، ولهم في سبيل هذا التأكد وسائل مختلفة ، والقائمون على شئون الهيئات والمؤسسات والمصالح المختلفة لايتعاملون مع شخص إلا بعد الاستيثاق من أنه

أو هو صاحب التوقيع أو صاحب الخاتم الذى مهربه طلبه ، حتى القائمون على رسائل البرق والبريد المسجلة يتأكدون من شخص المرسِل قبل أن يلبوا طلبه .

وقد سألت بعض القومة على شئون الحقوق المدنية فى شعبتها المجاورة لمسجد العيد بمدينة الرياض عما يترتب على حذف كلمة « ابن » بين الأعلام ، وعما يكون قد حدث من اشتباه أو اختلاط بين بعض الأسماء وبعضها الآخر بسبب ذلك . وكانت إجابته بالنفى ثم أردف ذلك بإطلاعى على عدد من الطلبات التى كانت أمامه ،وجعلنى أقرأ أسماء أصحابها ، وقد وجدتها جميعا خلوا من ذكر كلمة «ابن » وهذا دليل من الواقع على أنه ليس فى الأمر خطورة .

أما فيما يتصل بالمكاتبات الشخصية فإن الأمر فيها أهون مما تقدم ، إذ إن كُلًّا منا يعرف أهله ، أقاربه وأصدقاءه ومعارفه ، وربما عرف تلاميذه وأساتذته ، وكثيرا مايعرف الواحد منا صاحب الرسالة قبل أن يفض غلافها من خط صاحبها ، أو من طابع البريد ، أو من توقُّعه وانتظاره .

ومهما كثر المذكورون فإن احتمال الخلط بينهم ، أو احتمال الالتباس غير ممكن ، لأن لكل منهم سِمَةً خاصة تميز رسالته عن رسائل الآخرين ، وعَلاقة المرسِل بالمرسَل إليه تحدد هذه السمة المميِّزة .

وقد وضعت الأعلام لتميز بين الأشخاص من الإنسان وغيره ، فكما يسمى الآدميون أبناءهم وبناتهم ، كذلك يسمون بعض مايألفون من الحيوان كالخيل والجمال والكلاب وغيرها . وكذلك يسمون الأقاليم والأماكن والمدن والأقضية والقرى والجبال وكل مايحتاجون إلى تسميته ليمتاز عن غيره مما قد يشبهه .

فإذا تشابه زيد وزيد أضافوا إلى كل منهما من الخصائص والصفات مايفرق بينه وبين الثانى ، ومن هذه الخصائص ذكر الأب تابعا لكل منهما مضافاً إلى كلمة « ابن » أو مجرداً منها فيقال للأول : زيدُ بنُ عامر ، ويقال للثانى : زيدُ بنُ عُمَرَ ، أو يقال : زيدُ عامرٍ ، وزيدُ عمرَ .

ومن الصفات التى أوجب النحويون إتباعها للموصوف مالايعرف الموصوف

إلا بمجموعها كلها لتنزيلها منه منزلة الشيء الواحد وذلك نحو : حضر زيدٌ التاجرُ الفقيهُ الكاتبُ ، إذا كان هذا الموصوف يشاركه فى اسمه ثلاثة : أحدهم تاجر فقيه ، والثانى تاجر كاتب ، والثالث فقيه كاتب .

والنحاة فى مثل هذه الحالة لم يتحدثوا عن وصف العلَم بلفظ « ابن » متبوعاً باسم والده ، فضلا عن أن يوجبوه أو يستحسنوه .

والمعتمد فى وضع الأعلام واستعمالها عدم اختلاط الأعلام بعضها ببعض وألا يلتبس علَم بعلَم آخر ، ومنع الاختلاط والالتباس يتأتى بالقرائن التى توضع قرين كل علم من الأعلام .

وهذه القرائن منها ماهو واقع يؤدى مهمته كذكر الآباء والأمهات والقبائل فإذا عرف العلَم بذلك لم يكن بحاجة إلى قرينة أخرى .

ومما ابتكره التسجيل الحديث من القرائن فى دفاتر قيد المواليد ذِكْرُ تاريخ الميلاد وساعته وذكر محل الميلاد ، مع اسم كل وليد جديد ، واعطاءُ ولى أمره وثيقة دُوّن بها الاسم المختار لهذا الوليد ، واسم الوالد ، واسم القبيلة أو الأسرة التى ينتمى إليها ، ثم تاريخ الميلاد وساعته ومحل الميلاد . وتوضع تلك البيانات فى البطاقة الشخصية أو جواز السفر أو ترخيص العمل ، أو الشهادة الدراسية التى يحصل عليها ، تميزا للأشخاص بعضهم عن بعض .

ومن هذه القرائن الشهرةُ التى قد تجىء عن طريق العلم مثلا ، كشهرة الخليل بعلم العروض ، وشهرة سيبويه بعلم النحو ، وشهرة البخارى بعلم الحديث ، وشهرة أبى الفرج الأصفهانى بعلم الأدب .

فإذا ذكر واحد من هؤلاء أو من أمثالهم لم ينصرف الذهن إلى غيره ولم يحتج إلى قرينة من القرائن التى تعين على تحديد المراد .

وقد درج أولو الأمر فى كثير من البلاد على اشتراط أن يكون الاسم الذى يوضع للوليد ثلاثيا أى مكونا من ثلاثة

أعلام هى اسم الوليد ، واسم أبيه واسم جده ، ويرون هذا كافيا فى التمييز بين الأشخاص ، ثم يضيفون إليه فى سجلاتهم القرائن التى تؤكد الفصل بين الأشخاص فيما سبقت الإشارة إليه كتاريخ الميلاد وساعته ومحل الميلاد ، ورقم حفيظة النفوس ورقم جواز السفر ، ومحل السكن والإقامة لأنه كثيرا مايختلف عن محل الميلاد

وفى بلاد أخرى يشترطون الاسم الرباعى وإذا حصل الاختلاط وجب أن يضاف إلى الاسم الرباعى مايعيّن الشخص ، وقد التحق بإحدى الكليات طالبان اتحدا فى الاسم الرباعى فكان لابد من إضافة صفة تميز أحدهما عن الآخر ، وقد حذفت هذه الصفة فى وثيقة التخرج لوجود قرائن تُميِّز كلا منهما عن الآخر هى تاريخ الميلاد ومحله ومجموع الدرجات وتقدير الطالب وترتيبه

وهذه القرائن تصعب إضافتها فى قوائم الأسماء التى تُعَدّ عادة لإحصاء نسبة حضور الطلاب ، أو لرصد الدرجات التى يحصلون عليها فى الاختبارات ، أو لتسليم الكتب والمذكرات أو المكافآت ، وغير ذلك مما يحتاج إليه .

ومن كلام ابن مالك فى الألفية تحت عنوان « العلَم »[1]

اسم يعين المسمى مطلقا
علَمه كجعفر وخرنقا

وقَرَنٍ وعَدَنٍ ولاحِق
وشَذْقَمٍ وهَيْلَةٍ وواشق

واسما أتى وكنية ولقبا
وأخرنْ ذا إن سواه صحبا

وإن يكونا مفردين فأضف
حتما وإلا أتبع الذى ردف

وبيان ماحوته هذه الأبيات لايخفى ، ولكن الذى نجدر الإشارة اليه أن التعيين المطلق أساس العلَمية ، وأن هذا التعيين ليس مقصورا على الآدميين ، وأن الاسم والكنية واللقب قد تأتى تباعا كما يحدثنا التاريخ أن رسولنا

(١) ألفية ابن مالك ص ١٤ ط صبيح بالقاهرة سنة ١٣٤٨ ﻫ (١٩٣٠ م) .

عليه الصلاة والسلام سمى عند ولادته محمدا ، ولقب بعد ماعرفت صفاته بالأمين ، ثم كنى بأبى القاسم ، فهذه الأعلام الثلاثة لم توضع مرة واحدة وقد كان كل منها كافيا فى التعيين .

والذى أراه أنها قد تجتمع فى لفظ واحد كمن يسمى وليده أبا المجد أو أم الخير فهذا مركب إضافى مصدر بأب أو أم ، فانطبق عليه تعريف لكنية ثم هو مشعر برفعة المسمى ، فانطبق عليه تعريف اللقب ، وقد قصد من وضعه الدلالة على الذات المعينة ، وهذا هو تعريف الاسم ، إذ إنه «ماوضعه الأبوان ونحوهما ابتداءً كائنا ماكان»[1] وهذا رأى لبعض النحاة وإن كان منهم من يقول : «وأما الاسم فبينه وبين كل منهما تباين «ويرد عليه غيره[2] بقوله : «لقائل أن يمنعه فإن نحو «محمد» علما يصدق عليه حدّ اللقب فإنه أشعر بالمدح لأنه فى الأصل وصف بمعنى مَنْ كثر حَمْدُ الخلق له لكثرة خصاله الحميدة

وفى شرح المفصل لابن يعيش :

اعلم أن العلم هو الاسم الخاص الذى لا أخص منه . ويركب على المسمى لتخليصه من الجنس بالاسمية ، فيفرق بينه وبين مسميات كثيرة بذلك الاسم ، ولايتناول ماثله فى الحقيقة والصورة لأنه تسمية شىء باسم ليس له فى الأصل أن يسمى به على وجه التشبيه ؛ وذلك أنه لم يوضع بإزاء حقيقة شاملة ولا لمعنى فى الاسم .

ولذلك قال أصحابنا : إن الأعلام لا تفيد معنى . ألا ترى أنها تقع على الشىء ومخالفه وقوعا واحدا ، نحو زيد ، فإنه يقع على الأسود ، كما يقع على الأبيض ، وعلى القصير ، كما يقع على الطويل . . .[3]

قال النحويون : العلَم ما يجوز تبديله وتغييره ، ولا يلزم من ذلك تغييرا

(١) حاشية يس على التصريح ١ / ١٢٠ ، حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل ١ / ٦٣ ، وحاشية الصبان على شرح الأشمونى ١ / ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢) المراجع نفسها .

(٣) ج ١ : ص ٢٧ .

اللغة فإنه يجوز أن تنقل اسم ولدك أو عبدك من خالد إلى جعفر ، أو من بكر إلى محمد ، ولا يلزم من ذلك تغيير اللغة .

وإنما أُتى بالأعلام للاختصار وترك التطويل بتعداد الصفات ، ألا ترى أنه لولا العلَم لاحتجت إذا أردت الأخبار عن واحد من الرجال بعينه أن تعدد صفاته حتى يعرفه المخاطب . فأغنى العلَم عن ذلك أجمع .

هذا كلام ابن يعيش ، وقد عرف السيوطى العلم بقوله : « العلم ما وضع لمعين لا يتناول غيره »[1] وإيجاز السيوطى كبسط ابن يعيش وتفصيله : فالعلَم عند النحويين هو الاسم الخاص الذى لا أخص منه ، وهو ما وضع لمعين لا يتناول غيره ، فإذا تحقق ذلك لشخص من الأشخاص بكلمة واحدة كانت كافية . وإذا لم يتحقق إلا بصفات كان ذكر هذه الصفات واجبا من أجل التعيين .

وقد درج بعض الناس على وضع علمين للابن الواحد فيسمونه : محمد عبد المجيد ، أو محمد نور الدين ، أو محمد الأمين ، وهذه الأعلام ينبغى أن تتبع بكلمة « ابن » للتمييز بين الولد والوالد ، فإن المتبادر إلى الذهن على ما جرى به العرف عندما يذكر : محمد عبد المجيد أن اسم الوالد عبد المجيد ، وأن اسم الولد هو محمد ، وليس الأمر كذلك .

فإذا اقتضى التعيين ، ومنع الالتباس ذكر كلمة « ابن » وجب ذكرها ، وإذا لم يقتضيا ذلك جاز ذكرها وجاز حذفها تطبيقاً للقاعدة المشهورة التى ذكرها ابن مالك بقوله : « وحذف ما يعلم جائز » وأعاد ذكرها فى باب النعت بقوله

وما من المنعوت والنعت عقل
يجوز حذفه وفى النعت يقل[2]

فاذا كانت كلمة « ابن » نعتا معلوما

---

(١) همع الهوامع ١ / ٧٠ .
(٢) ص ٤٥ من متن الألفية .

لمـا قبلها من الأعلام جاز حذفها . ولا يمتنع ذلك إلا عند خوف اللبس .

وقد يسر العلماء استخدام كلمة « ابن » بين الأعلام ، فحذفوا ألفها تبعا لحذف تنوين العلم الذى قبلها كما حذفوها فى النداء وبعد همزة الاستفهام نحو قولك : أبنك هذا ؟ يابن آدم ، وقدم محمد بن خالد ، وشرط هذا المثال الأخير : أن يقع « ابن » بين علمين ثانيهما أب للأول ولو تنزيلا وألا ينون الأول ولم تقطع همزة « ابنٍ » لضرورة وزن ، وأن يكون « ابن » متصلا بالعلم الأول على أنه نعت له غير مقطوع ولا بدل منه ولا خبر عنه ولا مستفهم عنه ، وألا يقع « ابنُ » أول سطر .

وعلل هذا الحذف بتنزيلها مما قبلها منزلة الشيء الواحد لشدة اتصال الصفة بالموصوف وحلوله محل الجزء منه . وهذا التعليل لا يمنع حذفها عند العلْم كما تقدم . فإذا ابتدىء بكلمة « ابن » بعد الوقف وجب نطق همزة الوصل وإن كانت غير مكتوبة .

ومن التيسير أيضاً ما ذكروه فى باب النداء من جواز الضم والفتح فى نداء نحو زيد بن عمرو ، وقد أشار ابن مالك إلى ذلك بقوله :

ونحوَ زيد ضُم وافتحن من
نحو : أزيدُ بن سعيد لاتَهِن
والضم إن لم يل الابنُ علما
أويلِ الابنَ علمٌ قد حتما [1]

وهنا مسألة جديرة بالاهتمام : وهى فى قول القائل : إن لفظ « ابن » مقحم بين المضاف والمضاف إليه وابن الشخص يضاف إليه لملابسته له ، ويفهم من ذلك أن الاستغناء عن كلمة « ابن » بين الأعلام وإضافة العلم الأول إلى العلم الثانى أمر مشروع فى اللغة العربية الفصحى : لأنه لا معنى للإقحـام إلا الزيادة وإمكان

(١) ص ٥٠ من متن الألفية .

الاستغناء عنه ، ومعروف أنه يصح إضافة العلَم الأول إلى العلَم الثانى . إذا كان الثانى أبا للأول فى جميع الأساليب فتقول : جاء محمدُ خالدٍ ورأيت محمدَ خالدٍ ، ومررت بمحمد خالدٍ .

وتدل بعض الوقائع على أن التشابه فى الأعلام قد يحدث شيئا من اللبس أو الاختلاط ، لكنه لا يلبث أن يزول باستشارة القرائن المختلفة .

وقد عنى العلماء العرب قبل أن ينير الإسلام بصائرهم بحفظ الأنساب والحرص عليها وقد اشتهر من بينهم أبو بكر خليفة رسول لله صلى الله عليه وسلم وكانوا بعد الإسلام أشد حرصا على معرفتها والعناية بها ، حتى ألف كثيرون منهم كتبا ، هى من الشهرة وذيوع الصيت بمكان . .

وقد وصف عز الدين بن الأثير الجزرى كتاب الأنساب للسمعانى بأنه قد جمع فيه الأنساب إلى القبائل والبطون كالقرشى والهاشمى ، وإلى الآباء والأجداد كالسليمانى والعاصمى وإلى المذاهب فى الفروع والأصول ، كالشافعى والحنفى والحنبلى ،والأشعرى والشيعى والمعتزلى والقصاب والبقال وذكر أيضاً الصفات والعيوب كالطويل والقصير .

وإلى الأمكنة كالبغدادى ، والموصلى، وإلى الصناعات كالخياط والكيال ، والأعمش والضرير ، والألقاب كجزرة وكيلجة ، فجاء الكتاب فى غاية الملاحة ، ونهاية الجودة والفصاحة . (1)

وقد رتب ابن الأثير كتابه « اللباب على أحرف الهجاء من الألف إلى الياء وقدم بين يدى كل علَم ما اشتهربه

ومن كتب الأنساب جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار ١٧٢ - ٢٥٦ ه وقد حققه الأستاذ محمود شاكر ، ونشرته مكتبة دار العروبة بالقاهرة . وكثيرا ما يجد المتصفح لكتب الأنساب أشخاصا اشتهروا بأسمائهم أو اشتهروا

(١) اللباب فى تهذيب الأنساب تأليف عز الدين بن الأثير الجزرى - دار صادر ، بيروت ج ١ ص ٧ .

بكناهم أو ألقابهم ، وقد دعت هذه الشهرة إلى أن ألف . « كتاب الكنى والألقاب » المحقق الشهير والمؤرخ الكبير الشيخ عباس القمّى وقد رأيت من هذا الكتاب طبعته الثالثة الصادرة سنة (١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م في المطبعة الحيدرية بالنجف وهو فى ثلاثة أجزاء يحتوى الجزء الأول منها على (٤٥٤) صفحة ، ويحتوى الجزء الثانى على (٤٩٨) صفحة ، وفى الجزء الثالث (٣٧٤) صفحة ، وقد جمع هذا الكتاب عددا كبيرا ممن اشتهروا بالكنى أو بالألقاب فدل ذلك على أنّ العبرة فى الأعلام بالتعيين لا بذكر الأب ولا تخصيص قرينة من القرائن فلكل علَم من الأعلام قرينته المميزة .

وقد تصفحت فهارس الأعلام فى بعض الكتب ، فوجدت فيها أعدادا كبيرة قد ذكرت أسماؤهم أو ألقابهم أو كناهم أو ما اشتهروا به مما سبقت الإشارة إليه ، دون التقيد بذكرهم منسوبين إلى الآباء ، ومن هذه الكتب

١ ـ كتاب مراتب النحويين تأليف أبى الطيب اللغوى المتوفى (٣٥١هـ) وجدت فيه ما يزيد على مائة علَم من هؤلاء .

٢ ـ كتاب أخبار النحويين لأبى سعيد السيرافى المتوفى (٣٦٨هـ) وجدت فيه ما يقرب من ثمانين علَما منهم .

٣ ـ كتاب طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر الزبيدى المتوفى (٣٧٩ هـ) وجدت فيه ما يقرب من مائتين وثلاثين عَلَماً .

وكذلك نظرت فى فهارس سيبويه لهارون ، وفهارس الخصائص للنجار فوجدت فى الأول خمسة وثلاثين ومائتى علم ، ووجدت فى الثانى ثلاثين وثلاثمائة علم من بين الأعلام المذكورة فى فهرس كل منهما قد خلت من النسب .

وبعد ، فإن حرص المؤرخين وأصحاب الطبقات على تعيين الأشخاص ،وتحديد خصائصهم ، وعدم الخلط بين شخص وآخر كان حرصاً محققاً للغرض منه . وقد تركوا لنا كثيراً من الكتب فى ذلك ، أشار السيوطى إلى عدد كبير منها فى « بغية الوعاة » وذيل كتابه « المزهر فى علوم اللغة وأنواعها » بشىء من هذا القبيل ،

جاء ابتداء من النوع الخامس والأربعين في المزهر وعنوانه :

« معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب »

وقد قسم هذا النوع إلى أربعة فصول :

الأول في معرفة من اشتهر بكنيته أو نسبه ، وجعله نوعين :

أحدهما فيما يتعلق بأئمة اللغة والنحو كأبي الأسود الدؤلي ، وأبي الخطاب الأخفش وأبي جعفر الرؤاسي ، والأصمعي ، وسيبويه ، وقطرب ، وأبي الحسن الأخفش الأوسط ، والكسائي ، والفراء ، وأبي عثمان المازني ، والمبرد ، وثعلب .

والقسم الثاني فيما يتعلق بشعراء العرب الذين يحتج بشعرهم في العربية ، كامرئ القيس ، والنابغة الذبياني ، والأعشى ، وتأبط شرًا ، والفرزدق ، والأخطل ، وذي الرمة ، وأبي النجم ، والعجاج .

وفي الفصل الثاني : ذكر كنى بعض الأئمة الذين اشتهروا بأسمائهم أو ألقابهم أو نسبهم وأتبع كنى علماء اللغة والنحو بكنى بعض الشعراء .

وجاء الفصل الثالث : في معرفة الألقاب وأسبابها ، وقد بدأه بأئمة اللغة والنحو وذكر منهم عنبسة الفيل وسيبويه وقطربا والمبرد وذكر بعدهم ألقاب شعراء العرب ، كما ذكر ممن لقب ببيت شعر قاله عَدَدًا أربى على خمسين شاعرًا .

ثم تحدث عمن تعددت أسماؤه أو كناه أو ألقابه ، في ختام هذا الفصل .

وفي الفصل الرابع : جاء حديثه عن معرفة الأنساب ، فبين فيه من نسب إلى القبيلة ، ومن نسب إلى البلد والوطن ، ومن نسب إلى جدٍّ له ، ومن نسب إلى لباسه ، ومن نسب إلى اسمه واسم أبيه ، ومن نسب إلى صحبه

والنوع السادس والأربعين : ذكر فيه السيوطي طرفاً من المؤتلف والمختلف في الأسماء والألقاب والكنى والقبائل .

وفي النوع السابع والأربعين تحدث عن المتفق والمفترق في أئمة اللغة والنحو

وفى شعراء العرب وفيما يتعلق بالقبائل .

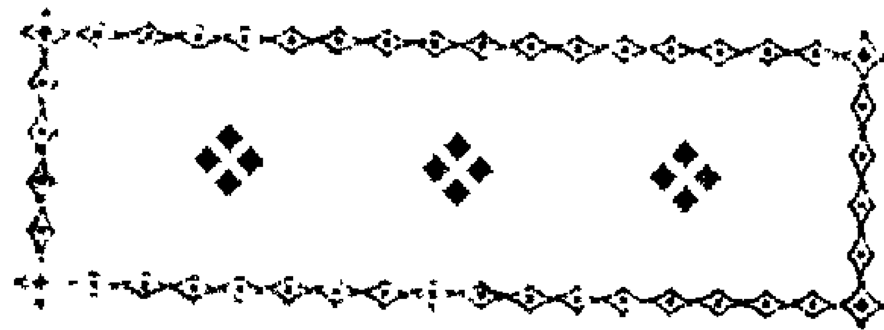
وجعل النوع الثامن والأربعين للتعريف بالمواليد والوفيات .

ولعل فيما تقدم دليلا على أن توسط كلمة « ابن » بين الولد والوالد غير لازم إلّا عند الحاجة .

ولعلى بهذا أكون قد وضعت أساساً يمكن البناء عليه : للبحث فى جذور هذه الظاهرة بحثاً أساسه الإحصاء والاستقراء : لمن يكلَّفه من المتخصصين فى علم الأنساب . .

وحسبنا الله ونعم الوكيل ...

امين على السيد
عضو المجمع



مع المرزوقى فى عمود الشعر

للدكتور عبد الله الطيب

وأما عمود الشعر فمن العجب الزعم الدائر الآن أن هذه العبارة كانت اصطلاحاً . ولو كانت اصطلاحاً لكان النقاد قد أفردوا لها باباً أو فصلا . ولا تجد شيئاً من عند أحد منهم وحسبك شاهدًا عمدة ابن رشيق وكتاب قدامة وأبى هلال والمثل السائر وإنما كان قولهم عمود الشعر كقولهم عمود كذا وكذا أى قوامه وما ينبغى أن يعمد إليه فيه وقولنا الصلاة عماد الدين ليس عماد الدين فيه اصطلاحاً للصلاة ولما ينبغى أن تكون عليه ولكنه وصف وتمثيل ، وكذلك قولك عمود الشعر ، قال الجاحظ فى الحيوان ج ٦ — ٧٢ — ٧٣ (الطبعة المصورة عن حيوان عبد السلام هارون) فى معرض الحديث عن الضب : « فأما ما ذكروا من أن للضب كذا وكذا فهذا من العجب العجيب ولم نجدهم يشكون وقد يختلفون ثم يرجعون إلى هذا العمود أ — ه أى عامدين إلى هذا القول المتقدم . وفى البيان والتبيين ج ١ — ص ٣٤٠ (« وكان خالد جميلا ولم يكن بالطويل فقالت له امرأته إنك لجميل يا أبا صفوان قال وكيف تقولين هذا وما فى عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه فقيل له ما عمود الجمال فقال الطول ولست بطويل ورداؤه البياض ولست بأبيض وبرنسه سواد الشعر وأنا أشمط ولكن قولى أنك مليح ظريف « ا — ه » . فالعمود والبرنس والرداءُ مع ما أضفن إليه ههنا لسن بإصطلاحات .

ولكن هذه الطريقة من التعبير وعمود من أساليب البيان أى شىء يعمد إليه العامد من أساليب البيان .

قال الجاحظ فى الجزء الرابع من الحيوان ص ٧٧ بمعرض تفسير قوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » : أن شحم الخنزير مراد أيضاً بالتحريم (فلما كان اللحم هو العمود الذى يقصد إليه إلخ) وقالوا عمود

الرواية أى ما يُعْمَدُ عليه منها : وما يعمد إليه منها . والأمثلة فى هذا المجال كثيرة وعلى هذا قولهم : (عمود الشعر) أى ما ينبغى أن يعمد إليه منه فهذا ليس باصطلاح فعسى أن يكف بعض القائلين من غربهم فى هذا المجال وليس ما ذكره المرزوقى فى مقدمته لشرح الحماسة بخارج فى جملته عما ذكرنا ؛ ذلك بأن المرزوقى قد جعل لعموده أبواباً فدل بذلك على أنه وجه يعمد إليه ومقاصد يقصد نحوها إذ لا يحسن أن نزعم أن له أبواباً إلا على هذا المعنى ومن قال أن العمود يدل على الخيمة والخيمة لها أبواب فقد تكلَّفَ والمرزوقى رَحمه اللهُ مِمَّن يتكلف غير أنه لا يبلغ به ذلك هذا الحد . وقوله عمود الشعر المعروف عند العرب أشبه بالمعنى الذى قدمناه أى مقصد الشعر المعروف عند العرب . وإليك بعد أهم ما قال : (فالواجب أن يتبين ما هو عمود الشعر المعروف[1] عند العرب ليتميز تليد الصنعة من الطريف وقديم نظام القريض من الحديث ولتعرف مواطئ أقدام المختارين فيما اختاروه ومراسم أقدام المزيفين على ما زيفوه ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع . وفضيلة الأتى السمح على الأبى الصعب فنقول وبالله التوفيق .

« إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته . وجزالة اللفظ واستقامته والإصابة فى الوصف - ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال . وشوارد الأبيات - والمقاربة فى التشبيه والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لامنافرة بينهما فهذه سبعة أبواب هى عمود الشعر . ولكل باب معيار . فمعيار المعنى أن يعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب ، فإذا انعطفت عليه جنبتا القبول والاصطفاء مستأنساً بقرائنه . خرج وافياً وإلَّا انتقص بمقدار شوبه ووحشته . وعيار اللفظ

(١) أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى المتوفى ٤٢١ هـ - مقدمة شرح الحماسة الطبعة الثانية - القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ص ٨ - ١١ - القسم الأول .

الطبع والرواية والاستعمال ، فما سلم مما يهجنه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم . وهذا فى مفرداته وجملته مراعى لأن اللفظة تستكرم بانفرادها فإذا ضامها مالا يوافقها عادت الجملة هجيناً . وعيار الإصابة فى الوصف ، الذكاء وحسن التمييز ، فما وجدناه صادقاً فى العلوق مازجاً فى اللصوق يتعسر الخروج عنه والتبرؤ منه فذاك سيماءُ الإصابة فيه . ويروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : فى زهير (كان لايمدح الرجل إلا بما يكون للرجال) فتأمل هذا فإن تفسيره ماذكرناه . ومعيار المقاربة فى التشبيه الفطنة وحسن التقدير فأصدقه مالا ينتقض عند العكس ، واحسنه ما أوقع بين شيئين اشتراكها فى الصفات أكثر من انفرادهما ليبين وجه الشبه بلا كلفة إن يكون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المشبه به وأملكها له لأنه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس . وقد قيل أقسام الشعر ثلاثة : مثلٌ سائر ، وتشبيه نادر واستعارة قريبة وخيار التحام أجزاء النظم والتئامه على تخير من لذيذ الوزن ، الطبع واللسان ، فما لم يتعثر الطبع بأبنيته

وعقوده ، ولم يتحبس اللسان فى فصوله ووصوله بل استمرا فيه واستسهلاه بلا مَلَال ولا كِلَال ، فذلك يوشك أن يكون القصيدة منه كالبيت والبيت كلمة تسالما لأجزائه وتقارناً وإلَّا يكون كما قيل فيه :

وشِعْرٍ كَبَعْرِ الكَبْشِ فَرّق بَيْنَه
لِسَان دَعَى فى القريضِ دخيل

وكما قال خلف :

وبعض قريض القوم أولاد عِلَّةٍ
يكد لسان الناطق المتحفظ

وكما قال رؤبة لابنه عقبة وقد عرض عليه شيئاً مما قاله فقال :

قد قلت لوكان له قران

وإنما قلنا « على تخير من لذيذ الوزن » « لأن لذيذه يطرب الطبع لإيقاعه ويمازجه بصفائه، كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظمه ولذلك قال حسان :

تغن فى كل شعر أنت قائله
إن الغناء لهذا الشعر مضمار

وعيار الإستعارة الذهن والفطنة . وملاك الأمر تقريب التشبيه فى الأصل حتى يتناسب المشبه والمشبه به ، ثم

يكتفى فيه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان له فى الوضع إلى المستعار له . وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشـدة اقتضائهما للقافية طول الدربة ودوام المدارسة فإذا حكمنا بحسن التباس بعضها ببعض لا جفاء فى خلالها ولا نبو ولا زيادة ولا قصور ، وكان اللفظ مقسوماً على رتب المعانى قد جعل الأخص للأخص والأخس للأخس ، فهو البرئ من العيب ، وأما القافية فيجب أن تكون كالموعود به المنتظر يتشوفها المعنى بحقه واللفظ بقسطه وإلّا كانت قلقة فى مقرها مجتلبة لمستغن عنها . فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب فمن لزمها بحقها وبنى شعره ، عليها فهو عندهم المفلق المعظم والمحسن المقدم ، ومن لم يجعلها فبقدر مهمته منها يكون نصيبه من التقدم والإحسان وهذا إجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن .

قد ترى أن المرزوقى ادعى الإجماع على هذا الذى ذكر أنه العمود المعروف عند العرب فأفاد بهذا أن العهود إليه هو جودة الشعر وقد اشرك معه ما يقع من الأمثال نثراً كما ترى . وهو بعد مما يشرك النثر والخطب وضروب الكتابة فى كل ما يعمد إليه من جودة التجويد فى الشعر إلّا الوزن والتقفية ، فلو كان مراده . بعمود الشعر إصطلاحاً دالا على أمر معين متعلق بالشعر لكان اكتفى بالوزن والقافية ثم جعل ما يلى ذلك وسائط وأطرافاً وعناصر وائتلافات كما صنع قدامة . ثم إن هذا الذى ادعى له المرزوقى الإجماع ليس خاصاً بالعرب وحدهم إلّا التقفية — إذ هو يصدق مثلا على شعر كثير من غيرهم من الأمم . إذ هذه الأمور التى ذكرها إنما هن أبواب الجودة والبلاغة ولا يعقل أن يكون قولهم عمود الشعر اصطلاحا ثم يكون من بعد لا مدلول له إلّا البلاغة والجودة .

هذا ولو تأملت الأشياء السبعة التى ذكرها أبو على المرزوقى رحمه الله وجدتها كلها راجعة إلى ما ذكره الجاحظ وابن قتيبة وقدامة : الشرف من ابن قتيبة وأسبق وكذلك أمر اللفظ والمعنى منه ومن الجاحظ والالتحام والالتئام من نظم الجاحظ واقتضاء اللفظ والمعنى بعد تشاكلهما للقافية من قدامة . وقد يعلم القارئ الكريم أن قدامة كره أن يستخرج ستة ائتلافات

من عناصره الأربعة وزعم أن القافية داخلة في مداول اللفظ . ثم كره أن يجعل ائتلافاته ثلاثة وهو يعلم أن ائتلافات العناصر الأربعة (الماء والهواء والنار والتراب) من أمزجة أربعة :

(البلغم والدم والسوداء والصفراء)

فلعله — والله أعلم حرص على أن تكون امتزاجات ائتلافاته أربعة فجعل القافية ائتلافاً خاصاً مع المعنى ومثل لما يعاب منه بقول أبي عدى القرشي :

ووقاك الحتوف من وارث وا
ل وأبقاك صالحاً ربُّ هود

ولعل المرزوقي رحمه الله جعل أبوابه سبعة (ومما يحمد له أنه لم يَدّعِ في ذكرها ولا معرفتها لنفسه سَبْقاً) للتبرك بعدد السبعة . إذ هي كما ذكرها أكثر من سبعة . ماذا كان عليه لوجعلها اثنى عشر باباً كما وردت في سياقها فإن الاثنى عشر عدد فيه بركة كما فيه مراعاة لأهل [١]الطبيعة والفلك إذ البروج اثنا عشر :

١ — شرف المعنى .

٢ — وصحته .

٣ — وجزالة اللفظ .

٤ — واستقامته .

ولا يخفى أن الصحةَ غير الشرف وقد مزجها في معياره بالشرف مزجاً متكافئاً والجزالة غير الاستقامة وليته فسر لنا الجزالة إذ مداولها عند المتأخرين أخفى مما كان عند المتقدمين .

وفي زماننا هذا هو أشد خفاءً مما كان عليه في المئة الخامسة .

أما الاستقامة فمن ضمن صفة التركيب النحوى حسنا وقبحاً وهذا أمر وفاه سيبويه حقه في مقدماته وفي سائر الكتاب من بعد . وزعم عبد القاهر أن سيبويه إنما ألم [١]بذلك إلماماً وادعى لنفسه فضيلة السبق والاستيفاء ولعل نصيبه من ذلك للمتأمل نسبي . ولله دَرّ ابن رشيق إذ جاء بالرشيق

---

(١) إن شئت رددت الشرف إلى الكاتب المجهول لونقينس ورب زاعم أنه كان عربيا من أهل تدمر زمان ملكها فتأمل .

ذى السبق الدقيق ولم يدع لنفسه من سبق أو ابتكار إلا الجمع والتأليف[1].

٥ – والمقاربة فى التشبيه – وهذا مما لا ينفرد به طلب التجويد فى الشعر دون النثر .

٦ – التحام إجزاء النظم والتئامها .

٧ – على تخير من لذيذ .

٨ – الوزن .

هؤلاء الأبواب الثلاثة من (٦ إلى ٨) جعلهن المرزوقى باباً واحدًا وجلى أن النظم (ولا يراد به الوزن) باب كما الوزن باب كما اختيار الوزن باب – على أن للمرزوقى وجهاً فى هذا الذى لجأ إليه من جعلهن باباً واحدًا على ما تكلفه من ذلك وسنذكر من ذلك بعد قليل إن شاء الله .

٩ – مناسبة المستعار منه للمستعار له .

وهذا كالتكرار لما تقدم من المقاربة فى التشبيه غير أن له ما يبرر جعله باباً مفردًا .

١٠ – مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية .

فهذه عشرة أبواب . وقد يقال إن مشاكلة اللفظ للمعنى ينبغى أن تعد باباً هو وجه إلّا أن فى ذلك كالتكرار للبابين أو الأربعة الأبواب الأُول .

وقد تصير الأبواب اثنى عشر بجعل هذا الباب ثلاثة أبواب كما جعله قدامة إذ هو من قدامة مأخوذ وذلك أن يقال :

١٠ – مشاكلة اللفظ للوزن .

١١ – مشاكلة المعنى للوزن .

١٢ – مشاكلة المعنى القافية ولايخفى

(١) وادعى حازم سبقا وأغار على موسيقا الفارابى فى مواضع منها تعريفه للشعر حيث قال (ص ٨٩ من منهاج البلغاء طبع تونس بتحقيق الحبيب بن خوجة ١٩٦٦ م الشعر كلام مخيل موزون مختص فى لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك ويكثر حازم من استعمال (الأقاويل) وهى من ألفاظ الفارابى القرآنية كثيرة فى موسيقاه الكبير وأهل العصر مولعون بحازم والجرجانى الثانى والمرزوقى ولا ننكر لهم فضلا إلا أن كون هذا الولع (موضة) لا يخفى وأحسن حازم فى أمر الربط والوحدة حيث استشهد ببائية أبى الطيب ، وفى أمر ألوان الأوزان وتوسع فيه شيئا بتنوع من الشرح لما جاء عند ابن رشيق وهو قول الخليل وإضافته التخييل على التعريف عناء لأنه رغم أنه فى اللفظ والوزن والقائل والسامع فلو لزم التعريف المعروف لكان له احزم والله أعلم .

تكلف المرزوقى حيث ضم اللفظ إلى المعنى وجعلهما معا يقتضيان القافية اقتضاءً شديدًا ، فزاد على التكلف الذى جاء به قدامة ؛ تكلفاً آخر ، وعبارة قدامة فى مقدماته : « إلَّا أنى نظرت فوجدتها (يعنى قدامة القافية) من جهة ما أنها تدل على معنى لذلك المعنى الذى تدل عليه ائتلاف مع سائر البيت فأما مع غيره فلا لأن القافية إنما هى لفظة مثل لفظ سائر البيت من الشعر ، ولها دلالة على معنى لذلك اللفظ أيضاً والوزن شىءٌ واقع على جميع لفظ الشعر الدال على المعنى فإذا كان ذلك كذلك فقد انتظم تأليف الثلاثة الأمور الأخر ائتلاف القافية أيضاً .إذ كانت لاتعدو أنها لفظة كسائر لفظ الشعر المؤتلف مع المعنى فأما من جهة ما هى قافية فليس ذلك ذاتاً يجب بها أن يكون لها به ائتلاف مع شىء آخر إذ كانت هذه اللفظة إنما قيل إنها قافية من أجل أنها مقطع البيت وآخره وليس أنها مقطع ذاتى لها وإنما هو شىءٌ عرض لها بسبب أنه لم يوجد بعدها لفظ فى البيت غيرها وليس الترتيب أن لا يوجد للشىء تال يتلوه ذاتاً قائمة فيه ، فهذا هو السبب فى أنه لم يكن للقافية من جهة ما هى قافية تأليف مع غيرها .

مما يبرر التلاحم فى النظم واختيار الوزن لذيئاً ثم الوزن نفسه كل أولئك الثلاثة باب واحد أن المرزوقى فيما نرى أراد أن ينبه على أن الكلام له نظم يلزمه عند من يريد تجويده أن يكون ملتحماً ملتئماً من حيث هو نظم أسلوبى صياغى. وما نرى إلَّا أن الجاحظ لفق نظريته فى النظم من قصة الإعجاز التى يقول بها كل معلم وقصة الخلق التى هى مذهب عند المعتزلة . فابتعد عن مذهبهم ودنا مما كان عليه أهل السنة ومهد بذلك لابن الباقلانى وعبد القاهر وغيرهما تمهيدًا هذا ثم كأن المرزوقى أراد أن ينبه أيضاً على أن النظم بعد أن يلتحم ويلتئم فى نفسه التحاماً والتئاماً آخر مع الوزن لامن حيث إن الوزن إطار تنحصر فيه كلمات النظم والقول بنحو من هذا من اغلاط النقد البنيوى الذى عنده أن النص هو الجوهر وهو كل شىء وليس البيان إلَّا إياه وهو مجردًا هكذا إن هو إلَّا جنازة كائن البيان الحى ذى الروح والجسد معاً ، ولكن من حيث

ان الوزن إيقاع ذو تعبير من عند ذات طبيعته الإيقاعية فالتحام النظم ينبغي أن يذوب في هذا التعبير الإيقاعي ويتحد معه ويكون جسداً حياً مع روح ذي قوة وإحساس حي ووجود .

فجعله هـذا باباً ثالثاً كما ترى . وأحسب أن المرزوقي رحمهُ اللهُ لو كان قالَ على تخير الوزن أن كان من صفة الوزن وحده كان الأمر بابين ولكنه لابد فيه مراعاة مشاكلة اللفظ والمعنى والتحام النظم. فجعله هذا باباً ثالثاً كما ترى . وأحسب أن المرزوقي رحمه الله لو كان قال على تخير الوزن أو من الوزن كان ذلك أجود ولكنه أتى من شدة اتباعه لقدامة حيث زعم أن الوزن السهل العروض يستحسن الشعر من أجله وإن خلا من أكثر نعوت الشعر كقول حسان :

ما هاج حسان رسوم المقام

ومظعن الحي ومبنى الخيام

وقال قدامة نحواً من هذا في نعت اللفظ الذي عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة مثل أشعار يؤخذ فيها ذلك وإن خلت من سائر نعوت الشعر . وقد اتبع قدامة ابن قتيبة حيث ذكر ماجاء لفظه وحلا وما يختار لوزنه . وفي الذي ذكره المرزوقي من التحام أجزاء النظم على تخير من لذيذ الوزن مشابه من حديث كلردج عن الإرادة والوجدان من طريق الوزن وتوازن أشكال التعبيروالمجاز. هل اطلع كلردج على مقدمة المرزوقي أو خلاصة منها (لا تستبعد ذلك لما سبق زمانه من ترجمة حماسة أبي تمام ومعرفة أهل الاستشراق بها والله تعالى أعلم وفي حديث المرزوقي عن المعايير كالمة وغموض وسائر كلامه كما قدمنا راجع إلى الجاحظ وابن قتيبة وقدامة وهلم جرا . والأبواب السبعة أوضح من أن تذكر لها معايير تدل عليها وكلام النقاد عنها مستفيض وأحسب أن المرزوقي أعجبه لفظ عيار الشعر وقد استشهد بشيء من كلام ابن طباطبا في المقدمة وذكر مع اسمه كنيته وكان به ذا إعجاب والله أعلم .

عبد الله الطيب
عضو المجمع من السودان

حول تحقيق مؤلف "الرسالة العذراء"
المنسوبة لإبراهيم بن المدبر

للدكتور محمود على مكى

في سنة ١٩١٣ وقع الأديب والعالم العربي الكبير الأستاذ محمد كرد على رحمه الله على مجموعة مخطوطة قديمة من الرسائل كانت في حوزة الشيخ طاهر الجزائرى . ومن هذه المجموعة نقل رسالة تحمل عنوان « الرسالة العذراء » ، ونشرها في القاهرة ضمن مجموعة « رسائل البلغاء » ناسباً إياها إلى الكاتب الوزير العباسى إبراهيم بن المدبر .

ثم آلت مجموعة الرسائل التى كانت من بينها « الرسالة العذراء » إلى المكتبة التيمورية في دار الكتب المصرية وأصبحت تحمل رقم ٨٠ (مجاميع تيمور) وعدد هذه الرسائل إحدى عشرة رسالة ، وكانت الرسالة العذراء هى الثامنة منها ، وأذكر أن الرسالة التاسعة كانت هى التى وجه بها ابن القارح إلى أبي العلاء المعرى ؛ فأجابه عليها برسالة الغفران ، وهى التى اتخذتها السيدة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) أصلاً لنشرتها لها مع رسالة الغفران في دار المعارف .

ومنذ هذا التاريخ تعددت طبعات « الرسالة العذراء » ، فقد طبع الأستاذ محمد كرد على « رسائل البلغاء » مراراً وكان آخر هذه الطبعات — فيما أعلم — الطبعة الرابعة في سنة ١٩٥٤

كذلك اهتم المرحوم الدكتور زكى مبارك بهذه الرسالة اهتماماً خاصاً في أثناء إعداده رسالة الدكتوراه التى تقدم بها الجامعة السوربون عن « النثر الفنى في القرن الرابع الهجرى » ، فقدم « الرسالة

(*) ألقى البحث فى الجلسة العاشرة ليوم الأربعاء ٢ / ٣ / ١٩٨٨ م .

العذراء » مع دراسة بالفرنسية إلى مدرسة اللغات الشرقية فى باريس ، ثم أعاد طبع نصها العربى مستقلا مع مقدمة بالفرنسية فى دار الكتب المصرية سنة ١٩٣١ بعنوان :
(Étude critique sur la Lettre Vierge d'Ibn al - Mudabbir)

وبعد ذلك بسنوات عاد لنشر الرسالة للمرة الثالثة الاستاذ أحمد زكى صفوت فضمنها مجموعته الكبيرة التى تقع فى أربعة أجزاء « جمهرة رسائل العرب فى العصور العربية الزاهرة » . وتقع الرسالة العذراء فى المجلد الرابع من هذه المجموعة (ط . القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧) بين صفحتى ١٩٩ و ٢٤٢

وهكذا نرى كيف ظفرت هذه الرسالة الصغيرة باهتمام ثلاثة من أقطاب البحث الأدبى على مدى ربع قرن ، إذ أنها كانت تقدر بحق أثراً من الآثار المبكرة لأحد كتاب القرن الثالث الهجرى فى النقد الأدبى والكتابة الفنية ولهذا فقد عنى بها المؤلفون القدماء ، وكان من أول هؤلاء ابن عبد ربه (ت ٣٢٨ - ٩٤٠) الذى نقل نحو شطرها فى كتابه « العقد الفريد » ، وتلاه من الأندلسيين ابن السيد البطليوسى (ت ٥٢١ - ١١٢٧) الذى نقل بعض فقراتها عن (العقد) - فيما يبدو - فى كتابه « الاقتضاب » الذى شرح به « أدب الكتاب » لابن قتيبة (الذى كان يدعى فى المشرق « أدب الكاتب ») . وتلاه ابن الأبار البلنسى (ت ٦٥٨ - ١٢٦٠) الذى أورد منها فقرات أخر فى كتابه « إعتاب الكتاب » . وأما فى المشرق فقد تكرر أخذ المؤلفين عنها حتى عصر متأخر . فقد نقل عنها النويرى فى « نهاية الأرب » ثم القلقشندى فى « صبح الأعشى » . وبهذا نرى كيف عدت « الرسالة العذراء » مرجعاً لمن يشتغلون بصناعة الإنشاء والكتابة الفنية منذ تأليفها فى منتصف القرن الثالث الهجرى حتى القرن التاسع . ولم يقلل من قيمتها ولا من اعتماد الكتاب على ما تضمنته من قواعد مرور هذه القرون المتطاولة على الرغم من التطور الكبير الذى لحق صناعة الإنشاء خلال هذا الزمن .

ولم تكن عناية الباحثين المحدثين بهذه الرسالة دون ذلك ، وقد رأينا

كيف اختصها الدكتور زكى مبارك بدراسة مستقلة ، واهتم بها بعد ذلك كل من تعرضوا الدراسة تاريخ البلاغة العربية ، ولا سيما فى المرحلة الأولى من حياتها . فعدها بروكلمان فى « تاريخ الأدب العربى » « أول ما صنف فى صناعة النثر » ، وَرَأَىُ أستاذنا الدكتور شوقى ضيف فيها قريب من ذلك فيما عرضه حولها فى كتابه « تاريخ الأدب العربى — العصر العباسى الثانى » . وعلى نهج الدكتور شوقى ضيف جرى كل من تعرض بالبحث لبواكير التأليف فى البلاغة العربية ولتاريخ فن النثر .

وعنوان الرسالة — كما جاء فى أصلها المخطوط — هو « الرسالة العذراء فى موازين البلاغة وأدوات الكتابة » ، فهى تتألف من شقين : الأول يتعلق بالشكل ، ونعنى به الجزء الذى أفرده المؤلف لصنعة الكتابة بصفتها حرفة ومهنة ، فاهتم فيه بآلة الكتابة وأدواتها وفصل الحديث عن الدواة والمداد والقلم وسكين البرى والخط وأنواعه والإعجام والشكل والقراطيس وطرق إلصاقها وختمها وما إلى ذلك من دقائق صنعة الكاتب . وأما الشق الثانى فهو المتعلق بالمضمون ، وفيه يتحدث عن شروط الكتابة الجيدة ، وفى هذا الجزء تنتشر مباحث هى من صميم النقد والبلاغة . ولعل المؤلف من خير من مثلوا هذا الاتجاه النقدى فى تاريخ البلاغة العربية من وجهة نظر تلك الطائفة التى مارست الكتابة ممارسة عملية ، وهى طائفة كتاب الدواوين المترسلين .

ويختلط هذان الجانبان فى الرسالة بغير نظام ، إلا أن المؤلف كان واعياً لضرورة معالجتهما معاً حينما وضع العنوان الفرعى لرسالته « . . . فى موازين البلاغة وأدوات الكتابة » فهو عنوان دقيق يصور محتوى الرسالة حول الكتابة بشقيها : مضمونها وشكلها .

وليس من شأنى الآن تلخيص الرسالة أو عرض مادتها ، فطبعاتها كثيرة متعددة ، وإن كنت أرى أنها

بعدما توفر لدينا من حقائق حول مؤلفها وثقافته وأساتذته وما نقل عنه – تحتاج إلى تحقيق جديد : هو ما أعددته بالفعل وهيأته للنشر .

على أن الذى يهمنى فى هذا المقام هو تصحيح نسبة الرسالة ، وأبدأ بإثبات ما ورد على عنوانها فى الأصل المخطوط الذى اعتمد عليه الأستاذ محمد كرد على حينما نشرها لأول مرة ، وهو مخطوط كان ملكا للشيخ طاهر الجزائرى كما ذكرت : فقد جاء فى الأصل « لأبى اليسر إبراهيم ابن محمد الشيبانى » ، أى أن النسبة كانت واضحة صريحة والمؤلف مذكورًا بكنيته واسمه ونسبه بغير لبس ولا التواء . والغريب فى الأمر أن الأستاذ كرد على لم يُعَنِّ نفسه بالبحث عما إذا كان أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيبانى هذا شخصية حقيقية أو زائفة ، ولعله – رحمه الله – عنّى نفسه ولكن المصادر لم تسعفه آنذاك . فإذا به ينسب الرسالة بغير تردد إلى من ظنه المؤلف الحقيقى ، أى إلى أبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبيد الله المعروف بابن المدبر (الذى عاش بين سنتى ٢١١ و ٢٧٩ / ٨٢٦ – ٨٩٢) . وقَبِلَ ذلك منه الناشران التاليان للرسالة ، وهما الدكتور زكى مبارك والأستاذ أحمد زكى صفوت ، وتابعهم على ذلك كل من تداولوا الرسالة بالبحث والدراسة ، دون أن يطرح أحد من هؤلاء موضوع نسبتها للمناقشة من جديد .

وهذا أمر غريب حقا ! فليس بين الاسم المثبت على الأصل المخطوط والاسم الذى قطع به الأستاذ كرد على إلا الاتفاق فى اسم الرجل واسم أبيه ، أما الكنية والنسب فمختلفان . وكان ذلك الاختلاف جديرا بأن يثير بعض الشبهات ولكن الناشر الأول لم يتوقف كثيرا عند هذه المسألة ، ولعل السبب فى ذلك هو أنه رأى فى الرسالة قرائن تدل على أنها ألفت فى القرن الثالث الهجرى وأن صاحبها يبدو كاتبا محترفاً متصلاً على نحو ما بكبار الكتاب البغداديين فى أواسط هذا القرن ،

فلم يخطر بباله أن يوجد إبراهيم ابن محمد آخر غير ابن المدبر ، أما العلماء التالون للأستاذ كرد علي – وعذرهم أضيق من عذره – فقد لاحظ بعضهم ذلك الاختلاف ، ولكنهم حاولوا حل المشكلة بطريقة تلفيقية . فبروكلمان يسمى المؤلف أبا إسحاق بن المدبر ويضيف إلى ذلك أنه كان يكنى أيضاً بأبي اليسر . والأستاذ أحمد زكي صفوت يرى أن فقرات كثيرة من الرسالة قد وردت بنصها في « العقد » لابن عبد ربه ثم في نهاية الأرب للنويرى وصبح الأعشى للقلقشندى ، ويلاحظ أن كل هؤلاء المؤلفين ينسبونها لمن يدعونه بالشيباني . فيحل المسالة بجرة قلم قائلا : « والظاهر أنه – اى ابن المدبر – ينتمى إلى شيبان بالولاء » .

وهكذا نرى كيف يتسرع هؤلاء العلماء الأجلاء بترجيح ما لم يستند إلى نص ولم تقم عليه حجة ، إذ لم يزعم أحد من مترجمى ابن المدبر أنه كان يكنى بأبي اليسر و لا أنه كان ينتمى فى شيبان ، وإنما هى محاولة لتطويع اسم المؤلف الحقيقى لما بدر إلى ظنونهم حتى يستقيم لهم ما أصروا عليه من نسبة الرسالة إلى ابن المدبر .

والذى تبين لنا بعد البحث والتنقيب أن أبا اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني شخصية حقيقية تردد ذكرها في كثير من المصادر الشرقية والمغربية والأندلسية وأنه كان أديباً كاتباً مغامرا جوالاً استطاعت الدعوة العبيدية الفاطمية أن تجنده فى خدمتها ، فاتخذت منه داعية وجاسوساً ، ثم كافأه عبيد الله المهدى بأن اتخذه أول كاتب ووزير له حينما انتصرت دعوته فى أفريقية ، وأنه هو صاحب تلك « الرسالة العذراء » التى نسبت خطأ لابن المدبر . ونص الرسالة وما ورد فيها يتفق تماما مع هذه النسبة ، ويدل على نفى نسبتها للكاتب الوزير العباسى ابن المدبر . وسنعرض الآن باختصار لحياة هذا الأديب التى كانت على جانب عظيم من الغرابة والطرافة

وأوفى ترجمة عثرنا عليها لأبى اليسر إبراهيم بن محمد الشيبانى الذى كان يعرف أيضاً بالرياضى هذه التى نجدها فى كتاب « التكملة » للمؤلف الأندلسى المشهور ابن الأبار القضاعى البلنسى (ت ٦٥٨ / ١٢٦٠) وقد نقل مادتها عن مؤرخين سابقين نص عليهم ، منهم الأندلسيان سكن بن إبراهيم الكاتب (الذى عاش فى القرن الثالث الهجرى ، أى معاصرا لأبى اليسر) والمؤرخ المشهور عريب بن سعد القرطبى صاحب « صلة تاريخ الطبرى » وهو من مؤرخى القرن الرابع ، وأخيرا المؤرخ الإفريقى إبراهيم بن القاسم القيروانى المعروف بالرقيق (المتوفى بعد سنة ٤١٧ / ١٠٢٦) . وقد نقل عن ابن الأبار هذه الترجمة المقرى فى « نفح الطيب » . ويلى هذه الترجمة فى القيمة ما نجده حول أبى اليسر المذكور من أخبار قيمة فى « رسالة افتتاح الدعوة » للقاضى النعمان بن محمد (ت ٣٦٣ / ٩٧٤) ، وفى « البيان المغرب » لابن عذارى المراكشى (الذى كتب فى أوائل القرن الثامن الهجرى) ونضيف إلى ذلك ما ورد حوله فى كتاب « أخبار مجموعة » لمؤلف أندلسى مجهول عاش فى القرن الرابع ثم ما نقله عنه ابن عبد ربه فى كتاب « العقد » .

ولد أبو اليسر الشيبانى الرياضى فى بغداد سنة ٢٢٣ (٨٣٨) ، ولم تفدنا المصادر بشىء حول نشأته الأولى فى دار الخلافة ، ولكن القائمة الطويلة التى يثبت فيها مترجموه أسماء أساتذته تدل على أنه قضى صباه وشبابه فى بغداد وأنه كان ذا موهبة أدبية مبكرة ، وأنه اتصل بكبار شعراء عصره فى أواسط القرن الثالث الهجرى ، ومنهم أبو تمام ودعبل بن على وعلى بن الجهم والبحترى . وقد زعم أبو اليسر بعد ذلك أنه روى عن أبى تمام ديوان شعره ، ولكن ذلك أمر يبدو مستحيلا ، فقد كان عمره عند وفاة أبى تمام لايجاوز ثمانى سنوات ، على أننا رأينا من تتبع حياته أنه كان رجلا كثير التهويل بمن يزعم أخذه عنهم من أدباء الشرق ، ولا يبعد أن تكون روايته عن أبى تمام إحدى هذه الدعاوى العريضة التى كان يصطنعها أمام متأدبى

إفريقية والأندلس . كذلك يظهر أنه أخذ عن عدد من كتاب الدولة العباسية من أمثال سعيد بن حميد رئيس ديوان الرسائل على عهد المتوكل وسليمان ابن وهب وزير المهتدى والمعتمد وأحمد بن أبى الطاهر طيفور صاحب تاريخ بغداد .

ونعرف من ترجمته أيضاً أنه تلمذ على المؤلفين الكبيرين أبى عثمان الجاحظ وأبى محمد ابن قتيبة واحتقب بعض كتبهما ، كما أخذ عن أكبر عالمين فى النحو واللغة فى عصره ، وهما المبرد وثعلب رأسا مذهبى البصرة والكوفة . ويذكر مترجموه — على سبيل الإطراف — أنه « كتب — على كبره — كتاب سيبويه كله بقلم واحد ما زال يبريه حتى قصر فأدخله فى قلم آخر وكتب به حتى فنى تمام الكتاب » ونعرف من نص ورد فى « الرسالة العذراء » أنه أخذ أيضاً عن الطبيب المشهور على بن رَبَّن الطبرى صاحب كتاب « فردوس الحكمة » . وهكذا توافرت لأبى اليسر ثقافة جامعة متنوعة رأى أنها تؤهله لكى يتولى منصباً من مناصب الكتابة فى حاضرة الدولة العباسية غير أنه لم يوفق لذلك ، فقد كان أمثاله من هؤلاء المتأدبين كثيرين تحفل بهم الدواوين ، وكان أبو اليسر رجلا طموحاً يتعجل النجاح والشهرة فلم يسعده حظه بذلك . يقول أحد مترجميه إنه اضطرب فى المشرق ، فأعيته وجوه الرزق ، مما حمله على التفكير فى الهجرة إلى المغرب ، وما زال حتى انتهت به الرحلة إلى الأندلس .

ويقول صاحب « أخبار مجموعة » حول وفوده على هذه البلاد :

« فقصد الأندلس ، وافتعل كتاباً على لسان ابن الشيخ بالشام وألسنة عامة أهل بلده ، بكل ما أمكنه من الاستدعاء للخلافة وذكر تقارب الدولة فلما ورد على الأمير محمد فهم أنه محتال متعيش شحاذ ، فأمر بتوسيع نزله ، وأمضى ذلك له بطول مكثه ». وابن الشيخ المذكور فى هذا النص هو عيسى ابن الشيخ الشيبانى الذى كان من كبار رجالات الدولة العباسية وقوادها ،

وكان قد تغلب على الشام في سنة ٢٥٢ (٨٦٦) وأعلن خلع طاعة الخليفة المعتمد وأوشك على أن يستقل بعمله كما فعل أحمد بن طولون في مصر . وكان ببلاد الشام آنذاك حزب أموى كاره للخلافة العباسية متجه ببصره إلى تلك الدولة الأموية التي جددها عبد الرحمن بن معاوية الداخل في الأندلس منذ أكثر من قرن من الزمان . وهذا هو ما جعل أبا اليسر يصطنع ذلك الكتاب الذي زعم أن أهل الشام قد حملوه إياه بصفته سفيرا لهم إلى الأندلس يستدعون الخلافة أي يُعَرِّضون له بإعلان طاعتهم للأمير الأندلسي . ولهذا فقد وضع أبو اليسر ذلك الكتاب على لسان القائد ابن الشيخ الثائر في الشام على الخلافة العباسية في ذلك الوقت .

غير أن الأمير محمد عبد الرحمن الذي نعرف عنه أنه كان حريصاً حذرا لا يتورط في مغامرة غير مأمونة العواقب لم يكن لينخدع بذلك الكتاب الذي اصطنعه أديبنا المغامر ، فعرف حيلته ، ولكنه مع ذلك كان كريما فأوسع نزله لا سيما بعد أن أعجب بأدبه وثقافته ، ولندع صاحب « أخبار مجموعة » يكمل لنا الخبر ، يقول ؛ « ثم وصلت له (أي لأبي اليسر) إلى الأمير محمد كتب يسأل فيها الإذن له بعد طول مقامه ، استحسنها الأمير محمد واستلطفها . فأدخل وزيره هاشم بن عبد العزيز واستشاره في أمره وقال له : هذا إنسان طالب معيشة تولدت له بها هذه الحيلة ، فإن صرنا إلى تصديقه ومجاوبته على حسب كتبه اتخذنا عند بني هاشم مضحكة ومزراة . وإن كذبناه وحرمناه وقد احتل جنابنا فلؤم مشهور وفعل غير مشكور . وقد رأينا فيما خاطبنا به عن نفسه تأليفا وتجويدا بالغا يستحق به معروفنا ثم أمر له بخمسمائة دينار وازنة وبكتاب ليس فيه غير بسم الله الرحمن الرحيم » .

وهكذا انتهت سفارة أبي اليسر الرياضي إلى قرطبة ، فنراه يخرج منها عائدا إلى المشرق في رفقة عدد ممن توثقت صلته بهم في الأندلس من طلبة العلم كانوا متوجهين إلى

بلاد الشرق . وفى الطريق فتح أبو اليسر خطاب الأمير محمد ، فلما رآه بياضا عرف أن حيلته لم تنطل عليه . وواصل أبو اليسر الرحلة ، فحل فى طريقه مع أصحابه الأندلسيين فى القيروان ، وكان ذلك فى سنة ٢٦٠ (٨٧٤) . وهناك اتصل بقاضيها الحنفى سليمان ابن عمران . ولنذكر أن الدعايات السرية الإسماعيلية كانت تضطرب آنذاك فى كل أنحاء الشمال الأفريقى مهيئة الأذهان لظهور إمام علوى « يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا » . ونعتقد أن الدعاة الشيعة قد استطاعوا فى هذه الأثناء أن يجندوا أبا اليسر لدعوتهم ويتخذوه عميلا لهم .

وربما دلنا على ذلك أنه حينما وصل إلى مصر وكانت آنذاك تحت حكم أحمد بن طولون آثار شكوك أجهزة الدولة ، فقبض عليه وأودع السجن ويتم القصة واحد من الرفاق الأندلسيين الذين صاحبوه فى رحلته من الأندلس إلى مصر ، فيقول :

« فاتصل بنا خبره ، ووجب علينا فى رعاية الصحبة زيارته وتأنيسه . فلما انصرفنا من صلاة الظهر يوم الجمعة ذهبنا إلى صلته وقصده بمكانه فسألنا عن الحبس فهدينا إليه . فلما وقفنا بالباب كشفنا عنه ، فوُصف لنا موضعه ، فدخلنا إليه ندعو له . فقال لنا : هل حبستم معى ؟ فقلنا له : ولم ذلك ؟ قال : من دخل حبس ابن طولون لم يخرج منه إلا بإذن السلطان ! فظنناه مازحا ثم أقلقنا ذلك وذهبنا لنخرج ، فدفع البوابون فى صدورنا ، فإذا نحن أعظم الناس داهية وأجلهم بلية : لا يعرفنا أحد ولا نعرف أحداً . فلبثنا بذلك من حالنا حتى رفعنا أمرنا إلى المزنى الفقيه (تلميذ الإمام الشافعى) وذكرنا له مذهبنا فى الخير وقصدنا إليه فى طلب العلم . فتردد على صاحب مصر حتى يسّر الله إطلاقنا » .

وهى قصة طريفة نرى كيف أودع أصحاب اليسر الأندلسيون السجن بغير جريرة إلا أداء فرض من فروض

المروءة ونرى كيف توسط لهم ذلك الفقيه الجليل المزنى حتى أخرجهم من السجن . ولعله توسط أيضاً لصاحبهم أبى اليسر .

على أن الذى نعرفه بعد ذلك هو أن أبا اليسر لم يلبث أن ظهر فى القيروان بعد سنة ٢٦١ بقليل ، وإذا به يعهد إليه بمنصب من مناصب الكتابة فى ديوان الرسائل على عهد الأمير الأغلبى إبراهيم بن أحمد . ويظهر أنه ألقى عصاه فى القيروان وأنه انتظم فى الدعوة العبيدية السرية ، وكانت هذه الدعوة قد نشطت نشاطا عظيما فى إفريقية منذ دخول الداعى أبى عبد الله الشيعى فى سنة ٢٨٠ (٨٩٣) فاستطاعت أن تجند فى صميم إدارة الدولة الأغلبية عددا كبيرا من الدعاة والجواسيس استعانت بهم على هدم الدولة من داخل . وحينما توفى إبراهيم ابن الأغلب وولى إمارة إفريقية ابنه أبو العباس عبد الله فى سنة ٢٨٩ (٩٠٢ - ٩٠٣) ظل أبو اليسر على حاله فى ديوان الرسائل ، بل عهد إليه الأمير الجديد بإدارة « بيت الحكمة » الذى كان شبيهاً بدار الحكمة التى أنشأها المأمون العباسى فى بغداد . وكان ملتقى العلماء والفلاسفة والأطباء الذين نهضوا بالعلوم والآداب نهضة كبيرة فى القيروان . هذا وإن كانت أحوال الدولة الأغلبية تسير من سيىء إلى أسوأ ، حتى تأتى نهايتها المرتقبة فى عهد زيادة الله آخر ملوك الأغالبة فى جمادى الآخرة سنة ٢٩٦ (مارس ٩٠٩) ، وذلك بدخول الداعى الفاطمى أبى عبد الله الشيعى القيروان وفرار زيادة الله إلى مصر .

ولم يلبث أبو عبد الله الشيعى بعد انتصاره الكبير أن توجه على رأس حملة قوية لاستنقاذ إمامه عبيد الله المهدى الذى كان قد قبض عليه وأودع سجن سجلماسة فى أقصى جنوبى المغرب ، وكانت سجلماسة هى حاضرة ملك بنى مدرار الخوارج . ويلفت النظر فى وصف المؤرخين لموكب أبى عبد الله أنه كان على رأس رجاله صاحبنا أبو اليسر الشيبانى . الذى أصبح معدودا من وجوه رجال الدعوة

العبيدية . وقد اخترق أبو عبد الله بجيوشه المغرب الأوسط ، ففتح فى طريقه مدينة تاهرت جنوبى الجزائر وأزال ملك الرستميين ، ثم واصل مسيرته حتى اقتحم سجلماسة وأخرج الإمام عبيد الله المهدى من سجنه وقدم له رجال دعوته ، ولم يكد الإمام بعد خروجه ووصوله إلى مقر ملكه فى القيروان حتى عهد بكتابته العليا ورياسة ديوان الرسائل لأبى اليسر الشيبانى ونعرف بعد ذلك أنه ظل مقرباً لعبيد الله عظيم الحظوة لديه حتى أصبح يعد أجل وزرائه إلى أن حانت وفاته فى جمادى الأولى سنة ٢٩٨ (يناير سنة ٩١١) ودفن فى باب سلم بالقيروان ، وكانت هذه مقبرة يدفن فيها كبار رجالات الدولة .

هذه هى قصة أبى اليسر الرياضى الشيبانى التى نرى منها كيف كان نشاطه السياسى : أديباً محتالاً مغامرا وعميلا سريا وجاسوساً للعبيديين وأخيرا كاتباً ووزيرا لأول خلفاء هذه الدعوة التى قدر لها أن تحكم إفريقية (تونس) ستين سنة قبل أن تنتقل إلى مصر فتتخذها قاعدة لخلافتها على مدى قرنين من الزمان .

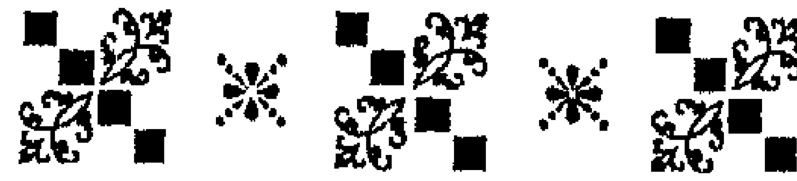
أما نشاط أبى اليسر فى التأليف الأدبى فقد ذكرت المصادر عديدا من كتبه نذكر منها كتاب « سراج الهدى » فى القرآن الكريم ومشكله وإعرابه ، ومسندا فى الحديث ، وكتابين فى الأدب هما « لقيط المرجان » وهو كتاب يصفه ابن الأبار بأنه أكبر من « عيون الأخبار » لابن قتيبة . و « قطب الأدب » ، فضلاً عن مجموعة من الرسائل نذكر منها « المرصعة » و « المدبجة » وأخيرا « الرسالة الوحيدة المؤنسة » . ونظن أن هذه الرسالة هى نفسها التى أطلق عليها بعد ذلك اسم « الرسالة العذراء » . وإنما أتى هذا العنوان من قوله فى آخرها : « . . . وهذه الرسالة عذراء لأنها بكر معان لم تفترعها بلاغة الناطقين ولا لمستها أكف المفوهين . . فاجعلها مثلا بين عينيك ، ومصورة بين يديك . ومسامرة لك فى ليلك

ونهارك » ، فوصفه للرسالة بأنها « عذراء » يتفق مع تسميته ابن الأبار لها بأنها « الوحيدة » ونصحه لصديقه الذى وجهها إليه بأن يجعلها « مسامرة له » يتفق مع وصفها الآخر الذى أضافه ابن الأبار لها حينما سماها « المؤنسة » .

وبعد ، فقد بقيت هناك حجج كثيرة فى داخل نص « الرسالة العذراء » تشهد بأنها لا يمكن أن تكون من تأليف ابن المدبر ولا تتفق مع ما نعرفه من ملامح شخصيته .

كذلك نشير فى النهاية إلى أن أبا اليسر قد أعقب ابناً اسمه يزيد (أو بُرَيَّة) جرى على نهج أبيه فى خدمة الدولة الفاطمية ، فقد كان من كتاب المعز لدين الله الفاطمى فاتح مصر وظل فى منصبه هذا حتى وفاته فى سنة ٣٤١ (٩٥٢) . وللمعز صنَّف كتاباً فى الأمثال فى ١٥٧ باباً من الأبواب القصار وسماه « تلقيح العقول » وهو كتاب اعتمد عليه المؤلف المصرى ابن ظافر الأزدى المتوفى سنة ٦١٣ (١٢١٥) ، فنقل عنه فى عديد من المواضع فى كتابه « بدائع البدائه » ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة فى مكتبة لايدن بهولندا .

محمود على مكى
عضـو المجمع



الفصحى رباط وحدة الأمة، وأداة ارتقاء العلم والحياة (*)

للأستاذ محمد بهجة الأثري

أحببتُها حُبَّ نفسي ، والهوى غَرِدُ ... وحُبُّها الرَّوْحُ والرَّيْحان والرَّغَـدُ (1)
وَضِيئَةٌ . شاقَ زَهْوَ الوردِ زاهِرُها ، ... والوَرْدُ أَنْفَسُ ما يشتاقُهُ الخَـلَدُ (2)
رفيعةُ القَدْرِ . أُختُ الشَّمسِ ، عاليةٌ ... يُرَىٰ لها فوقَ عَرْشِ الشَّمسِ مُقْتَعَدُ
نافت سَنًا وسَناءً باذِخاً ، وزَهَت ... فى مُطْرَفِ الحُسْنِ ، فَهْيَ الجوهرُ الفَرِدُ (3)
نافت ، وفى فَلَكِ العلياءِ قد بَلَغَتْ ... من الإنافةِ ما يقتاسُهُ الرَّصَـدُ (4)
لا يُبْصِرُ الطَّرْفُ منها فى سَماوَتِها ... إلَّا اللآلِئَ فى آفاقِهـا تَقِـدُ
يُضاحِكُ العينَ من أقطارِها أَلَقٌ ... من حيثُ يلحَظُها الراؤُونَ إنْ رَصَدُوا
ويُدْرِكُ القَمَرَيْنِ الخَسْفُ من سَقَمٍ ، ... ونُورُهـا دائمُ الإشراقِ مُتَّقِـدُ
إلى البصائرِ كالأبصارِ ، مُشْرَعَةٌ ... لها النَّوافِـذُ والأبوابُ والسُّدَدُ
يغـدو إليها ويجلو من غِشاوتِها ... إذا تَعاوَرَهـا الغُـوَّارُ والرَّمَـدُ (5)
سَرِيَّةٌ . وكفاهـا أنَّهـا هَبَطَتْ ... وَحْياً ، لَهُ تخشَعُ الأرواحُ والجُمُدُ (6)

(*) ألقيت فى الجلسة الثانية عشرة يوم السبت ٥ / ٣ / ١٩٨٨ م .

(١) الروح ، بفتح الراء : الراحة ، والرحمة ، ونسيم الريح .

(٢) الخلد : النفس .

(٣) السنا (بالقصر) : الضوء – والسناء (بالمد) : الرفعة نافت : علت – المطرف : رداء من خز .

(٤) الإنافة : الارتفاع والإشراف .

(٥) العوار : كل ما أعل العين .

(٦) سرية : شريفة – الجمد : ما ارتفع من الأرض .

عريقةُ المُوَلِــدِ الميمونِ : أوّلُهــا ... مع «الخليقة» و «الأُخْرَى» لها الأَبَدُ
كريمةُ النَّبْعِ .. حَلْبُ الضَّرْعِ رَيِّقُها . ... وطاهــرُ المُزْنِ صافِيها أَوِ البَرَدُ[1]
مع الجديدين ماكرّا وما اختلفــا ... جــديدةٌ ، تَلِدُ الأَحياءَ إِذْ تَلِدُ[2]
من كلِّ زهراءَ ، فيها الحُسْنُ مُتَّقِدٌ ، ... والحسُّ محتشِدٌ ، والرُّوحُ مُرْتَئِــدُ[3]
إذا سأَلْتَ عن الإبريز ، فأغْدُلها ... يَفِضْ لكفِيك منه كنزُهُ اللُّبَــدُ[4]
ثَراوُها كالثَّرَى .. صِنْوانِ إنْ ذُكِرا ... وَفْرًا ، ويُعجزُكَ الإحْصاءُ والعَــدَدُ[5]

* * *

غَنَّى الأَوالى ، وغَنَّى الآخِرون بهــا ... مُسْتَعْذِبِين كما يُسْتَعْذَبُ الشُّــهُدُ[6]
لَذُّوا حــلاوةَ ما اسْتَحْلَوْا مَذاقَتَهُ ... منها ، وأَغْرَتْهُمُ اللَّذاتُ فاحتفــدوا[7]
تَرِنُّ فى لَهَواتِ الصَّــادِحِينَ بهــا ... كأَنَّها زَجَلٌ جاشــت بهِ كَبِــدُ
جَرْسٌ من النَّغمِ العُلْوِيِّ ، شاهِدُهُ ... هٰذا البيانُ الَّذِى تُوحِى ويَنْعقِدُ
إخشَعْ مَلِيًّا له إذْ أَنْتَ تسمَعُــهُ ... مِــنَ التِّــلاوَةِ والآيــاتُ تَطَّــرِدُ
واسْمَعْهُ فى نَغَمِ الأَشعارِ تُوقِعُــهُ ... كأَنَّهُ لَقَطــاتُ الرَّقْصِ أو غَــرَدُ
وامْسِكْ ذَماءَكَ أَنْ يُودِى الهُيامُ به ... من حيثُ يُسكِرُك الإرنانُ إذْ تَجِــدُ[8]
أَيّ اللغــات لها معسولُ غُنَّتِها ، ... أو رقصُ إيقاعها ، أو رِكزُها الفَرِدُ ؟

* * *

(١) ريق كل شيء : أفضله ، وريق الشباب : أوله .
(٢) الجديدان : الليل والنهار – اختلفا : ترددا .
(٣) ارتأد : اهتز نعمة .
(٤) الإبريز : ذهب إبريز خالص – اللبد : الكثير .
(٥) الصنو : الشقيق .
(٦) الأوالى : الأوائل .
(٧) احتفدوا : خفوا وأسرعوا فى العمل .
(٨) الذماء : بقية النفس ، أو قوة القلب – تجد : تحب .

يا دِينَ قَلْبِيَ منها! والهوىٰ قَـدَرٌ ، وخافِـقى ببهاء الحُسْنِ مُتَّجِـدُ ! (١)
لَجَّ الهوى بفؤادى لا هُـدُوءَ لـه ، يا بَرْدَهُ ، وهو يَشْوِينى وَيفْتَئِدُ ! (٢)
إنّى خَشَعتُ لصوت الله ، ثُمَّ لهـا ومنه كَوْثَرُهـا واللُّطْفُ والغَيَدُ (٣)
هام الفؤاد بهـا حُبًّا ، ولا عَجَبٌ هِيَ الحياةُ ، ولى من وصالها صَفَدُ (٤)
من دَرِّهـا لىَ إرْواءُ إذَا ظمئـت رُوحِى ، ومن دَرِّها المَنْثُورِ لِى مَدَدُ
ليلاىَ .. عُمرى وعيشى فى صَبابَتِها ، وسِحرُها هُوَ فى قلبى الَّذِى أَجِـدُ
نَدِيمَتِى ، والهـوى ما بَيْنَنَا رَحِمٌ ، يُناسِمُ الرُّوحَ مِن أنفاسها رَشَـدُ
وسِرُّنـا هو سِرُّ اللهِ .. آلَفَنـا على الحُنُـوِّ ، نُناغِيـهِ فَنَرْتَئِـدُ (٥)
أَظَـلُّ عُمْرىَ موصولًا بمهجتهـا ولن أُفارِقَهـا أو يَهْلِكَ الجَسَـدُ ! (٦)
فيحاءُ ، كـ(الخُلْدِ) فى نَعْمائها ، وأنا (رِضوانُ) حافِظُها المُسْتَأْمَنُ النَّجِدُ (٧)
أَذُود عن كَرْمِها الطُّرّاقَ مَحْمِيَةً ، ومِذْوَدِى الصّارِمِ القِرْضاب مُنْجَرِد
النَّاشِزِين ذَوِى العاهات مَنْ نَغِلُوا ضِغْناً على (العرب) لم يطْفَأْ له وَقَدُ (٨)
لا ينفَع البُطْلَ إزْراء ولا لَـدَدٌ نعم ، وقـد خَسَأَ الإزْراءُ واللَّدَدُ (٩)

* * *

أَقـولُ للحاقـدِ المـأْفون مَنْزَعَهُ ، وللدَّعِيِّ الَّذِى أقلامُهُ قِصَـدُ ، (١٠)
الكارِهِ الحُسْنَ فى (الفصحى) وَدَوْلَتِها وَجَهْدُهُ لخبيث القَصْد محتشِـدُ :

---

(١) يا دين قلبى منها : معناه يا داء قلبى القديم من حبها .
(٢) يفتئد : يشوى فى النار .
(٣) الغيد : لين الأعطاف .
(٤) الصفد : العطاء .
(٥) نرتئد : نهتز نعمة .
(٦) أو يهلك : إلى أن يهلك .
(٧) النجد : الشجاع الماضى فيما يعجز غيره .
(٨) نغل : ضغن ، أى حقد — الوقد ، بفتحتين : النار واتقادها .
(٩) أزرى به إزراء : أدخل عليه عيباً أو أمراً يريد أن يتلبس عليه به — اللدد : الخصومة .
(١٠) قصد : قطع متكسرة .

إقْنِ الحيــاءَ إذا ما كنت مالِكَهُ ، ومُتْ بغَيْظِك ، ولْيَذْهَبْ بك الحَرَدُ(١)
مَرْماك منتضح الغايات منكشفٌ نعم ، ومنكسفٌ خَزْيانُ منفردُ
مُلْــقٍ بك مخــذولًا إلى إرَة يَحُفُّك الأَسْوآنِ : اللعنُ واللَّــكَدُ(٢)
ما أنتَ في هائجِ الأمواجِ مُصْطَخِبٍ ؟ وما قَــذاةٌ تَحَــدّاهُ وتَتَّعِــدُ ؟(٣)
الأُمَّــةُ الوَسَطُ الشَّماءُ جائشــةٌ ، والرَّكْبُ منطلقٌ ، والحَدْوُ مُتَّحِــدُ
هَوَى (العروبة) في توحيدِ دولتِها ، و (دولة اللغةِ الفصحى) هِيَ السَّنَدُ
هِيَ الرِّباطُ ، و (وَحْى اللهِ) يُوثِقُهَا والعقــل والعلم والإيمانُ والرَّشَــدُ
لســان أرفع (تنزيلٍ) وأكمــلِهِ شادَ الحضارةَ ، واستذْرَى به الخَلَدُ(٤)
رَفَّتْ على قُنَن الأَطــوادِ رَايتُــهُ ، واستمجد السَّهْلُ من علياهُ والجَلَدُ(٥)
ودَوَّتِ (الآى) في أرجاءِ دولتِــهِ مُرَجِّعــاتٌ لهــا الآفاقُ والصُّعُــدُ(٦)
تَهُزُّ أشــبَاحَ نُــوَّامٍ فتوقِظُهــا وتبعث السَّاكنَ الخاوى فيحتشــدُ(٧)
فطأْطأت سُجَّدًا هاماتُ مَنْ فقهوا وهادَ مَنْ طأطَؤُوا عُجباً ومَنْ سَجَدوا(٨)
دانُوا لها خُشَّعاً ، حاسينَ مِن يدها ما يعصرِ الوردُ ، لا ما يَقْذِفُ الزَّبَدُ
يا مِنَّةَ (الضَّاد) ، ما أسْنَى فَواضِلَها ! وكم أفاءت على الدُّنْيا ! وكم تَعِد !

* * *

حبيبة (الضَّادِ) في الدُّنيا! وهل أحدٌ لم يَدْرِ مَنْ هِى تهواه وتقتفِد ؟
(كِنانةُ الله) .. فيها أُمّة (عَرَبٌ) شُمُّ الأُنُوف أُباةٌ ســادةٌ نُجُــد(٩)

---

(١) اقن الحياء : إلزمه – الحرد : الغضب .
(٢) اللكد : الضرب والدفع .
(٣) تتعد : تتوعد وتهدد .
(٤) استذرى به : التجأ إليه وصار فى كنفه .
(٥) الجلد : الأرض الصلبة المستوية المتن .
(٦) الصعد : جمع الصعيد .
(٧) يحتشد : يجتمع لأمر واحد .
(٨) هاد : رجع إلى الحق .
(٩) نجد : شجعان .

هنا..هنا حيث جَرْس (الضَّادِ) مُنْتَبِرٌ تَحْفَى به السَّادة الأَحرارُ والمجُـدُ (١)
حيثُ الْقِنَى والقَنا والجُرْدُ ضامرةً ، والسَّيْفُ والعِزُّ ، والعلياءُ والصِّـيَدُ (٢)
حيثَ العَرانينُ والأَحسابُ فى دَمِهِمْ مَـلاحِمٌ وَبُطُـولاتٌ ومُعْتَضَـدُ
الحافظونَ حقوق (الضَّادِ) وَهْيَ دَمٌ زاكٍ ، ومُنْتَسَبٌ حُرٌّ ، ومُعْتَقَدُ
خيرُ الوَدائِعِ فِى الأَعناق ، يحفظُهَا خيرُ البنين ؛ وصدقُ الحُبِّ ، والعُدَدُ

* * *

أَ (مَجْمَعُ الضَّادِ) ! إِنَّ (الضَّاد) جامعة و (الْعُرْبِ) ظِئْرٌ لبانى ظِئْرِهـا ويَدُ (٣)
و (الضَّاد) حرف كريم ، نحن صورتُهُ ونحنُ معناه والأَرحامُ والبَـلَدُ
شَيِّدْ عُلَاهُ ، وواكِبْ أُمَّةً نهضت إِنَّ الأَصِيلَ إِلى عليائه يَفِـدُ
لا أَستجيشُكَ .. قد عانَيْتَ مُطَّلَعاً جَهْـدًا ، وصاحَبَكَ الإِبداعُ والسَّدَدُ (٤)
خمسون .. قد حَفَلَتْ من كلِّ مُثْمِرةٍ بالطَّيِّباتِ ، فطابَ الزَّادُ والزَّبَـدُ
يا مائِئاً هـٰـذه الدُّنيـا وشاغِلَهـا سارت بآثارك الرُّكبـانُ والبُرُدُ
تُوَحِّدُ السُّبْلَ (للتوحيد) لا بَدَدٌ يَظَلُّ فيها ، ولا زَيْغٌ ، ولا أَوَدُ (٥)

* * *

يانُعْمَ عينِىَ لو أَحيـا إِلى أَمَـدٍ يُرِينِىَ (الوحدة الكبرى) وما تَلِدُ
فأَشْهَدَ (العَلَمَ الخفَّاق) مُزْدَهِياً يُعانِقُ الأُفْقَ مِنْهُ مَشْهَدٌ وَبَـلَدُ

---

(١) المجد : الماجدون .
(٢) القنى : جمع القنية ، وهى ما يكتسب – القنا : الرماح ، والمراد القوة – الصيد : الكبر .
(٣) الظئر (الأولى) : المرضعة ، والظئر (الثانية) : الركن والدعامة .
(٤) السدد : الصواب ، كالسداد .
(٥) البدد : المتفرق – الزيغ : الانحراف – الأود : العوج .

وأُبْصِرَ (الشَّمْلَ) والعلياءُ تحضُنُهُ   و (عِزَّهُ) وَهْوَ مرهوب السُّطا صَعَدُ[1]
و(الأَرضَ)قدعمرت، و(السِّنَّ)قدضحِكت   و(الخَيْرَ) قدفاضَ و(الأَملاءَ) قد سعدوا[2]

يا يومِيَ الحاضِرَ الماضي ! أَلا عِدَةٌ
بطَيِّبٍ ؟ إنَّ عِيدى أن يَطِيبَ غَدُ

محمد بهجة الأثرى
عضو المجمع من العراق

---

(١) صعد ، بفتحتين : شديد .
(٢) الأملاء : الجماعات .

تحيــة المجمع

للأستاذ عبد الله الطيب

عَنْ الْــوَزْنِ ما أنا بالآبق   أُعَــلِّل بالبهرج النَّــافق
فعندِى من حرِّ تبرِ القريض   ثقائِل يا صــاحب الدانق
أعاريض علم عروض الخليل   وأضرب إيقاعه بالحــاذق
وساغ لدىّ الروى الرصين   وكائن به الآن من شارق
ومن كلِم الجاحظ العُرُبُ جاءتْ   من الشعــر بالمعجز الخارق
فلست بمصغ إلى قائلين   بــذا العبَثِ الغثّ أوتائِق
ألا إن أوزان هذا القريض   ورنّاتــه في حبّهــا عــالق
وقفت على طللٍ للحبيب   ولى عبرةٌ حرهــا خــانق
ألمّ بى الطيف طيف الحبيب   الذى كان فيما مضى شــائق
تذكرت إذ هبّ ذاك النسيم   وإذ هى كالمزنــة الفــارق
وإذ يبسم البرق من ثغرها   وإذ هى كالقمر الشــارق
وإذ أنت فى عنفوان الشباب   وفــوداك جَوْنا ن للرامق
تصرم ذاك الشباب العجيب   فأُفٌّ لذا الشيب من سارق
وصرنا إلى الخطوات اللواتى   تعثرنَ بعد المــدى الواثق
تذكرت صفو وداد الحسا   ن فى ذلك الزمن السابق
هو الدهر بدّل بعد الحلاو   ة طعْمَ المــرارة للــذائق
وجرّعنــا بمــرور السنين   تجارب حادثهــا الطــارق
وهاتيك من الهَنَوات الزما   ن عــادة كلكله الساحــق
أخا الشعر عنــدك أنغامه   يوافيــن بالحسن الرائــق
تجنبهن الحديث الخبيث   بمنــكر كَوْدَنِــه النــاهق
وهذا الذى شاع من نظمهم   تطيرت من طَيْرِه النــاعق

(*) ألقيت فى الجلسة الثانية عشرة ليوم السبت ٥ / ٣ / ١٩٨٨ م.

بتفعيلة عاقــد بردهــا ... ندى الريق فى فمك الباسق
هــلم إلىّ بيــان الجزالــ ... ـة ذا الأسْر والنَفَسِ الصادق
وعَدِّ عن العَدْوِ خلف السراب ... إلى العِدِّ ذى نَخْلِكَ الباسق
وعمك إذ شِمتْ من أذرعاتٍ ... بيثرب فى ضــوئِهِ البــارق
وشاهــده الطيبون الكرام ... أولُو العــلم والأدب الفائق
أحييكم مجمع الخــالدين ... تحيــة قلب لــكم وامق
أحييكم مجمع الخــالدين ... بمِصْرَ بصرحكم الســامق
طربت إلى مجلس زانــه ... تبــلجُّ حــورية عــاتق
من القاصرات لطرف الحياء ... فحزن بذاك هوى العــاشق
يفــوح بريحانــة طيبها ... ورَوْحٍ هو الرُّوح للنــاشق
هى الضــاد أفصح ما بيّنت ... به كلمات امرىءٍ ناطــق
أطافت بها عصب قد تدبُّ ... بكيــد الشعوبية الحــانق
تدبُّ لنــا خَمَرًا والضَّراء ... بأحقادِ طاغوتها الفــاسق
وأنتم بنو الضــاد حرّاسها ... نصرتم من الباطــل الزاهق
رعى الله مصر لديهــا المنار ... يشع على طودهــا الشاهق
ومن تحته النيل من جنة الخـ ... ـلْدِ يجرى بتياره الدافــق
وفَجّــره الله فى أرضهــا ... فــدل على نِعْمَة الخــالق
ومصر كنانتــه سهمهــا ... مصيب العــدوّ لنا الراشق
يسدده يمْنها المتمكــ ... ـنُ فى أُمِّ مِذكارِها النــاتق
وحــرّر سَيْنَاء ساداتهــا ... بسيف لرأس العــدا فالق
وما فَتِئتْ قِبلةً للعــروبـ ... ـةِ رَغْمَ المراوغ والمــارق
فشــدّ المهيمن من أزْرهــا ... وكَبَّ أولى الزَّيْغ من حــالق
ومــدّ لها سبقها المستمرّ ... بشــأوٍ يعِــزُّ على اللاحــق

عبد الله الطيب
عضو المجمع من السودان

الإعلام واللغة الإعلامية

للأستاذ منير البعلبكي

تمهيـد :

الإعلام

١ ـ ماهيته

٢ ـ مراحل تطوره :

(أ) مرحلة التصوير

(ب) مرحلة الكتابة

(ج) مرحلة الطباعة

(د) مرحلة الصحافة

(هـ) مرحلة الإذاعة

(و) مرحلة التلفزة

٣ ـ أهميته ومستقبله

اللغة الإعلامية

١ ـ طبيعتها ومزاياها

٢ ـ لغة الصحافة

٣ ـ لغة الإذاعة والتلفزة

(*) ألقى البحث فى الجلسة الثانية عشرة ليوم السبت ٥ / ٣ / ١٩٨٨ م.

الاعلام واللغـــة الاعلامية

تمهيـــد

يُجمع الباحثون ، أو يكادون ، على أن الإعلام هو سمة العصر الحديث وطابعه المميّز .

وهم ينزعون اليوم ، أكثر فأكثر إلى إحلال مصطلح « التواصل »[1] أو « التواصل الإعلامى » محّل مصطلح « الإعلام » لأن منهجية الإعلام الحديث تتخطى مجرد إبلاغ الخبر من طرف واحد لتجعل من العملية الإعلامية ضرباً من التبادل والتفاعل يشترك فيه اثنان : المُبلغ والمُبَلَّغ ، المُخْبِر والمُخبَر[2] . وبكلمة أخرى لتجعل من هذه العملية نشاطاً ثنائىّ البُعد بعد أن كانت من قبل نشاطاً أُحادىّ البُعد .

وإنما يتجلىّ ذلك أحسن ما يكون التجلى ، فى الصفة الحوارية التى تطبع عملية الإعلام فى يوم الناس هذا .

« فالإعلام هو الآن أكثرَ منه فى أى وقت مضى ، حوار فى الصحيفة بين المحرّر والقارىء ، وحوار فى الراديو بين المذيع والمستمع ، وحوار فى التليفزيون بين الممثل والمشاهد ، وحوار فى الجهاز الألكترونى بين دماغ الجهاز ودماغ الإنسان[3] .

---

(١) يستخدم معظم المؤلفين فى حقل الإعلام لفظ «الإتصال » بدلا من لفظ «الإعلام » وعندنا أنهم لا يضيفون بذلك إلى معنى الإعلام أى بعد جديد . لأن « الإتصال »كالإعلام ، عملية من جانب واحد ،و « التواصل » هو اللفظ المعبر تعبيراً صحيحاً عما يقصدون إليه ، كما سنرى .

(٢) الدكتور حسن صعب ، إعجاز التواصل – الحضارى الإعلامى ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٤ ، الصفحة ١٢٠ – ١٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، الصفحة ٨٥ – ٧٦ .

الاعلام

١ ـ **ماهيته :**

ولكن ما هو الإعلام ؟

الإعلام ، أو التواصل ، هو فى أبسط معانيه نقل الخاطرة أو الفكرة أو الرأى أو المعلومة أو النبأ من شخص إلى آخر ومن مكان إلى مكان . أو قُلْ هو إشراك الآخرين والاشتراك معهم فى المعلومات والأفكار .

والإعلام بهذا المعنى موغل فى القِدَم . ولقد غالى بعضهم فى التأكيد على قِدَميته فذهب إلى القول إنه ظاهرة عادية عرفتها كلّ المجتمعات منذ قالت حواءُ لآدم « طيبة هذه التفاحة » ، وإنه كان ينتقل بصورة فطرية بين الناس من شفة إلى أذن . . . وذلك من طريق المصادفة حيناً ، ومن طريق التجربة الشخصية حيناً ، ومن طريق الرواة والنقلة أو عن طريق التواتر فى أكثر الأحيان [١] .

والحقّ أن الإعلام لا يعدو أن يكون كما يقول الدكتور عبد العزيز شرف ، « عملية ترامز »[٢] ذلك بأنه يقتضى وجود مصدر يرسل الرمز بوسيلة من الوسائل ، ووجود مستقبل يعمل على حلّ الرمز وتفسيره ، ثم يبعث برجعه أو صداه إلى المصدر ، وهكذا . . .

والرمز قد يكون إشارة أو راية ، وقد يكون حركة أو نغمة ، وقد يكون طبلاً يُقرع أو نارا تُضرم ، وقد يكون رسماً فى كهف من الكهوف أو حرفاً من الحروف . وكل هذه هى فى حقيقتها « لغات » استعان بها الإنسان ـ وهو مخلوق تواصلىّ بطبعه ـ على تحقيق تواصليته والعمل على تطويرها وتوسيع مداها لتصبح امتدادا للكلمة المنطوقة أو للغة بمعناها المتعارف عليه . ومن هنا جاز القول إن اللغة هى « القاسم » المشترك الأعظم بين مختلف عناصر

(١) الدكتور انيس مسلم ، وسائل الإعلام بين الرأى العام والإرادة الشعبية ، التعاونية اللبنانية للتأليف والنشر ، الطبعة الأولى ، جونيه ، لبنان ، ١٩٨٥ ، ١٤ ـ ١٥ .

(٢) الدكتور عبد العزيز شرف ، المدخل إلى وسائل الإعلام ، دار الكتاب المصرى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٠ ، الصفحة ٧٩

العملية الإعلامية من مرسل ، ومستقبل ، ورسالة ، ووسيلة اتصال »[1] .

٢ - مراحل تطوره :

(أ) مرحلة التصوير :

يُعتبر اهتداء الإنسان البدائى إلى الرسم أولَ مَعْلَم بارز على طريق التطور الإعلامى أو التواصلى . ذلك بأنه استطاع بهذه الوسيلة المستحدثة أن يسجّل خاطراته وانطباعاته وخلجات فؤاده وحكاية عصره كلها على جدران المغاور التى اتخذها منازل له قبل بزوغ فجر التاريخ المدوَّن بآلاف من السنين مؤلفة . يدلّك على ذلك أن علماء الآثار اكتشفوا ، عام ١٩٤٠ ، فى لاسكو Lascaux فى الجزء الجنوبى الغربى من فرنسا مجموعة من الكهوف تشتمل على رسوم جدارية ترقى إلى حوالى العام ١٨٠٠٠ قبل الميلاد ، وهى تصوّر حيوانات مختلفة ومشاهد رائعة أبدعها الإنسان القديم فى ظلمة الكهف الدامسة ، وعلى ضوء مصابيح شاحبة قوامها بعض الطحالب المغموسة فى الدّهن[2] .

وفى عهد الفراعنة ابتكر المصريون وسيلة تواصل لغوية رائدة قوامها مجموعة من الرموز التصويرية عُرفت بالهيروغليفية . ولقد اتخذت هذه الرموز شكل أشخاص حيناً وأشكال حيوانات أو أشياء حيناً آخر ، وكان كل رمز منها يمثّل كلمة أو مقطعاً أو صوتاً ، ومن هنا اعتدّها العلماء ابتكارا مهّد السبيل لاختراع الأبجدية[3]

ليس هذا فحسب ، بل لقد عُنى قدامى المصريين فى الوقت نفسه بتصوير مظاهر حياتهم ، على جدران المقابر المحيطة بالأهرام ، تصويرا بارعاً يخيّل معه لزائرها ، كما قال المؤرخ الشهير جيمس هنرى بريستد ، وكأن الزمن

---

(١) المصدر نفسه الصفحة ٧٩ .

(٢) منير البعلبكى ، موسوعة المورد ، المجلد الثانى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ ، الصفحة ١٩٣ .

(٣) منير البعلبكى ، المصدر السابق ، المجلد الأول ، الصفحة ٨٦ .

قد رجع به القهقرى فهو يجوس خلال بيوت المصريين القدامى ويتجول فى بلاد وادى النيل لحظة كان أهلوه يبنون تلك الأهرام العظيمة[1] .

وبذلك يكون الإعلام ، على حد تعبير الدكتور عبد العزيز شرف ، قد « بدأ مصوّرا » [2] . وإذا أخذنا بعين الاعتبار ما حقّقه الإعلام فى عهد التلفزة والأقمــار الصناعية من انتصارات باهرة جاز لنا أن نضيف إلى هذه الملاحظة الصائبة قولنا « وانتهى مصوّرا .

وبذلك أيضا يكون الإعلام قد عرف ثورته الأولى ، وهى ثورة كان سلاحها الرسم .

(ب) مرحلة الكتابة :

أما مرحلة التطور الإعلامى الثانيه فهى مرحلة الكتابة التى بدأت مع اختراع الحرف . وإنما يُعزى الفضل فى هذا الاختراع إلى الفينيقيين الذين طوروا الهيروغليفية المصرية ، وابتكروا حوالى العام ١٤٠٠ قبل الميلاد ، أبجدية فذة قَصَروها على عدد محدود من الرموز . أو الحروف ، التى يمثل كل منها صوتا بسيطا . ومن العلماء من يعتقد أن الأبجدية الفينيقية نشأت من محاولات أبجدية ساميَّة أبرزها الكتابة المعروفة بالسينائية الأُم Proto - Sinaiic التى ترجع إلى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد .

وأيًا ماكان ، فليس من شك فى أن اختراع الأبجدية قد مكّن الإنسان من اختزان المعلومات والمعارف ونقلها إلى الأجيال المتعاقبة ، مستعيناً على ذلك بالنقش على الطين والحجر والخشب أولاً ، ثم بالتدوين على ورق البردىّ والرقوق ، ثم بالكتابة على الورق آخر الأمر . ولعل أعظم ثمرة من ثمرات هذا التطور ظهور « الكتاب » بوصفه وعاءً للمعرفة ، وأداة للتثقيف ، ووسيلة لنشر الفكر الإنسانى على مستوى العالم

(١) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٧٦ والصفحة ٩٦ .
(٢) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٩٩ .

كلّه ، من غير اعتبار لقيود الزمان أو المكان . وفى هذا الصدد يقول مرشال ماكلوهان Marshall Mcluhan إن الكتاب قد أسهم فى خلق الروح الوطنية ، وتحرير كثير من القوى الإجتماعية ، وساعد على تعميم التعلم وتطوير الصناعة والتجارة .(١)

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته الثانية ، وهى ثورة كان سلاحها الحرف.

(ج) مرحلة الطباعة :

يُعتبر نشوء الطباعة المرحلة الثالثة من مراحل التطور الإعلامى . وإنما كان ذلك ، أول ماكان – وتلك حقيقة تغفل عنها أقلام الكثرة الكاثرة من الباحثين – فى القرن الثانى للميلاد عندما شرع الصينيون ينقشون النصوص الدينية على الحجر ثم يحبّرون السطوح المرتفعة ويأخذون عنها عدداً من الطبعات impressions . حتى إذا أطلّ القرن السادس للميلاد عرفوا الرواسم أو الكليشيهات الخشبية . ولعل أقدم أثر مطبوع بهذه الطريقة كان صلاة بوذية طُبعت على رَوسم خشبى حوالى العام ٧٧٠ للميلاد .(٢)

هذا بالمعنى التاريخى للمصطلح ، إذا جاز التعبير . أما الطباعة بمعناها المتعارَف عليه اليوم فقد وُلدت على يدى جوهان غوتنبرغ الذى اخترع الطباعة بالحروف المنفصلة فى مابين عام ١٤٣٦ وعام ١٤٣٨ . ومنذئذ انتشرت هذه الطريقة المستحدثة فى أوروبا وشاع استخدامها بعد ذلك فى أرجاء العالم كله .

وتُعتبر مطبعة بولاق التى أنشأها محمد على باشا فى مصر ، عام ١٨٢١(٣) أعظم المطابع الرائدة فى الوطن العربى ، وكانت قد سبقتها إلى الظهور مطبعة

---

(١) الدكتور أنيس مسلم ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٢٢ – ٢٣ .

(٢) منير البعلبكى ، المصدر الذى سبق ذكره ، المجلد الثامن ، الصفحة ٨٢ .

(٣) أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربى ، دار الثقافة ، بيروت الطبعة السادسة والعشرون ، الصفحة ٤٢٥ .

أوروبية أنشئت فى « فانو » من أعمال إيطاليا ، برعاية من الكنيسة الكاثوليكية ، ولايزال لدينا من إصدارها كتاب صلاة يرجع تاريخ طبعه إلى العام ١٥١٤ [1] ، ومطبعة ديرمار يوحنا الصابغ التى انشأها فى الشوير الراهب اللبنانى عبد الله الزاخر المتوفى عام ١٧٤٨ [2] والمطبعة التى نهبها نابليون بونابرت من الفاتيكان وحملها معه إلى القاهرة عام ١٧٩٨ [3]

ولقد كان من آثار اختراع الآلة الطابعة انخفاض فى كلفة إنتاج الكتاب ، وتكاثر فى عدد النسخ المتداولة من الكتاب الواحد «وانتقال هذا العدد من مقام العشرات والمئات إلى مقام الآلاف والملايين » [4] ، وتوسع فى إنشاء المدارس ودور التعليم ، وتسارع فى انتشار المعارف على نطاق واسع لم يكن للإنسان عهد به من قبل .

وهكذا تحققت ديمقراطية الثقافة بعد أن أصبحت فى متناول الناس على اختلاف طبقاتهم ولم تَعُدْ وقفاً على فئه منهم صغيرة . هذا على المستوى العالمى . أما فى أوروبا ، مهد الآلة الطباعية ، فقد أدى «نمو صناعة الكتب وازدهار تجارتها وتكاثر عدد مؤسسات الطباعة إلى ضعف احتكار الكنيسة والأديرة للمعرفة والعلوم مما جعل الطريق ممهداً أمام حركة الإصلاح الدينى » [5] .

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ورثه الثالثة ، وهى ثورة كان سلاحها الآلة الطابعة .

---

(١) فيليب حتى وأدورد جرجى وجبرائيل جبور ، تاريخ العرب ، دار غندور ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٩٧٤ ، الصفحة ٨٤٦ .

(٢) رئيف خورى ، التعريف فى الأدب العربى ، لجنة التأليف المدرسى ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٦٢ الصفحة ٤٤٦ .

(٣) فيليب حتى وأدورد جرجى وجبرائيل جبور المصدر الذى سبق ذكره الصفحة ٨٤٣ .

(٤) الدكتور محمد أحمد خضر ، مطالعات فى الإعلام ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٨٧ ، الصفحة ١١٧ (لا ذكر لمكان الطبع) .

(٥) الدكتور عصام سليمان عيسى « تاريخ الإتصال ووسائله » مجلة الدراسات الإعلامية العدد ٣٨ دمشق ١٩٨٧ ، الصفحة ١٤ .

٥) مرحلة الصحافة :

الصحافة ، فى الأساس ، صناعة جمع الأنباء ، وإبداء الرأى فيها ، وتقديمها إلى الناس بطريقة تعتمد اعتماداً كبيراً على الصورة الممثلة للحدث ، وذلك على صفحات نشرة بخسة الثمن يومية الصدور فى الأعم الأغلب . وقد اتسع مفهوم الصحافة فى العصر الحديث فأخذت الصحف اليومية تُعنى ، إلى جانب الأخبار ، بأشياء أخرى غير الأخبار ، فأفردت زوايا من صفحاتها ، أو صفحات كاملة منها ، للمقالات الإقتصادية والإجتماعية والدينية والفلسفية والتاريخية والأدبية والعلمية والنقدية والفنية والرياضية وغيرها ، وعُنيت فضلاً عن هذا بالتعليق على الأحداث وبإجراء مايُعرف بـ « الحديث الصحفى » و « التحقيق الصحفى » وما إليهما . ولكن العنصر الأبرز فى الصحيفة اليومية يظل برغم ذلك عنصر الخبر .(١)

والصحف ليست كلها يومية . فهناك صحف تصدر أسبوعياً ، وصحف تصدر شهرياً ، وأخرى تصدر فصلياً . وهذه هى المجلات .

والمجلات بعضها ثقافىّ عامّ يحمل إلى قرائه قصصًا وقصائد ومقالات سياسية أو أدبية أو اجتماعية أو علمية مدروسة وموثقة وطويلة النفس عادة . وبعضها مقصور على حقل من حقول المعرفة فهو لايقدّم إلى قرائه غير المقالات والبحوث الداخلة فى نطاق تخصصه .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان نقل الأخبار يتمّ ، منذ أقدم العصور ، من طريق الشفة أو من طريق المراسلة . حتى إذا اختُرعت الآلة الطباعية فى القرن الخامس عشر غدا نقل الأخبار وقفًا على الصحف فى المقام الأول . وإذا كان من المرجّح ان تكون أول نشرة إخبارية مطبوعة قد ظهرت عام ١٤٥٧ للميلاد فإن الإجماع منعقد على أن صحيفة فرانكفورتر جورنال Frakfurter Journal التى صدرت عام ١٦١٥ ، وكانت أسبوعية ، هى أولى الصحف

(١) منير البعلبكى ، المصدر الذى سبق ذكره ، المجلد السادس ، الصفحة ٢١ .

الأوروبية العصرية ، وأن صحيفة « ويكلى نيوز » Weekly News التى صدرت عام ١٦٢٢ ، وكانت أسبوعية أيضا ، كما يدل على ذلك اسمها ، هى أولى الصحف الإنكليزية على الإطلاق . أما أولى الصحف العربية فكانت « الوقائع المصرية » التى أنشأها محمد على باشا فى القاهرة عام ١٨٢٨ .

والكلام على الصحافة لايكتمل إلا إذا أشرنا ، ولو إشارة عابرة ، إلى وكالات الأنباء . ذلك بأن هذه الوكالات تقوم بجمع الأخبار التى تمس الصالح العام ، وتعمل على تزويد صحف العالم بأفضل سرد ممكن لأهم الانباء الداخلية والخارجية ، ومن هنا اعتبرت دعامة أساسية من دعائم الصحافة المعاصرة ، وجزءاً لايتجزأ من بنيتها التحتيّة .

وبفضل وكالات الأنباء هذه ، وفضل التقدم المتسارع الذى حققته الطباعة والتطور المذهل الذى شهدته وسائل التواصل السلكية واللاسلكية والإلكترونية فى السنوات الأخيرة تمكنت الصحافة من إحراز الإنتصار تلو الإنتصار سواء على صعيد التوزيع وسعة الانتشار ، أو على صعيد الإخبار والتثقيف ، أو على صعيد التوجيه والتنوير ، أو على صعيد الإمتاع والتسلية ، أو على صعيد تكوين الرأى العام . ومن هنا أمست وسيلة الإعلام الجماهيرية الأولى ، وكان لها دور كبير فى تعزيز ديمقراطية الثقافة .

والواقع أن الصحافة ، كما يقول الأستاذ عبد اللطيف حمزة ، هى «مرآة الأمّة ، ولسانها الناطق بأفكارها وآرائها ، ورغباتها وحاجاتها ، وآلامها وآمالها » . وهى إحدى القوى ذات السلطان فى دورة الحياة الحديثة ، ومن أجل ذلك عُدّت السلطَة الرابعة فى الدولة ، «أى السلطة التى هى فى حوزة جميع القوى

---

(١) منير البعلبكى ، المصدر السابق ، الصفحة ٢١ .
(٢) الدكتور حسن الحسن ، الدولة الحديثة إعلام واستعلام ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٦ ، الصفحة ١٥٢ .
(٣) الدكتور محمد أحمد خضر ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٤٣٥ .

السياسية والتى تجسّد ، إلى حدّ ما ، كل القوى الشعبية التى تعتبر نفسها غير ممثَّلة بالسلطات الثلاث التقليدية : التشريعية والتنفيذية والقضائية »[1].

ليس هذا فحسب ، بل لقد ذهب برنارفوْيَن Voyenne إلى أبعد من ذلك فاعتدّها السلطة الأولى على اعتبار أنها تمثل تيارات الرأى . والرأي – وبخاصه فى الأنظمة الديمقراطية – هو الذى يجسّد قِيَم المجتمع ويفرض ذاته على المشترع . وعلى السلطتين التنفيذية والقضائية أيضًا[2].

هذا ، وعن الصحيفة المطبعية انبثقت الصحيفة السينمائية ، والصحيفة الإذاعية ، والصحيفة التلفزيونية . ولن ينقضى غير وقت قصير حتى تصبح الصحيفة الإلكترونية فى متناول الناس جميعا[3] . وليس هذا بعجيب ألبتَّة . أما أصبحت بعض الصحف الكبرى تُطبع ، اليوم ، بين قارة وأخرى من طريق التواصل الفضائى؟[4]

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته الرابعة ، وهى ثورة كان سلاحاها الجريدة والمجلة .

(هـ) مرحلة الاذاعة :

وفى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عرف العالم وسيلة إعلام جديدة نقلت التواصل من المرحلة المكتوبة إلى المرحلة المسموعة ، وساعدت على « تصغير » العالم ، إذا جاز التعبير ، وربط بعض أجزائه ببعضها الآخر . ولم تكن هذه الوسيلة الجديدة غير المذياع أو الراديو .

وإنما أُنشئت أُولى محطات الإذاعة ، فى العالم ، فى الولايات المتحدة الامريكية ، عام ١٩٢٠ . ومنذئذ انتشرت هذه المحطات فى مختلف الأقطار وأصبح

---

(١) الدكتور أنيس مسلم ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٣٢ .
(٢) المصدر السابق ، الصفحة ١٧٦ .
(٣) الدكتور حسن صعب ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٢٢ .
(٤) المصدر السابق ، الصفحة ٢٥ .

المذياع وسيلة تواصل جماهيرية تنقل الصوت ، كلاماً كان أو نغماً ، إلى ملايين المستمعين فى كل مكان . حتى إذا أختُرع الترانزستور غزت الإذاعة كل زاوية من زوايا الأرض ، وبخاصة فى بلدان العالم الثالث ، وغدا فى ميسور الناس أن يستمعوا إلى برامج الإذاعات المحلية والعالمية وهم فى منازلهم أو فى مكاتبهم أو فى طريقهم إلى العمل أو خلال تنزّههم فى الحدائق العامة . . .

ليس هذا فحسب ، بل لقد حلّ المذياع فى كثير من الأحوال محلّ الجرائد والمجلات ، سواء أكان ذلك على صعيد الإخبار أو على صعيد الإمتاع وإن لم يوفّق إلى حمل الناس على الإستغناء عن الجريدة أو المجلة ، وكاد يحل محلّ الكتب كوسيلة تثقيف وتوعية .

والحق أن المذياع قد عمل على تعزيز ديمقراطية الثقافة التى انبثقت مع اختراع الطباعة ونشوء الصحافة ، وذلك من خلال ماراح يقدمه إلى مستمعيه ، على اختلاف طبقاتهم ، وبصرف النظر عن كونهم متعلمين أو أميين ، من أحاديث أدبية ودينية وعلمية ومن برامج ثقافية أو تعليمية ميسّرة . ولعل هذا هو الذى حمل الدكتور طه حسين على اعتبار الإذاعة والتلفزة من العوامل التى تعوق الثقافة ، ودفعه إلى القول بأنّه كان يظن أن الراديو « سيكون أداة صالحة لنشر الثقافة والمعرفة فى أعماق الشعوب فإذا به يؤدّى إلى عكس ماكان يُرجى منه . ذلك لأن الإذاعة تريد أن تصل إلى طبقات الشعب على اختلاف حظوظها من المعرفة ، وهى من أجل ذلك مضطرة إلى أن تصطنع اليسر والسهولة لتبلغ هذه الطبقات المختلفة التى تتفاوت حظوظها من المعرفة.. وإذا اعتمدت الإذاعة على السهولة واليسر اضطرت إلى تجنب المعرفة الرفيعة والثقافة العميقة والواسعة »[1] .

وأيّاً ماكان فقد وُفِّقت الاذاعة إلى الفوز برضا الجماهير العريضة بفضل

---

(١) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر الذي سبق ذكره ، ص ٢٣٠ .

هذا اليسر نفسه الذى يأخذه عليها الدكتور طه حسين ، والذى لولاه لانفضَّ النّاس من حولها كما ينفضُّون اليوم من حول البحوث المعمَّقة والكتب الموضوعة لخاصة المثقفين دون عامتهم .

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته الخامسة ، وهى ثورة كان سلاحها الصوت .

(و) مرحلة التلفزة :

ولم ينقض على اختراع المذياع غير ربع قرن حتى اختُرعت ، فى مابين عام ١٩٢٣ وعام ١٩٢٤ وسيلة تواصل جماعية جديدة عُرفت بالتلفزة . وقوامها تحويل مشهد متحرك ومايرافقه من أصوات إلى إشارات كهربائية ثم نقل هذه الإشارات وإعادة تحويلها من طريق جهاز الإستقبال إلى صورة مرئية مسموعة (١) . ومن هنا اعتُبرت خطوة على طريق الإعلام متقدمة على المذياع أو الراديو ، إذ جمعت بين الصوت الذى هو ميزة الراديو وبين الصورة التى هى ميزة السينما ، ومتقدمة على السينما أيضًا لأنها عبارة عن شاشة سينمائية صغيرة تقدّم إلى المرء ضروباً من الأفلام المشوِّقة ، فضلاً عن آخر أنباء العالم وصنوف البرامج التثقيفية والترفيهية ، وهو مسترخٍ فى منزله ، لايغادره إلى دور السينما كلما حلا له أن يشاهد مايُعرض على شاشاتها الكبيرة من ذلك كله .

وسرعان ماغزا التلفاز فى الأربعينات من هذا القرن الكثرة الكاثرة من البيوت وبعض المعاهد والمؤسسات فى كثير من بلدان العالم وأصبح علامة فارقة تميِّز الحياة المعاصرة وضرورة لايُستطاع تصوّر المدنية بدونها .

وكما ظُنَّ ، فى بادىء الأمر ، أن المذياع سوف يغنى الناس عن الجريدة أو المجلة ثم قام الدليل على أنه أعجز من ذلك فكذلك ظُنَّ فى أول عهد الناس بالتلفزة أنها سوف تلغى الإذاعة أو تسدّ مسدّها ، ولكنَّ تعاقب الأيام مالبث أن خيّب هذا الظن وأثبت أنه كان مجرّد وهم كبير .

---

(١) منير البعلبكى ، المصدر الذى سبق ذكره ، المجلد التاسع ، الصفحة ١٨٤ .

هذا ، وقد خطت التلفزة فى السنوات القليلة الماضية ، بفضل التقدم التكنولوجى الحديث ، خطوات واسعة إلى الأمام ؛ فأصبح فى إمكان الإعلاميين أن ينقلوا برامجهم التلفزيونية عبر الأقمار الصناعية. وأخذ بلايين الأشخاص يشاهدون فى ساعة واحدة ، وفى اللحظة عينها هبوط أول إنسان على سطح القمر ؛ ويحضرون الألعاب الأولمبية ، ويشاركون فى اللقاء بين شخصيتين عالميتين فى أى مكان من العالم[1] »

وبذلك يكون الإعلام قد عرف ثورته السادسة ، وهى ثورة كان سلاحاها الصوت والصورة .

٣ ـ أهميته ومستقبله :

تلك هى أبرز معالم التطور الإعلامى وأهم وسائله ، منذ العهود السابقة للتاريخ المدوّن حتى الآن . فإذا أضفت إلى الوسائل التى تحدّثنا عنها وسائل أخرى لم يتّسع مجال البحث للكلام عليها ، كالمنبر (الخطبة والمحاضرة والمناظرة) والمسرح والسينما والإعلان والعقل الإلكترونى أدركت أى مقام يحتلّه الإعلام فى دنيا الناس ، وأيقنت أننا نعيش اليوم فى عصر متميّز هو «عصر الإعلام» بعد أن عشنا منذ إطلاق أولى المركبات الفضائية «عصر الفضاء»[2] .

وسواء أصح هذا أم لم يصح فإن الإجماع منعقد على أهمية الآثار التى أحدثها الإعلام فى حياتنا المعاصرة ، وهو مايتجلى لنا من قول مارشل ماكلوهان إن وسائل الإعلام قد حوّلت العالم إلى « قرية عالميـة » صغيرة[3] ، ومن نظريته الشهيرة التى ذهب فيها إلى القول إن كل وسيلة إعلامية جديدة ، من تلك الوسائل التى أشرنا إليها ، هى امتداد تكنولوجى

---

(١) الدكتور حسن صعب ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٢٤ — ٢٥ .

(٢) الدكتور محمد حمد خضر ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ١٢٩ .

(٣) الدكتور عصام سليمان عيسى ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ١٨ .

لحاسّة بعَيْنها من حواسّ الإنسان :
«فالطباعة التى نشرت القراءة هى امتداد لحاسّة الإنسان البصرية ، والإذاعة التى عمّمت الصوت هى امتداد لحاسة الإنسان السمعية ، والتلفزة التى أشاعت الصوت والصورة معاً هى امتداد للحاستين البصرية والسمعية ، والعقل الإلكترونى الحافظ للمعلومات والمحلِّل لها هو امتداد لذاكرة الإنسان وفكره »[1] .

ويتوقع الباحثون أن يشهد الإعلام ، عمّا قريب ، مستجدات جديرة بأن تغيّر وجه الحياة الإنسانية . ومن هنا قالوا إن التعليم فى البيت سيحلّ محلّ التعليم فى المدرسة ، وإن عملية تكوين العقول وإعدادها لمواجهة الحياة ستعود مرة أخرى ، ولكن على مستوى أرفع بكثير ، إلى المنزل ، وبذلك يمكن الاستغناء عن التعليم النظامى الذى يتلقاه الطلاب فى المدارس على اختلافها[2] ، وقالوا أيضًا إن المنزل سوف يصبح مركزاً إعلامياً ثنائىَّ التحرك ، فيتلقّى ساكن المنزل الجريدةَ التى يريدها ، إلكترونياً أو تلفزيونياً ، ويتبادل الآراء مع محرريها ، ويختار البرنامج التلفزيونى أو الإذاعى الذى يفضِّل ، ويبعث بالتعليقات الفورية إلى مخرج ذلك البرنامج ، ويتسلَّم الكترونياً صفحة الكتاب التى يحتاج إليها من المكتبة من غير أن يغادر منزله ، ويُجرى مناقشة إلكترونية تلفزيونية مع جيرانه وأعضاء ناديه وكلٌّ منهم ملازم داره ، ويخاطب بجهاز هاتفى فضائى مخصوص كلَّ من يشاء وهو يشاهده وكأنه جالس معه »[3] .

وإذا اعتبرنا أن مراحل التقدم الإعلامى قد تمّت على نحو متسارع ، بمعنى أن الفترة الزمنية الفاصلة بين المرحلة الأولى (مرحلة التصوير) والمرحلة الثانية (مرحلة الكتابة) قد نيّفت على ستة عشر ألف

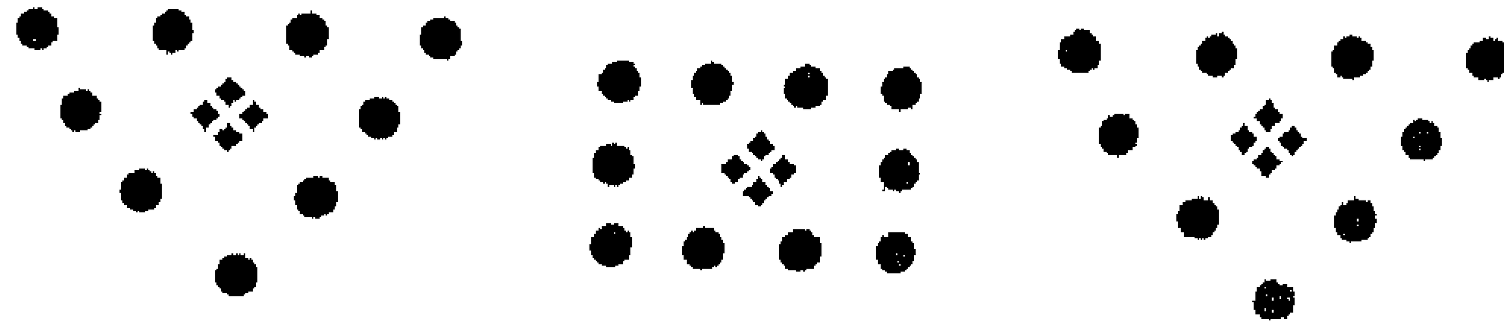
---

(١) الدكتور حسن صعب ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٧٠ .

(٢) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٢٧٣ .

(٣) الدكتور حسن صعب ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٧٦ .

عام ، وأن الفترة الزمنية الفاصلة بين المرحلة الثانية والمرحلة الثالثة (مرحلة الطباعة) بلغت نحوا من ثلاثة آلاف عام ، فى حين أن الفترة الزمنية الفاصلة بين المرحلة الخامسة (مرحلة الإذاعة) والمرحلة السادسة (مرحلة التلفزة) لم تزد على ربع قرن . . . أقول إذا اعتبرنا هذه الصفة التسارعية التى طبعت تاريخ تطور الإعلام حقّ لنا أن نكون على مثل اليقين من أن المستجدّات المستقبلية التى يتوقّعها الباحثون سوف تصبح حقيقة ملموسة بأسرع مما نتصور ، وربما خلال سنوات معدودات لاتزيد على أصابع اليدين .



اللغـة الاعلامية

١ ـ طبيعتها ومزاياها :

إن مهمة الإعلاميّ ، سواء أكان صحافيا أو إذاعيًّا أو مشتغلاً فى حقل التلفزة ، تقتضيه أن يواجه الجمهور يوماً بعد يوم ، ليطلعه على أنباء الساعة ، أو ليحللها له ، أو ليبدى رأيه فيها . وكثيرا ماتقتضيه مهمته النهوض بأعباء أُخرى كالإقناع والتوجيه والتثقيف ، والتعبير عن موقف سياسى أو اجتماعى أو عقائدى معيَّن ، والعمل على تجسيد آمال المجتمع وتطلعاته ، فضلاً عن الإمتاع والمؤانسة وما إليهما .

وهذا الجمهور الذى يخاطبه الإعلامى جمهور عريض تتفاوت أعمار أفراده وحظوظهم من الثقافة والمعرفة . ففيه الكبير وفيه الصغير ، وفيه الطالب وفيه المعلّم ، وفيه الأديب وفيه المهندس والطبيب ، وفيه ذو الثقافة الرفيعة وفيه نصف المثقف بل والأُمّى فى بعض الأحيان ، وكلٌّ من هؤلاء يتوقَّع أن تكون الوسيلةُ الإعلامية « مفصَّلةً على قياسه » وأن ترتفع (أو أن تهبط) إلى مستواه ، والإعلاميُّ فى حيرة من أمره .

وإذْ كان من هَمِّ الإعلاميّ أن يوصل « رسالته » إلى هؤلاء جميعاً ، وإذْ كانت لغة الإعلام لغة تواصلٍ فى المقام الأول ، فقد تعيَّن عليه أن يراعى مختلف المستويات والمدارك ، فلا يقول كلاماً يعجـز بعض من جمهوره عن فهمه ، ولا يصطنع بياناً يعجز بعضه الآخر عن تذوقه . وهذا ماحمل الدكتور إبراهيم إمام على القول إن الإعلاميّ « مضطر إلى افتراض إنسان متوسط الثقافة يوجّه إليه إعلامه »[١] .

وقد توسع الدكتور عبد العزيز شرف فى الكلام على هذه النقطة فقال ماخلاصته إن وسائل الإعلام ، فى سعيها الدائب لاجتذاب أكبر عدد ممكن من القراء أو المستمعين أو المشاهدين ، تتوجه إلى نقطة متوسطة افتراضية يتجمّع حولها أكبر عدد من الناس ، ونادراً ماتكون

---

(١) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر السابق ذكره ، الصفحة ٦١ .

هذه النقطة هي أدنى المستويات . وإن رؤساء تحرير الصحف درجوا على توجيه المندوبين الناشئين إلى «ذلك الشخص الذى يحرّك شفتيه عندما يقرأ» يعنى إلى الشخص الذى يمثل أدنى مستوى ثقافى بين قراء الصحف ، وإذا كان هذا الشخص قادراً على فهم الأخبار الصحفية فإن القراء الذين يفوقونه ثقافةً قادرون على ذلك . وإنه لمّا كانت وسائل الإعلام تخاطب قارئاً أو مستمعاً أو مشاهداً افتراضياً فليس عجيباً أن تفتقد روح الألفة التى تسود عند الاتصال بشخص واحد . فالتقرير الذى تنشره صحيفة عن حدث ما ، يفتقد كثيراً من الألفة التى يتميز بها خطاب يرسله صديق إلى صديقه عن هذا الحدث[1] .

وتفاوُت أعمار الأفراد وحظوظهم من الثقافة والمعرفة ليس وحده مايَحْكُم لغة الإعلامىّ وأسلوبه ، فثمة عوامل أخرى تحكم هذه اللغة وذاك الأسلوب . ومن أبرز هذه العوامل «آنيّة» الخبر اليومى الذى يشكّل مادة الإعلام . ذلك بأن هذه «الآنيّة» ترسم للإعلاميين حدوداً لايستطيعون أن يتخطوها ، وهذه الحدود تُلزمهم باصطناع أسلوب فى الكتابة لايحتمل الحذلقة والتقعر والزخارف اللفظية .

ليس هـذا فحسب ، بل إن هذه الصفة الآنيّة » التى تطبع النشاط الإعلامى تفرض على العاملين فى هذا الحقل قيودا من نوع آخر لايفرضها الإنشاء الأدبى أو العلمى أو الفلسفى أو الفنى على أصحابه . فالأديب ، كما يقول الدكتور محمد حمد خضر «حر» فى أن يكتب فى يومه عن أمسه السحيق لغده البعيد . وكذلك العالم والفيلسوف والفنان . أما الصحافى فمُلْزَم أن يكتب فى يومه عن يومه وليومه . أى أنه يكتب اليوم عن أحداث اليوم لقراء اليوم ، ولا محلّ فى عمله للتأجيل ولامجال للهروب من الماضى » .[2] وهذا مايجعل الإنشاء الإعلامى متّسماً بطابع السرعة والاستعجال

---

(١) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر السابق ٦٨ - ٦٩ .

(٢) الدكتور محمد حمد خضر ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ١٢٢ .

والسرعةُ والاستعجالُ عدوّان لدودان للتدبّر والتعمّق

وإذْ كان نقلُ الأخبار والتعليق عليها يحتِّم الالتزام بالواقعية والموضوعية فقد تعيَّن أن تتَّسم لغة الإعلاميين بالطابع الواقعى والموضوعى . وفى هذا المعنى يقول الدكتور إبراهيم إمام إن التحرير الإعلامى تحرير موضوعى يبتعد عن الذاتية التى يتَّصف بها الأديب مثلا . «فالأديب يُعْنَى بنفسه . ويقدم لنا مايجول فى خاطره . ويسجّل ما يراه وفقاً لرؤيته الخاصة وبرموز تنمّ عن ثقافته وعقليته . وهو فى هذا الصنيع يصف النفس الإنسانية ويتعمّق أسرارها ويكشف عن حسناتها ومساوئها . ويكون لأوصافه صدًى فى نفوس القراء من كل جنس ، وفى كل عصر ، ماداموا قادرين على قراءته وفهمه والاستفادة منه . فالأديب حرّ فى اختيار مايقول والقراء أحرار فى قراءة مايكتب الأديب»[1]

أما الإعلامىّ فلا يعبّر ، كالأديب ، عن أفكاره وتجاربه الخاصة . إنه يعبّر فى المقام الأول عن أفكار المجتمع وتجاربه[2] .

وفى هذا أيضاً يقول الدكتور محمد حمد خضر « إن الكاتب الإعلامى لايسخِّر قلمه لوصف مظاهر الطبيعة أو رسم طبائع البشر أو تصوير خلجات النفس أو التعبير عن الإنفعالات الوجدانية إلا إذا كان من شأن ذلك كله أن يؤدِّى إلى تكثيف الطاقة المحرّكة للرأى العام نحو الهدف الإعلامى المطلوب[3] .

ويقول فى موضع آخر : يحقّ للأديب والفنان والفيلسوف أن ينقلوا كلاما عن أشخاص غير موجودين فى الواقع يخترعهم الخيـال وتولّدهم التصوّرات . . . كما يحق للأديب أن يستنطق الحيوان . وأن يُحيى الجماد ، وأن يخلط بين الواقع والحلم . وليس للصحافى من هـذا كله شيء ،

---

(١) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ١٧ .

(٢) المصدر نفسه ، الصفحة ١٨ .

(٣) الدكتور محمد حمد خضر ، المصدر السابق ذكره ، الصفحة ١٣٣ .

فهو مُلْزَم بنقل وقائع الحياة الموضوعية بصورتها الحقيقية بأكثر ما يمكن من الدقة وأكمل مايكون من الموضوعية [1].

وعلى ضوء هذه الملاحظات كلها نخلص إلى القول إن للإعلام لغته الخاصة التي تختلف عن لغة الأدب ولغة الشعر ولغة العلم ذلك بأن لغة الأدب ذاتية في المقام الأول . ولغة الشعر مجنّحة بالرؤى والأخيلة . ولغة العلم مثقلة بالمصطلحات الفنية والأسماء العلمية . أما لغة الإعلام فتتميّز ، أول ما تتميّز ، بالواقعية والموضوعية وتتّسم – أو يجب أن تتّسم – بالبساطة ، والوضوح ، والسلامة . والإيجاز ، والمرونة ، والحركية ، والنفاذ المباشر ، والقدرة ، على الإمتاع . فضلاً عن السلامة من الناحيتين الصرفية والنحوية .

وتجدر الإشارة ، في هذا المقام ، إلى أن أسلوب الإنشاء الإعلامي يختلف باختلاف الوسائل والمؤسسات الإعلامية فهو في الصحافة غيره في الإذاعة أو التلفزة . وهي في مجلة « تايم » غيره في مجلة « نيوزويك . ليس هذا فحسب ، بل إن أُسلوب الإنشاء الإعلامي يتفاوت تبعاً للمادة الإعلامية ذاتها . ضمن الوسيلة الإعلامية الواحدة فهو في الخبر غيرُه في التعليق . وهو في الصفحة الأدبية أو العلمية غيره في الصفحة الرياضية أو الفنية أو الإمتاعية . وهكذا .

وسنحاول في ما يلي أن نلقي نظرة عجلى على واقع لغة الصحافة العربية وواقع لغة الإذاعة والتلفزة العربيتين .

٢ – لغة الصحافة :

كانت الكتابة العربية في القرن التاسع عشر مكبّلة بأغلال التقليد ، رازحة تحت أثقال السجع . غارقة في لُجَج الجناس والطباق وما إليهما . وكانت برغم ذلك كله مهلهلة النسج . هزيلة المضمون . بعيدة كل البعد عن سحر البيان العربي وروعته . ولقد كان

---

(١) المصدر نفسه . الصفحة ١٢٣ .

طبيعياً أن ينعكس ذلك على لغة الصحافة منذ اليوم الأول لنشوئها فتنجرف فى تيار السجع ، وترسف فى إسار الضعف، وتتردى فى مهاوى التكلف، وتعوزها جودة السّبك ، كما نرى فى افتتاحية العدد الأول من جريدة الوقائع المصرّية التى أنشأها محمد على باشا فى القاهرة عام ١٨٢٨ والتى تُعتبر أقدم الصحف العربية على الإطلاق [١] .

قال محرر « الوقائع » :

« الحمد لله بارى الأمم ، والسلام على سيد العرب والعجم . أما بعد ، فإن تحرير الأمور الواقعة مع اجتماع بنى آدم ، المتدبّجين فى صحيفة هذا العالم ، ومن ائتلافهم وحركاتهم وسكونهم ومعاملاتهم ، ومعاشراتهم التى حصلت من احتياج بعضهم بعضاً ، هى نتيجة الانتباه والتبصّر بالتدبير والإتقان ، وإظهار الغيرة العمومية ، وسبب فعّال منه يطلعون على كيفية الحال والزمان [٢] .

وقد دفعت هذه الحقيقةُ أحدَ الغيارى على العربية إلى أن ينشر عام ١٨٨٦ فى أحد أعداد مجلة المقتطف مقالاً شكا فيه من ركاكة الأسلوب الصحافى كما يظهر فى ما كان يُترجم من اللغة التركية وبعض اللغات الأجنبية الأخرى . مقدِّماً على ذلك أمثلة كثيرة داعياً إلى « درء هذه المفاسد . ونبذ الكلام الركيك الفاسد » ، وذلك بمطالعة كتب أئمة البيان العربى القدامى [٣] .

ولئن كانت الصحافة قد وفقت . بعد انقضاء فترة يسيرة ، إلى التغلب على هذه الركاكة وعلى غيرها من مواطن الضعف ، إلا أنها عجزت عن التفلت من قيود السجع . ولعل خير دليل على هذه الواقعة افتتاحية العدد الأول

---

(١) وهذا ما يجعل تلك الإفتتاحية أول مقالة تسطر فى تاريخ الصحافة العربية .

(٢) أنيس المقدسى ، الإتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث ، الطبعة السابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٢ ، الصفحة ٤٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

من صحيفة « لسان الحال » الصادرة في بيروت عام ١٨٧٧ ، أي بعد صدور « الوقائع المصرية » بخمسين سنة تقريبا ، قال محرر « اللسان :

« « الحمد لله الذي يسبح بحمده في الغدوّ والآصال ، وينطق مفصحاً بتعداد آلائه لسانُ الحال . حمداً يدوم آناء الليل وأطراف النهار . ما غرّد قمري وترنّم هزار .

وبالإضافة إلى السجع ، لم تستطع الصحافة العربية في ذلك العصر التخلص من المبالغة الممجوجة ، والاطراء الرخيص المتمثل أكثر ما يكون بإسباغ الألقاب الطنانة على من تتحدث عنهم . ومن الأمثلة على ذلك قول جريدة وادي النيل لمناسبة صدور مجلتين بيروتيتين هما « الزهرة » ليوسف شلفون المتوفى عام ١٨٩٠ و الجنان « للمعلم بطرس البستاني المتوفى عام ١٨٨٣ : « وكلتاهما من الطرافة والكياسة ، وعظم الفائدة والنفاسة . في درجة عالية . وهيئة حالية . وكأنهما فتاتان من الجزر الأوربية ، وقد بدتا في كنائس نصرانية . متجملتين بمآزر مشرقية عربيــة . أو برانس مغربية . . . إحداهما تنشر باسم « الزهرة » بتأليف وإدارة الأديب الأريب والكاتب اللبيب ، والآخذ من الكتابة بمجامع الفنون المدعو بيوسف الشلفون . . . والثانية تظهر باسم « الجنان » . جمع جنّة[1] بقلم وإدارة المؤلف اللطيف . والمصنف المتقن الظريف . أصمعي هذا العصر الثاني ، المشهور باسم بطرس البستاني مع شبله الشــاب الفهيم . المعروف كذلك باسم سليم » [2] .

وما هي غير فترة قصيرة حتى تحررت الصحافة من السجع نفسه بعد أن استشعرت أنه قيــد ثقيل

(١) الدكتور محمد حمد خضر ، المرجع الذي سبق ذكره ، الصفحة ١٥٤ .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة ١٤٠ وقد علق الدكتور محمد حمد خضر على هذا الشاهد بقوله « فتصوروا لو كان على الصحافي المعاصر أن يستخدم هذه اللغة وأن يعتمد على هذا الإيقاع التعبيري لتغطية اختطاف طائرة أو نقل أنباء غارة حربية . . . » .

يحدّ من حركتها . ويتعارض مع ديناميتها ، ولا ينسجم مع رسالتها كوسيلة إعلام جماهيرية يتعيّن عليها أن تخاطب الناس بأسلوب يتمشّى مع روح العصر الذى وُصف فى تلك الفترة بعصر السرعة فإذا بنا نقرأ كلاماً جديدا لم تألفه الصحف من قبل ، كلاماً مرسلاً رقراقاً لا يتكلف السجع ولا يضحّى بالمضمون على مذبح التأنق اللفظى والمحسنات البيانية . ومن ذلك قول منشىء المقتطف يعقوب صروف المتوفى عام ١٩٢٧ فى وصف قصر من قصور البندقية (فينيسيا) : أما مقاصير هذا القصر وما فيها من الصور والتحف فمما لا يُستوفى وصفه إلا فى مجلد كبير ، لأن أعظم مصوّرى البندقية ونقاشيها أفرغوا جهد صناعتهم وغاية ما وصل إليه حذقهم فى نقشها فزينوها بالصور التاريخية والخيالية والنقوش والتماثيل (إلى أن يقول فى كلامه على إحدى هذه المقصورات : « وقد وقفت فى هذه المقصورة ساعة من الزمن حائرا مدهوشاً ، ولا أدرى مم دهشتى — أمن اتساعها الفائق . أم من كثرة صورها . أم من بديع ألوانها وإحكام رسمها . أم من صورة الفردوس فيها ؟ ولقد وددُت لو أن الساعة صارت شهرا . وعينى منظارا ، حتى أنعم النظر فى كل صورة ومشهد وأستخلص تاريخ هذه المدينة العظيمة من صور قصرها »[1] .

وليس أدل على « جوهرية » هذا التطور من مقارنة وصف منشىء المقتطف لذلك القصر بوصف معاصره السيد محمد توفيق البكرى المتوفى عام ١٩٣٢ لقصر مماثل من قصور فيينا وفيه يقول : « وصلتُ إلى ذلك القصر ففُتح الباب ، وكُشف الحجاب ، فإذا جنّة وحرير ، وملك كبير ، ودنيا فى دار ، وليل ونهار ، ووجوه تشرق ، وحلى تبرق . . . وسقوف من مرمر ، وأرض من عرعر ، وكأن كل سقفٍ لوح مصوَّر ، وكل أرض روض منوّر . . . وقام على الأركان تماثيل وتصاوير ، وأنصاب وقوارير ،

---

(١) أنيس المقدسى ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٤٥٢ .

فكأنما الدار زُوْن (أى موضع تُنصب فيه الأصنام) ، أو معرض فنون . . . وتدلّت الثريات كأنها أشجار مفتّحة الأنوار ، وكأن أقباسها آذان جياد ، أو عيون جراد ، أو قِطَع أفلاذ ، أو صفائح فولاذ[1] .

ومع ذلك فإن لغة الصحف لم تَنْج من نقد كبار اللغويين الذين تتبعوا سقطاتها وعملوا على تصحيح مغالطها . ولعل أشهر هؤلاء الشيخ إبراهيم اليازجى الذى نشر فى مجلة « الضياء » مقالات متابعة عنوانها « لغة الجرائد » وقد صدرت هذه المقالات فى ما بعد فى كتاب يحمل الاسم نفسه ، وذلك فى القاهرة عام ١٣١٩ للهجرة . وقد قدم لهذا الكتاب بالقول : « إننا لا نزال نرى فى بعض جرائدنا ألفاظاً قد شذّت عن منقول فأُنزلت فى غير منازلها أو استعُملت فى غير معناها فجاءت بها العبارة مشوّهة وذهبت بما فيها من الرونق وجودة السّبك فضلاً عما يترتب على مثل ذلك من انتشار الوهم والخطأ ، ولا سيما إذا وقع فى كلام من يوثق به فتتناوله الأقلام بغير بحث ولا نكير »[2] .

والواقع أن كثيرا مما أورده اليازجى فى كتابه هذا يظل محّل خلاف بين العلماء لأنه استند فى رفضه إياه إلى مجرد القول إن كتب اللغة لم تنّص عليه ، وكأن كتب اللغة قد نصّت على كلام العرب كله ، أو وكأن كتب اللغة القديمة مفروض فيها أن تنّص على ما قضت ضرورات هذا العصر باستخدامه . ومع ذلك فمن المفيد أن نورد هنا نماذج من الأخطاء التى سردها لأنها تلقى الضوء على بعض عشرات الأقلام فى زمن اليازجى ولأن عددا غير يسير من هذه الأخطاء لا يزال يتردد صداه فى صحفنا ومجلاتنا حتى يوم الناس هذا .

---

(١) المصدر نفسه ، الصفحة ٤٥٢ أيضاً .

(٢) الشيخ إبراهيم اليازجى ، لغة الجرائد ، الطبعة الأولى ، مطبعة المعارف ، القاهرة ١٣١٩ للهجرة ، الصفحة ٥-٦ .

قال صاحب « لغة الجرائد » :

ويقولون : غصن يانع أى نضير أو رطب ، وكذا زهرة يانعة وروض يانع ، ولا يأتى « ينع » بهذا المعنى ، إنما يقال ثمر يانع وينيع ، أى ناضج ، وقد ينع الثمر وأينع إذا أدرك وحان قطافه . . . (١)

« ويقولون : ذهب الرجلان سوية ، أى ذهبا معا . وإنما السّوية بمعنى السّواء ، يقال قسموا المال بينهم بالسوية ، وهذا حكم لا سوية فيه ، وهى النَّصَفة والعدل . . . (٢)

« ويقولون ؛ هو يسعى لنوال بغيته وإنما النوال بمعنى العطاء ، أى الشيء الذى يعطى ، وليس بمصدر لنالَ ، والصواب لنيل بغيته . . . (٣)

« ويقولون : نيّف وعشرون دينارًا فيقدمون النيّف ، والمسموع تأخيره يقال عشرون ونيف ، ومئة ونيف . . . (٤)

« ويقولون : هو مدمن على هذا الأمر ، أى مواظب عليه ، مديم لفعله ، والصواب ترك الجارّ لأن هذا اللفظ يتعدّى بنفسه . . . (٥)

« ويقولون : عوّدته على الأمر ، وتعوّد عليه ، واعتاد عليه ، والصواب حذف الجارّ فى الكلّ . . . . (٦)

« ويقولون : رأيته أكثر من مرة ، وجاءنى أكثر من واحد . والظاهر أن هـذا التعبير منقول عن التركيب الأجنبى . والعرب يستعملون لفظ غير : يقولون رأيته غير مرة وجاءنى غير واحد ، لأن غير الواحد لابدّ أن يكون اثنين فما فوق . . . (٧)

(١) المصدر نفسه ، الصفحة ١١ .
(٢) المصدر نفسه ، الصفحة ١٨ .
(٣) المصدر نفسه ، الصفحة ٢١ .
(٤) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٥ .
(٥) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٦ .
(٦) المصدر نفسه ، الصفحة ٣٢ .
(٧) المصدر نفسه ، الصفحة ٤٩ — ٥٠ .

ويقولون : رجل ثوروى على مثال فوضوى ، أى من أصحاب الثورة وهم ثورويّون . ولا وجه لزيادة هذه الواو قبل ياء النسبة وكأنهم يتجافون عن أن يقولوا ثوريّ لئلا يلتبس بالمنسوب إلى الثور ، على أن الثور لو فطنوا مشتق من الثّوران ، لأنه يثور أو لأنه يثير الأرض فالشركة حاصلة على كل حال . . . (1)

وأيا ما كان ، فقد خطت اللغة الصحافية منذ عهد الشيخ اليازجى ، خطوات واسعة على طريق الصحة والنصاعة وحسن البيان ، ووضعت ألفاظاً لم تكن ، كالسيارة والدراجة والمجهر والهاتف والمُنطاد ، واشتقّت صيغاً من بعض الأسماء مثل قَوْلَب من القالب ، وموّل من المال ، وبرمج من البرنامج ، وقنّن من القانون ، وعَلْمَنَ من العلمانية وطور من الطور ، وعّلبّ من العلبة ، ومصّر من مصر ، ولَبْنَن من لبنان ، وقيّم من القيمة ، وجدولَ من الجدول ، واستجوب من الجواب ، واستشرق من الشرق . ليس هذا فحسب ، بل لقد وفقت ، فضلاً عن ذلك كله ، إلى مخاطبة جماهير الشعب فى غير ما ابتذال أو إسفاف ، وإلى التعبير عن حاجات العصر مستوعبة خلال ذلك كل جديد فى ميادين الفكر والعلم والإجتماع .

وإذا صحّ أن البلاغة ، كما عرفها بعض شيوخنا القدامى ، هى إيصال المعنى إلى القلب فى أحسن صورة من اللفظ ، فعندئذ يكون فى ميسورنا أن نزعم أن لغة الصحافة قد بلغت اليوم مرتبة صالحة من البلاغة . وهذا ما أكد عليه نقيب الصحافة اللبنانية ، محمد البعلبكى ، بقوله : « إن لغة الصحافة العربية بوجه الإجمال لغة فصيحة يندر فيها الخطأ اللغوى ، سواء من حيث قواعد النحو أو من حيث تركيب الجملة ، بل إنها لغة

(1) المصدر نفسه ، الصفحة ٥٢ — ٥٣ .

ترتفع فى بعض المقالات إلى درجة البلاغة ، بكل ما فى البلاغة من تحسين وإبداع[1] .

والحق أن الصحافيين المعاصرين لم يرتقوا بلغة الصحافة إلى مرتبة من البلاغة صالحة فحسب بل ارتقوا من طريق ذلك بلغة الناس اليومية أيضاً . فهذّبوا حاشيتها ، وأثروها بطائفة من الألفاظ والصيغ التى ابتكروها وعملوا على الترويج لها . وهكذا جرت على الألسن كلماتٌ وتعابير مستحدثة ما لبثت أن أصبحت جزءًا لا يتجزأ من اللغة المحكية . ومن الأمثلة على ذلك قولهم : السيارة والدّراجة ، والقطار ، والقاطرة ، والمدمّرة ، وجواز السفر ، وتأشيرة الخروج ، وتذكرة الهوية ، وحظر التجول ، وصفارة الإنذار ، والهاتف . والبرقية ، والديمقراطية ، والدكتاتورية والأرستوقراطية ، والبورجوازية ، والإشتراكية ، والشيوعية ، والتعاونية والمأساة ، والكارثة ، والمهزلة ، والتطبيع والتصنيع ، والتطويع ، والتعليب . والبرج العاجى ، وغزو الفضاء ، والقمر الصناعى ، والمركبة الفضائية . وقولهم « وضعه فى الصورة » ، وبدأ العدّ العكسى « و فاوض من موقع القوة » ، « وفقدت الدولة مصداقيتها ، وأعطاه الضوء الأخضر » ، و شد الحزام » ، وعضّ على جرحه » . و « انطوى على نفسه » و « لعب ورقة الصراع الطائفى » وأحصى عليه أنفاسه » . و « خرج عن طوره » ، و « خرج من جلده » ، و « دفع الثمن غالياً » . و « ذرّ الرماد فى العيون » و « دقّ ناقوس الخطر » ، و « توترت العلاقات » ، وتكهرب الجوّ » ، و « قرأ ما بين السطور » ، و « دخل التاريخ من أوسع أبوابه » . و « على مستوى العاصمة أو الجمهورية الخ . .[2]

(١) محمد البعلبكى ، من رسالة بعث بها إلى صاحب هذا البحث فى نطاق استطلاع للرأى أجراه حول لغة الإعلام .

(٢) من أراد التوسع فى هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب الأستاذ أحمد أبو سعد « معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية القديم منها والمولد » ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٧ .

وهذه الملاحظة تقودنا إلى ثلاث ملاحظات متلازمة معها ، أولها أن الصحافة قد أنزلت الأدب من برجه العاجى وَوَسَمَتْه بسِمَة ديمقراطية جديدة فتعايش مع الناس وعُنى بمعالجة قضاياهم اليومية والمصيرية . والثانية أنها أعادت العربية إلى أصالتها بوصفها لغة أدب وعلم وحضارة بعد أن أحالتها عصور الإنحطاط إلى لغة أدب وبديع وبيان ليس غير . والثالثة أنها أغنت المعجم العربى بما استحدثه رجالها من تعابير فرضتها عليهم الأحداث الجارية أو حملتهم على ابتداعها ضروراتُ الترجمة عن مصادر الأنباء أو عن موارد المعرفة من كتب ومجلات علمية وموسوعات عامة [1] فقالوا : سياسة المحاور ، وسياسة اللاعنف ، وسياسة النعامة وسياسة فرّق تسد ، وسياسة الحياد الإيجابى وسياسة التمييز العنصرى ، وسياسة الإقتصاد الحرّ ، وسياسة الإقتصاد الموجّه ، وسياسة التهدئة ، وسياسة الحافة أو سياسة حافة الهاوية ، [2] وسياسة شدّ الحزام . . .

وقالوا : الحرب الخاطفة ، والحرب الباردة ، وحرب الإبادة ، وحرب الإذاعات ، وحرب الإشاعات ، والحرب بين الإخوة ، وتوازن القوى ، وتوازن الرعب ، والتوازن الإستراتيجى ، والغارات الجوية الوهمية ، والانتفاضة الشعبية . . .

وقالوا : المقاومة السلبية ، والعصيان المدنى ، والتعايش السلمى ، وحقوق الإنسان ، والحقوق المدنية ، وعواصم القرار ، والإرهاب الدولى ، وحمّام الدم وبؤر التوتر . . .

وقالوا : العالم الثالث ، والإصلاح الزراعى ، والأمن الغذائى ، وبنك الدم ، وإصلاحية الأحداث ، والآثار الجانبية ، واستطلاع الرأى ، وناطحات السحاب ،

---

(١) اجتمع لدينا خلال إعداد هذا البحث مئات من هذه التعابير نكتفى هنا بذكر طائفة منها .

(٢) Brinkmanship .

والضريبة التصاعدية ، والحاسبة الألكترونية أو الدماغ الألكتروني ، والعدّ العكسي ، وغزو الفضاء ، والقمر الصناعي ، والمركبة الفضائية . . .

وقالوا : حق النقض ، والعملة الصعبة ، والقطع النادر ، والروتين الحكومي ، ومجانية التعليم ، وديمقراطية الثقافة ، ومسرح الدمى ، ومسرح اللامعقول ، ومسرح العبث ، ودواليب الحظّ ، ومحكمة التاريخ ، والبنية التحتية ، والتكامل الإقتصادي ، والتبادل الثقافي ، والمدرسة النموذجية ، والحلقة الدراسية ، وقصر الثقافة ، وبيت الطلبة ، والمدينة الجامعية ، والمدينة الصناعية ، والمدينة الرياضية ، ومدينة الملاهي ، ومدينة الأشباح . . .

وقالوا : قصيدة النثر ، وعروس المدن ، وفتاة الغلاف ، وملكات الجمال ، والجريدة الناطقة ، وكاميرا الأخبار ، ومجلة المجلات ، ومجلة التلفزيون ، والأسلوب البرقي . والرقص التعبيري .

وقالوا : عقدة النقص ، وتنازع البقاء ، وبقاء الأصلح ، والصراع بين الطبقات ، والمدارس الأدبية ، والمجامع العلمية ، والجماعات الأصولية ، وموضوع الساعة ، وساعة الصفر ومقبرة المشاريع .

وقالوا : المعدن الأصفر ، والذهب الأسود ، والضوء الأخضر ، والخط الأحمر ، والكذبة البيضاء ، والانقلاب الأبيض ، والثورة البيضاء ، والسوق السوداء . . . .

ويحسن بنا قبل الإنتقال إلى الكلام على لغة الإذاعة والتلفزة أن ننصّ على أن الصحافة كان لها أكبر الفضل في نشوء فنّ « المقالة » الحديث ، وذلك لحاجة الصحف والمجلات إلى معالجة مختلف الموضوعات السياسية والإجتماعية والاقتصادية والدينية والفلسفية والتاريخية وغيرها في فصول مركزة لا تحتل من صفحاتها غير حيزّ محدود والحق أن « المقالة » استقطبت نفرا من كبار كتّاب العصر ، فانبروا إلى إمداد الصحف والمجلات بفيض

خواطرهم ووحى أقلامهم . وقد جمع كثير من ثمرات هذا النشاط الخصب فى كتب قيّمة أضافت إلى الأدب العربى ثروة جديدة .

٣ ـ لغة الاذاعة والتلفزة :

إن ما ذكرناه عن لغة الصحافة ينطبق انطباقاً شبه كامل على لغة الإذاعة والتلفزة . ولا عجب ، فقد بدأ الإعلام المسموع « الإذاعة » والاعلام المسموع المرئى « التلفزة » من حيث انتهى الإعلام المقروء : بمعنى أنهما لم يكونا فى حاجة إلى تجشّم مشاقّ الرحلة الطويلة التى تعيّن على الصحافة القيام بها لكى تكتشف لغتها المميزة . ومن هنا اتسمت لغتهما الفصحى ، منذ البدء ، بالبساطة والوضوح والإيجاز والمرونة والنفاذ المباشر والقدرة على الإمتاع ، فضلاً عن السلامة النسبية من الناحيتين الصرفية والنحوية .

نقول « السلامة النسبية » لأن مستوى لغـة الإذاعة والتلفزة يبدو لنا دون مستوى لغة الصحافة ، وهذا الهبوط فى المستوى لا يتأتى دائماً عن ضعف فى النصوص المكتوبة ، فالنصوص قد تكون خالية من الشوائب فى كثير من الأحيان ، ولكنه يتأتى عن ضعف فى الأداء ناشىء فى أسوأ الأحوال عن « أميّةِ » بعض المذيعين – وبخاصة فى حقل التلفزة اللبنانى – وفى أحسن الأحوال عن ضآلة حظوظهم من الثقافة اللغوية .

ذلك بأن لِلُغة الإذاعة والتلفزة ، بخلاف لغـة الصحافة ، وجهين اثنين وجه الكتابة ، ووجه التلاوة . وهذا ما فصّله نقيب الصحافة فى لبنان محمد البعلبكى فى قوله : « إن ما قد يختفى وراء الحرف المطبوع فى الصحافة ينكشف على لسان المذيع أو المتحدّث فى الإذاعة والتلفزيون . . . وإن أبرز ما تعانيه اللغة العربية فى هذا المجال هو ما اتصل بمخارج الحروف من حيث التفخيم والترقيق ، وما اتصل أيضاً بلجوء المذيعين إلى اعتماد تسكين أواخر الكلمات باستمرار ، مما ينبىءُ عن جهل ويؤدّى إلى تقطيع الجُمَل

تقطيعاً يُفسد المعنى أو يؤذى بلاغة الأداء ، حتى إذا أقلع المذيع عن التسكين وقع فى أخطاء نحوية من مثل خفض المنصوب أو نصب المرفوع أو تأنيث المذكر وتذكير المؤنث ومختلف الضمائر العائدة إليهما[(1)] .

وقريب من ذلك قول فيكتور سحاب فى كتابه « أزمة الإعـلام الرسمى العربى » : « وفى هذا النطاق يدخل أمر تحريك أواخر الكلمات . ذلك أن عجز معظم المذيعين عن التحريك السليم ألجأهم إلى اتباع أسلوب بشع فى الإلقاء يقضى أن يسكّنوا آخر كل كلمة ويقطعوا انسياب الجملة التى يجب أن تكون متصلة بفضل الحركة فى آخر كل كلمة . . .وفى هذا النطاق أيضاً يدخل أمر التفخيم والترقيق . ومعظم المذيعين الآن لا يعرفون أىّ الحروف تُفخّم وأيها ترقق[(2)] .

وقوله فى موضع آخر : « إن مذيعينا توقفوا منذ ردح من الزمان عن السعى إلى اللفظ السليم والتحريك الصحيح ، بل توقفوا عن التحريك على الإطلاق فقطّعوا الكلام كلمة كلمة . . . وفقدوا الحسّ بالإيقاع العربى للكلم ، والتنغيم السليم للجملة . . . وفى الماضى لم تكن تلك هى حال الإعلام الرسمى . كنا نستمع إلى مذيعين هم أشبه بالأُدباء منهم بالنمط الذى نعرف اليوم ، لقد نما حجم الإعلام وعظم شأنه ولم يواكب ذلك نماء فى كفاءة العاملين فيه ، بل أدّت الحاجة إلى الكثرة إلى التساهل فى المعايير .[(3)] »

ويتجلّى ضعف المذيعين اللغوى فى مجالات غير هذه أيضا . ذلك أن نفراً غير يسير منهم يجهل فى الأعم الأغلب معانى الحروف ومواضع استعمالها ، ولا يميز بين همزة القطع وهمزة الوصل

---

(١) محمد البعلبكى ، المصدر السابق ذكره .

(٢) فيكتور سحاب ، أزمة الإعلام الرسمى العربى ، الطبعة الأولى ، دار الوحدة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٥ ، الصفحة ٩٧ — ٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ، الصفحة ٢٠ — ٢١ .

فهو يصطنع الأولى حيث ينبغي أن تصطنع الأخرى . ولايراعى أحكام العدد . ولا يكسر همزة « إن » بعد فعل القول . ولا يكلّف نفسه عناء ضبط عين الفعل من طريق العودة إلى المعجم .

هذا فضلاً عن بعض الأخطاء المفردة التى يرتكبونها عادةً . من مثل قولهم : «احتَضر» بدلا من «احتُضر» ، وقولهم «اضطَرّه الأمر إلى كذا» بدلا من «اضطَرَّه الأَمر إلى كذا» متوهمين أن هذا الفعل لايأتى بغير صيغة المجهول ألبتّة . وقولهم «مزّقه إرَبًا إرَبًا» بدلا من «مزّقه إرْبًا إرْبًا» . ومن عجب أن اليازجى نبه على هذا الخطأ فى كتابه «لغة الجرائد» منذ مئة عام على وجه التقريب . ومع ذلك فلا تزال طائفة من المذيعين تقع فيه ، وقولهم «عن كَثَب» بدلاً من «عن كَثَب» . وقولهم «الأَزَمة» بدلا من «الأَزْمة» . وقولهم «المُعْدَم» بمعنى المعوز والفقير بدلاً من «المُعْدِم» ، وقولهم «من جِراء» بدلا من «من جَرّاء» ، وقولهم «إحدى المستشفيات» بدلا من «أحد المستشفيات» . وقولهم «غادر سماحته إلى الديار المقدسة» بدلاً من «غادر سماحته العاصمة أو المدينة إلى الديار المقدسة» غافلين عن أن «غادر» فعل متعدٍّ وليس فعلاً لازماً . وقولهم «سوف لن يحضر» بدلاً من «لن يحضر» . وقولهم «نفَّذت بيروت إضرابا شاملا» بدلا من «أُضربت بيروت إضراباً شاملاً» ، وقولهم «نفَّذ طيران العدو غارة على الجنوب» بدلاً من «قام طيران العدو بغارة على الجنوب» أو «شنَّ طيران العدو غارة على الجنوب» . وغير ذلك مما سمعناه ودوَّنّاه فى أثناء إعداد هذا البحث .

وأيًا ماكان . فرفْعُ مستوى لغة الإذاعة والتلفزة ليس بالأَمر العسير إذا صدقت النيّات وصحّ منا العزم . ونحن نقترح ، توصلاً إلى ذلك . الأَخذ بالتوصيات التالية :

١ – إنشاء فروع فى كليّات الإعلام لتخريج المذيعين والمذيعات وبخاصة فى علمى الصرف والنحو وفى الأَدب العربى وتاريخه .

٢ ــ العناية فى هذه الفروع بتدريس القرآن الكريم وعلومه ، وبخاصة علم التجويد ، لما لذلك من أثر بعيد فى تقويم ألسنة الطلاب ، وإثراء ثقافتهم اللغوية ، وفتح أعينهم على جمالية « العربية » وأسرار بلاغتها .

٣ ــ قَصْر إسناد وظيفة المذيع أو المذيعة على خريجى هذه الفروع وخريجاتها .

٤ ــ إخضاع من تختارهم هيئة الإذاعة أو هيئة التلفزيون ، لهذه الوظيفة ، لدورة تدريب يركِّز فيها فى المقام الأول على حسن الأداء وجودة الإلقاء .

٥ ــ تعويد المذيعين والمذيعات مراجعةَ المعاجم ابتغاء التأكد من صحة ما يستعملون من ألفاظ سواء من حيث المعنى أو من حيث البنية ، وابتغاء ضبط عين الفعل الثلاثى فى الماضى والمضارع ، وما إلى ذلك .

٦ ــ إنشاء هيئة مراقبة مهمّتها الإستماع إلى المذيعين والمذيعات ، على نحو موصول ، وتسجيل الأخطاء التى يقعون فيها وإرشادهم إلى وجه الصواب فى كل منها بعد انقضاء الفترة الإذاعية .

ومهما يكن من أمر ، فإن مشكلة الأداء والإلقاء ليست العقبة الوحيدة التى تعترض سبيل لغة الإعلام الإذاعى والتلفزيونى وتهبط بها إلى ما دون مستوى لغة الصحافة باعتبار أن الصحافة ليس عندها مشكلة أداء وإلقاء . . . ذلك بأن ثمة مشكلة أخرى عانى منها الإعلام الإذاعى والتلفزيونى منذ نشأته ، ولايزال ، فى حين ظلّت الصحافة فى نجوة من مفاعيلها السلبية منذ اللحظة الأولى حتى اليوم . عَنَيْت مشكلة العامية والفصحى ، وهى أشدّ خطراً واكثر تعقيداً من مشكلة الأداء والإلقاء .

وواضح أن نشرات الأخبار الإذاعية والتلفزيونية تقع خارج مشكلة العامية والفصحى هذه ، لأنها حُرّرت أول ماحررت ــ ولاتزال تحرَّر إلى الآن ــ بالعربية الفصحى . ومن هنا اقتصرت هذه المشكلة على مختلف البرامج الإذاعية والتلفزيونية بإستثناء النشرات الإخبارية .

والحق أن الكثرة الكاثرة من الذين كتبوا أو ألفوا فى موضوع الإعلام توقفت عند هذه المشكلة وحاولت أن تبدى رأياً فيها ، أو تقترح حلاً لها .

وإذْ كانت هذه الآراء وتلك الحلول تلتقي كلها عند نقطة مركزية واحدة فقد رأينا أن نورد فى مايلى نموذجين اثنين منها ليس غير .

أولهما قول الدكتور فؤاد زكريا : « وفى هذا الإطار ذاته ، إطار نشر الثقافة ، تندرج مشكلة اللغة الفصحى واللهجات العامية . . . ومن هنا رأى البعض أن التوجه إلى الجماهير العربية من خلال اللغة الفصحى وحدها هو أشبه بصرخة فى الفلاة ، لاتجد من مستجيب ، وأكّد هذا البعضُ أنك إذا أردت أن تسمعك الجماهير حقاً ، وتستجيب لندائك ، فلا مفر لك من التضحية برونق الفصحى ، ومن مخاطبة هذه الجماهير باللغة التى تحيا بها حياتها اليومية وتعبّر بها عن انفعالاتها وتشرح من خلالها أحاسيسها . . . وأستطيع أن أقول إنه إذا كان هناك أى حلّ لهذه المشكلة فإن أقرب الأجهزة إلى تحقيق هذا الحل هو الإذاعة المرئية ، ففى استطاعتها أنْ تستخدم فى برامجها المختلفة لغة عامية ممزوجة بالفصحى مزجاً يزداد قوة بالتدريج ، وأن تعوّد الجماهير العربية – دون نقلة مفاجئة – على أن تألف سماع الفصحى والتعبير عن نفسها من خلالها ، وذلك بأن تضع خطة مدروسة للغة المستخدمة فى برامجها ، حتى الترفيهية منها ، وكلنا نعلم أن هناك عامية تتضمن كثيراً من التعابير الفصيحة ، وأن هناك لغة متوسطة ، لاهى بالعامية الخالصة ، ولاهى بالفصحى الكاملة . مثل هذه اللغة إذا استُخدمت على نطاق واسع وازداد نصيب الفصحى فيها بالتدريج كانت كفيلة بأن تعيد إلى اللسان العربى وحدته دون عناء كبير » .

وثانيهما قول الدكتور نديم نعيمه ، أستاذ الأدب العربى الحديث فى الجامعة الأميركية فى بيروت : « الواضح فى نظرى أن مشكلة الإعلام عندنا هو أنه مايزال يتعثّر غالبا بين عامية وفصحى متنقلاً بين لغتين اثنتين

(١) الدكتور عبد العزيز شرف ، المصدر الذى سبق ذكره ، الصفحة ٢٧١ – ٢٧٢ .

بلغتنا فى تباعدهما حد الإستقلالية ، بحيث أصبح لكل منهما دائرتها وجمهورها ، فكأن الإعلام إذ يعتمد الواحدة أو الأخرى إنما يتوجه إلى فئة من فئتين مستقلتين فى المجتمع الواحد . المنتظر من إعلامنا ، وهو مابدأنا نرى بوادره ، خاصة فى لبنان ، ليس أن يهرب من الفصحى إلى العامية بهدف التعميم ، أو من العامية إلى الفصحى توسيعاً لدائرة الإنتشار ، بل أن يخلق لغة هى « عامية الفصحى » تماماً كما هو حاصل فى لغات العالم المتقدم . فهناك «عامية الإنكليزية» لا الإنكليزية العامية ، وهناك «عامية الفرنسية » لا الفرنسية العامية ، وكذلك هى الحال فى الألمانية والإيطالية والإسبانية وغيرها . و « عامية العربية » ليست اللغة المحكية بل هى الفصحى وقد أكسبها الإستعمال ما للعامية من حركية وأسقط عنهـا الكثير من أصولية أرستوقراطيتها اللفظية والإعرابية والبلاغية والبيانية وغيرها دون أن يحوّلها إلى لغة عامية مستقلة »[1] .

ولئن كان نطاق هذا البحث لايتسع لمزيد من التفصيل فإنه لن يضيق ببضع ملاحظات تختصر رأينا فى هذه المشكلة :

١ ـ إن لغة الإذاعة والتلفزيون مرشحة لأن تكون هى لغة الناس المحكية فى المستقبل ، بل لغة العرب الجامعة لهم ، وذلك نتيجة لاستماع الجماهير إليها على نحو موصول ، ونزوعهم إلى محاكاتها على نحو لا واع . ومن هنا تعيّن أن تُدرس أعمق الدرس وتُرسم لها الخطط العلمية التى تفضى إلى حلّ مشكلتها حلاً نهائياً .

٢ ـ إن كل حلّ صحيح لهذه المشكلة يجب أن ينطلق من حقيقة أساسية هى أن الفجوة بين العامية والفصحى واسعة إلى حدّ يتعذّر معه ردمها فى فترة قصيرة . وهذه الحقيقة تفرض علينا أن لانتعجل الحلّ المنشود وأن نعمل على بلوغه خطوة خطوة ومرحلة بعد مرحلة .

٣ ـ وتأسيساً على هذا ، نرى أن نكون لغة الإذاعة والتلفزيون ـ فى الوقت

---

(١) الدكتور نديم نعيمة ، من رسالة بعث بها إلى صاحب هذا البحث فى نطاق إستطلاع الرأى أجراه حول لغة الإعلام .

الحاضر على الأقل وربما تصبح هـذه اللغة لغة الناس المحكية فى يوم من الأيام – على مستويات ثلاثة :

(أ) مستوى « العربية الفصحى » .

والواقع أن الإعلام المسموع والإعلام المرئى اصطنعا هذه اللغة ، منذ نشأتهما الأولى ، وفى نشراتهما الإخبارية كلهـا ، ولايزالان . ونحن نقترح أن يصطنعاها أيضا فى كل ما يقدمانه إلى المستمعين والمشاهدين من أحاديث ، وندوات ثقافية ، وبرامج تعليمية ، ومقابلات مع رجال الفكر والسياسة الخ .

(ب) مستوى «اللغة المتوسطة » .

وهى اللغة التى تقع فى منزلة بين منزلتى العامية والفصحى ، والتى أطلق عليها الدكتور نديم نعيمة اسم «عامية الفصحى » .

ونحن نرى أن يصطنع الإعلام الإذاعى والإعلام التلفزيونى هذه اللغة فى برامجهما الترفيهية على اختلاف أنواعها .

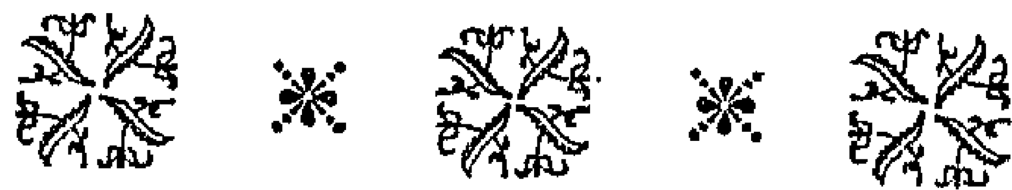
(ج) مستوى « اللغة الدارجة » .

ونعنى بها العامية المهذبة بعض الشىء ، والمرشحة لأن تهذّب باستمرار ، وعلى نحوٍ تدريجى ، كلما آنس رجال الإعلام استعداداً من جمهور المستمعين والمشاهدين لتقبّل هذا التهذيب ومقدرةً على استيعابه .

ونحن نذهب إلى القول بأن التمثيليات الإذاعية والتلفزيونية كلّها يجب أن تُكتب بهذه اللغة إلا إذا كانت تمثيليات تاريخية أو مترجمة عن إحدى اللغات الأجنبية .

٤ – إن لغةً إعلامية موحّدة لابدّ أن تنبثق – مع «الأيام ، وعلى نحو طَبَعِىّ – من المستويات اللغوية الثلاثة التى ذكرنا ، وبذلك تحلّ مشكلة العامية والفصحى فى الإذاعة والتلفزيون ، وتمهّد الطريق إلى حلّها فى حياة الناس اليومية أيضًا .

منير البعلبكى
عضو المجمع المراسل من لبنـان



غزو الأساليب الأعجمية للعربية
والغزو الأجنبي للعربية
للأستاذ إبراهيم السامرائي

تشيع التراكيب والألفاظ الأجنبية ، ولاسيما مايتّصل منها بالمصطلح الفنيّ الجديد ، في العربية ويتداولها المعربون في حاجاتهم قبل أن يكلّفوا أنفسهم بعض العناء في إيجاد مايصحّ أن يكون مقابلاً لها في العربية ، وقبل أن تقول فيها مجامع اللغة والمؤسسات الأخرى كلمتها .

إنها عمل فرديّ يقوم به مختصّ أو غيره فيشيع ، وقد يقوم مختصّ آخر فيسلك في المصطلح سلوكًا آخر ، وهكذا نجد أنفسنا أمامَ جمهرة من الجديد والمعرّب .

أقول : « الجديد المعرّب » ، وهو مايُحتفَظ فيه بالأصل الأجنبيّ ، ثم يُضاف إليه شيءٌ من العربية ، فإذا هو معرّب جديد ، ومن هذا : الديمقراطية ، والأرستقراطيّة ، والتكنوقراطية ، والبورجوازية ، والبولشفية ، والديماجوجية ، وغير هذا . ان ذلك كله ممّا زجّ به المعربون ذوو الاختصاص ومنهم الصحفيّون في العربية المعاصرة قبل أن تباشر المجامع اللغوية سعيها فيها . وكأنّ المجامع قد أقرّت مادأبَ عليه هؤلاء ، وتداوله القُرّاء فاستعملوه وشاع بينهم .

ولم يقف هذا الدأبُ عند حدّ ، فمازلنا نسمع منها الغريب الجديد نحو : البراجماتية ، والماركسية ، واللنينيّة ، والسيميائية ، والسيمانتيكية ، والديالكتيكية ، والرومانتيكية ، والكلاسيكية ، والليبرالية وغيرها .

وقد أضافت المختصرات الغربية إلى العربية مادة جديدة ، فرحنا نواجه :

(*) قدم البحث إلى مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والخمسين .

اليونسكو أو الأونسكو ، واليونيسيف ، والفاو ، والناتو وغيرها . كل هذا أصبح مادة جديدة فى العربية المعاصرة .

وأنكى من هذا أن أساليب اللغات الأعجمية فى النحت والتركيب وجدت سبيلها إلى العربية ، فشاعت فى الصحف وسائر الأدبيات العربية ، ومن ذلك :

أفرو آسيوية ، وأنكلو أمريكية ، وأنكلوسكسون ، وهندوأوربية ، وهندوايرانية ، وسيكو ألسنية .

والغريب فى هذا التركيب والنحت اتصال الجزأين بالواو مع حذف شئ من الجزء الأول[1] .

أقول : إن جميع هذا الجديد قد استقرّ فى العربية المعاصرة ، فاستعمله المختصّون وغيرهم ، وألِفه المعنيّون بالعلم اللغوى ، فلم يبتئس منه جملة هؤلاء ، ولا استبعد أعضاء المجامع اللغوية . ولعلّ المصدر الصناعى كان خير معين لهؤلاء المعرّبين ، فهم إذا وجدوا مثلاً المصطلح الأعجميّ (Historicité) رجعوا إلى كلمة «تاريخ» فكسعوها بالياء المشدّدة والتاء فكان من ذلك «التاريخية» مقابلاً جيداً للمصطلح الأجنبيّ .

ومثل هذا قالوا : «الابستميّة» معرب (Epistémé) ، فلم يكلّفوا أنفسهم إيجاد مايمكن ان يكون مقابلاً عربيًا للمصطلح الأجنبيّ .

وكأنَّ أصحابنا المختصين بالعلوم الاجتماعية[2] يجدون فى المصطلح الأجنبي أصالةً ، فإن رأوا أن يثبتوا مايقابله فى العربية جاءوا بالمصطلح العربى ، وهم كارهون يرمون بهذا المقابل العربى ، وكأنهم أعاروه شيئاً من غُربة ، فهم يقولون مثلاً : إن ريكاردو وماركس لم يختلفا على مستوى «الابستمية» ، بل هما اختلفا على مستوى «الدوكسا» (doxa) ، وهم يضعون المقابل «للدوكسا» مايقابله فى العربية بين قوسين وهو

---

(١) أقول : قد يكون هذا مثل المنحوتات القديمة كقولهم : عبشمى لمن نسب إلى عبد شمس ، ومرقسى لمن نسب إلى أمرىء القيس وغيرها .

(٢) أقول : من العلوم الاجتماعية ما يتصل بعلوم اللغة فى عصرنا ، وقد استقريت هذه الدراسات الجديدة ووقفت فيها على المولد الجديد معرباً أو غير معرب : وسنبسط الكلام على هذه الغرائب الجديدة .

(الرأي أو الظن) ، ومثل هذا «الفيلولوجيا» الذي وضعوا له بين قوسين (علم فقه اللغة) .

وقد لجأ المعاصرون إلى طرائق القدامى في التعريب ، وهو مقابلة صوت الكاف الأخيرة في الكلمات الأجنبية بقاف في المعرّب الجديد ففالوا : سيمانطيقا ، وميتافيزيقا ، والسبرنيطيقا ، وسيميوطيقا (أو السيميائيات) وهي في الفرنسية : Cybernétique Métaphysique sémiotique ومثل هذا « الجلوسماطيقا » وهو Glossémantique ، وقالوا «فونتيقا» وهي phonétique

أقول : واستعارة القاف مقابلاً للكاف الأعجمية هي طريقة القدماء فقد قالوا : الغراماطيقا ، والريتوريقا ، والبوأتيقا والبولتيقا وغيرها ، وهي تقابل : Rhetorique Grammatique Potétique و poétique و .

وقد أبقى المعاصرون الكلمة Logie اليونانية في كثير من العلوم ، وتعني العلم ، وقد سبقها مفردات عدة تشير إلى أسماء العلوم فقالوا : جيولوجي أو جيولوجيا ، والوصف منه نسبة إليه جيولوجيّ وجيولوجيّة وبايولوجي لما يدعى « علم الحياة » يدخل فيه الحيوان والنبات ، و «فيزيولوجي »[2] ، و «سيكولوجي » (لعلم النفس) و «انتروبولوجي » و «اتنولوجي » (لما يدعى علم الانسان) ، و (ميثولوجي » (لعلم الأساطير) ، و «تكنولوجي » أو « التكنولوجيا »[3] ، و «الكرونولوجيا» «للتسلسل الزمني) ، وإديولوجي ، و «إبستمولوجي » أو «الابستمولوجيا» (للمعرفة) و «ثيولوجي » (لما يتصل باللاهوت) ، و «اسكاتولوجيا » (بمعنى

(١) وقد عرب العرب في أوائل هذا العصر كلمة « فيزيك » Physique ، فوضع الأستاذ عز الدين التنوخي –رحمه الله– مصطلح « فيزياء » حملها على كلمة «كيمياء » في المعربات القديمة وقد وضع الأستاذ التنوخي أول كتاب أسماه «كتاب مبادىء الفيزياء » لطلبة دار المعلمين الإبتدائية في بغداد ، وذلك قبل سنة ١٩٣٠ م .

(٢) وقد عرب أهل عصرنا منذ عشرات من السنين فقالوا : فسلجة كما قالوا : فلسفة .

(٣) وقد وردتنا بأخرة « التكنولوجيا » فهرع نفر من المعنيين إلى وضع مقابل لها فقالوا : «التقنية » ، وكأنهم أخذوا هذا من كلمة « تقن» للمتقن البارع في علم أو فن أو أي شيء آخر. غير أن شيوع « التكنولوجيا » قد راح يحجب شيئاً فشيئاً المقابل العربي حتى كاد ينسى .

النبوءة) ، و «اركيولوجى» و «أركيولوجيا» ومن الغريب قولهم : «مصرولوجى» (لما يدعى المصريات) ، و «الفنومنولوجيا» (لما يدعى بعلم الظواهر) ، و «الفيلولوجى» و «الفونولوجى» ، و «المورفولوجى» ، وغيرها كثير .

وقد ترد هذه المواد وحدها دون ذكر المقابل فى العربية ، وهذا يعنى أنها اكتسبت الشيوع فاستغنى بها عن المقابل العربى .

وقد نجد الكثير من هذا الجديد معرّباً وغير معرّب فى كتابات أصحابنا الجدد من اللغويين ينظرون إلى العلم اللغوى نظر الغربيين مع التفاتة يسيرة إلى ماقاله العلماء المتقدمون من العرب .

إن علم اللغة يجتاز فى عصرنا مرحلة خاصة متسمة بالحركة الدائبة بحيث ذهب نفر من الدارسين إلى رد كثير من العلوم إلى الحيّز اللغوى . وقد حملت إلينا هذه الحركة الدائبة «البنيوية»[1] الجديدة . وها أنذا أعرض لطائفة من هذا المعرب الجديد ممّا وقفت عليه فى كتب أصحابنا ، وليست بى حاجة إلى أن أشير إلى هذه الكتب ، ذلك أن هذه المولدات جاءت مختلفة بعض الشىء فى هذه الكتب ، والمهم عندى أن هذا قد كان بسبب أنها جهود فردية ، فكلٌّ يجتهد على طريقته .

قال أحد هؤُلاء الدارسين :

إن مفهوم «البنيـة» قطيعة «ايستمولوجية» مع كل فلسفة تتخذ نقطة انطلاقها من «الذات» أو «الكوجيتو» .

وأنا أدعو القارىء ألا يذهب به الظن إلى أن «البنية» عند هؤُلاءِ شئ يقابل «البنية» أو «البناءِ» عند سيبويه ، ذلك أن «الأَبنية» التى أشار إليها سيبويه فى «الكتاب» معروفة ، وكذلك لدى سائر علماء العربية المتقدمين والمتأَخرين ذلك إنها مادة جديدة تقوم على قاعدة

---

(١) ومن الغريب أن الذين جاءوا بـ «البنيوية» منسوبة إلى «البنية» لم يعرفوا أن النسبة إلى «بنية» هو «بنوى» لأن الياء تقلب واواً مثل «قرية» والنسبة إليها «قروى» ، والنسبة إلى «لحية» هو «لحوى» ومثل ذلك الكثير .

فلسفية لها مكانها فى جميع العلوم . ومن هنا كان «المنطق» و «علوم الرياضيات» إنما يدور فى فلك «البنية» الجديدة ، هذا الإكسير الجديد الذى يفض مغاليق العلم :

ومن أجل هذا ظهرت «البنية السطحية» و «البنية العميقة» فى كتابات اللغويين المعاصرين «بنيويين» وغير «بنيويّين» .

ويحسن بى أن أضع بين يدى القارئ ما يقوله أحدهم فى «كتابه» :

«ومن هنا استحالت «البنيويّة» — إنْ من حيث أرادت ، أو من حيث لم ترد[1] — إلى «لغة شارحة لحضارتنا» (أو إنْ شئت قلت : «ميتالغة» (كذا) (Méta-Langane) للثقافة المعاصرة .

ليس قصدى مما ذكرت أن أنال من صاحبنا هذا ، ولكنى أقصد إلى إظهار جرأة أصحابنا على العربية ! !

ولى وقفة أخرى على طرفة ممتعة وذلك قول صاحبها : وعلى حين بقيت كلمة «بنية» — فى كل من «الفسيولوجيا» وعلم النفس — مجرد مرادف لكلمة «صورة» أو «صيغة» أو «جَشطلت» (كذا مع التشديد على أهمية شبكة[2] العلاقات القائمة بين العناصر . . .

أقول : لقد أدخل هؤلاء فى طرائق بناء اللفظ فى العربية شيئاً لم تعرفه العربية ، فقالوا مثلاً : «القبتاريخية» وصفاً لأحداث سبقت العصور التاريخية.

ان هذا البحث يومئ إلى مافى الفرنسية أو الانكليزية من الجزء الذى تصدّر به الكلمة فى هاتين اللغتين وغيرهما من اللغات الغربية ، الذى يُدعى فيها (Préfixe) ، فيقال فى الفرنسية مثلاً : (Préhistorique) ، وكأنّ «القبتاريخية» تقابل الكلمة الفرنسية

(١) أقول : هذا الذى حصره الدارس بينى شارحتين ، ولا أدعوه جملة اعتراضية يدعو إلى الدهشة ، وذلك لأنه جملة شرطية على منوال ما يستسيغه الكتاب الجدد ، وهو شيء لم يرد فى أسلوب الشرط الذى عرفناه فى لغة التنزيل أو كلام العرب .

(٢) أقول : كأن «الفسلجة» الكلمة المعربة أصبحت لا تفى بالمرام لدى هؤلاء الدراسين الجدد ، فعدلوا عنها الى الأصل الأعجمى ، وكأنهم عربوه بادخال الألف واللام للتعريف .

وتؤدّى ماتؤديه . غير أن هذا المولّد الجديد فى العربية قد استعير له الطريقة الأعجمية فى البناء ، و «الفبتاريخية » هى «ماقبل التاريخية » .

وأضيف إلى هذا شيئاً يقرب منه ، وهو «القبل رومنطيقى » و «البعد رومنطيقى » وهو شئ وقفت عليه فى كتاب آخر لمؤلف آخر ، يجعل مما أثبته مقابلاً لما فى الفرنسة من مصطلح ، وهما : Préromantiqe و Posromantique أليس هذا كله بغريب !

ومن هذه الغرائب التى اجترأ فيها أصحابها على العربية استعمال أحدهم فى كلام له على «التراث والمعاصرة» مصطلحاً جديداً يدخل فى جملة هذه «الغرائب» هو «الأتاريخية اللاعلمية»[1] .

ان الهمزة فى « الأتاريخية » غزو جديد كما سأبسطه :

يتساءل الدارسون عن هذه «الهمزة» التى تصدّرت «التاريخية» ، والجواب : إنها همزة مستعارة لصرف الكلمة إلى عكسها أو ضدّها ، وعلى ذلك فإن «الأتاريخية» تعنى محو التاريخ وإلغاءه . والتصدير بالهمزة هو من اللغات الأعجمية ، ومنه فى الفرنسية :

كلمة Morph وتعنى « الشكل » فأما عديم الشكل فهو Amorphe . ومثل هذا : Politque[2] لما هو «سياسى ، فأما من لايُعنَى بالسياسة فهو Apolitique[3]

وقد يشيع المصطلح الذى يختار من العربية ، وشيوعه يعنى صاحبه من

---

(١) أقول : و « اللاعلمية » مركب من « لا » النافية وما بعدها ، وهذه طريقة اتبعت فى أوائل هذا القرن فقالوا « لا سلكى ، و « لا شعور » و « لاوعى » وغيرها وكأن هذه قد ركبت من « لا النافية وما بعدها ، ومن أجل ذلك عرفوها بالألف واللام فقالوا : اللاسلكى واللاشعور .

(٢) أقول : لقد عرب الأوائل هذه الكلمة على طريقتهم فقالوا : « أبوليتيقا » نظير الغراماطيقا وغيرها ، وكنا اثبتنا هذه الطريقة القديمة .

(٣) أقول : إن هذه الهمزة فى الكلمة الأعجمية لاصلة لها و « همزة السلب والإزالة » التى نعرفها فى الفعل أقذى » ، قالوا : « أقذيت عين فلان » أى أزلت القذى عن عينه ، وأعجمت الكتاب ، أى أزلت عجمته بنقطة .

إثبات الأصل الأعجمى ، فمن ذلك شيوع « الاغتراب » أو « الاستلاب » لفائدة نفسية فى كتابات أهل الاجتماع والتربية ، وشيوعه أعنى هؤلاء الكتاب عن إثبات المقابل الأعجمىّ وهو (alienation) .

ويقول أحدهم : « . . . وأخيراً يهتم « ديلوز » بابراز الطابع « المحايث » أو « الكمونى » (Immanent) للبنية .

قد يقف القارىء غير المتعود على هذا الجد ، فيستغرب كلمة « المحايث » ، حتى إذا ادرك أنها من الظرف « حيث » تملّكته الدهشة ، وهو لايدرك هذا إلا بعد استيعاب الكلمة الأعجمية ان كان من الشادين لشىء من الفرنسية أو الانكليزية .

ونجد لدى هؤلاء القائلين بـ « البنيوية » « ضميراً مستتراً » يعود على عالم سويسرى هو « فردناند دى سوسير » المتوفى سنة ١٩١٣ من أساتذة جامعة جنيف ، أو أن الضمير يعود أحياناً على عالم أمريكى آخر هو « بلومفيلد » ، وقد يعود على آخرين .

ومما جاء به « دى سوسير » مصطلحان هما : (Synchronique) و (diachronique) :
وقد أراد بالأول ماهو « تزامنى » أو « تواقتى » وهذا ترجمة من ترجمات أخرى لهذين المصطلحين وكلاهما بناء مولد ، فلم نعرف « التزامن » و « التواقت » فى مادة « زمن » ومادة « وقت » . وقد أراد بالثانى « المتعاقب » أو « المتطور » .

وقالوا أيضًا : « تزامنى » و « تعاقبى أو تطوّرى » وكله جديد لم نعرفه إلا فى قراءتنا لهذا العلم الجديد الذى يستمد مادته من المجتهدين الغربيين .

هذا كله جديد لم يدخل فى حيز النشاط المجمعى .

قد يقول أصحابنا الدارسون : إن علم اللغة فى العربية فى عصرنا يفتقر إلى هذا الجديد ، فلابد أن يكون شىء فى هذا السبيل . أقول : إن هذا لحقّ لامراء فيه ، على أن يكون للعربية اعتبارها .

ويقول أحدهم فيما كتب : « . . . ان « الذات » يقوم بها « الفكر الموضوعى » . ومعنى هذا أنه ليس لدى « ليفى شتراوس » ،

أحد العلماء القائلين بـ « البنيوية » : « كوجيتو » (كذا) فردىّ على طريقة « ديكارت » ولا أىّ « كوجيتو » اجتماعى على طريقة « سارتر » . . . . أقول : كان على الكاتب أن يثبت شيئاً يفى بشرح « كوجيتو » لأنها مما لايعرفها جمهرة من الدارسين العرب ، ماضرّه لو أشار إلى ان « الكوجيتو » مايتصل بالفكر والتأمل .

لعل أصحابنا هؤلاء الممارسين لعلم اللغة الجديد يقصدون فتنة القارئ العربى بهذه الألوان الجديدة ، مع إقرارى أن صنيعهم مفيد على كل حال .

قال أيضاً : « . . . وقد لايكون فى جملة « ليفى شتراوس » العنيفة على كل نزعة ذاتية متصرفة مايبرّر تسمية فلسفته باسم « الكانتيـة » [1] أو « الترنسندنتالية » . . . . أقول : و « الترنسندنتالية » فلسفة تقوم على أن الحقيقة السامية لايمكن ادراكها ، وأنها تؤكد البدايات الروحية لكل ماهو مادىّ ملاحظ بالعيان .

وأنا اختم هذا الموجز بذكر مواد خاصة تندرج فى معجم اللغويين المعاصرين فأقول :

قالوا : « صوتَم » لما هو (Phonème) [2]

أقول : لقد زادوا الميم ليخرجوا من « الصوت » إلى مصطلح جديد يقابل المصطلح الأعجمىّ .

و « نظام الصواتم » وهو Système des phonèmes

و « المَنْظَم » : systemage

و « المَعْلَم » : Glossème

و « المِفْهَم » : Séonème

و « اللفْظَم » : Monème

و « القَرْفَم » : Morphonème

و « المَنْغَم » : Tonème

---

(١) « الكانتية » هى فلسفة الفيلسوف « كانت » ، وقد تحولت التاء من « كانت » إلى طاء فى لغة المعربين .

(٢) أقول : إن اضافة الميم على « صوت » تومىء إلى الميم فى « Phonéme » ، وليست هى كالميم التى أضيفت فى العربية القديمة إلى ازرق « فقالوا » : « زرقم » للشديد الزرقة ، و « صلدم » المشديد الصلابة ، والأصل « صلها » ومثلها اضافة النون إلى « رعش » و « ضيف » فقالوا : « رعشن » و « ضيفن » والأول المرتعش كثيرا والثانية لمن يحضر مع الضيف ولم يدع .

و «الرَّوسَم» : Graphème

و «السَّونَم» : Cénème

و «صَوتَمِية» : Phonologi

و «صَيْغَمِيّ» : Morphologique

و «صَيْغَمِيّة» : Morphologie

و «مَعْنَم» : Sème

و «مَعانِم» : Sémes

و «مَعْنَمِي» : Sémique

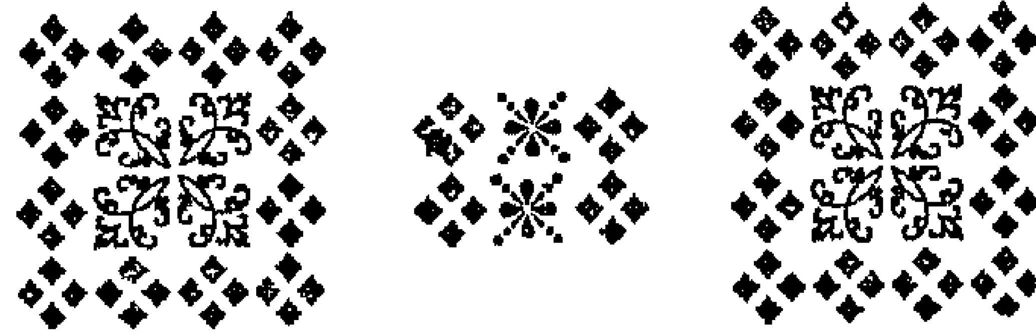
وقالوا : «وَحُديم» و «وَحْديمات»
لما هو Monème Morphème

وقالوا : «الطرائق الصرف دلالية»
لما هو : Procèdés Morpho-Sémantiques

وقالوا : «الطرائق الصرف نحوية
لما هو : procèdès Morpho-Syntasiques

وقالوا : «الصرف ـ صوتمية لما هو :
Morpho-Phonologique

وبعد فهذه جملة مواد اصطلاحية بسطتها بين أيدى المجمعيين للنظر فيها، وقد أثبتها غير واحد من أهل الاختصاص، وهى على مافيها شئ يلزم العربية فى عصرنا .



حساب القلم الفاسي

للأستاذ محمد الفاسي

كان لعلماء فاس وقفاتها وعدوانها إلى عهد قريب طريقة في كتابة الاعداد اخترعوها لتقييد التركات والفرائض في تقيم الإرث لايعرفها الأهم وذلك للتعمية على من تسول له نفسه تغيير العقود وتزييفها . وقد نظم شيخ الاسلام أبو السعود عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1091هـ (1630 م) رَجزاً في بيان أشكال هذه الأرقام المسماة بالقلم الفاسي ولفظة القلم هنا معناها صور الأرقام ونظامها في الحضارات المختلفة فيقال القلم الرومي للحساب اليوناني والقلم الهندي والقلم الغباري . ونظام القلم الفاسي لايرتكز على الصفر وإنما يعطى للشكل قيمة خاصة . وعدد هذه الأشكال سبعة وعشرون : تسعة للأحاد وتسعة للعشرات وتسعة للمئين . معنى هذا أن صور الآحاد من واحد إلى تسعة وصور العشرات من عشرة إلى تسعين وصور المئين من مائة إلى تسعمائة .

أما الآلاف فهي الآحاد الآلاف صور الآحاد المذكورة وتحتها مطة وصور عشرات الآلاف العشرات المذكورة وتحتها مطة وصور مئات الآلاف فهي صور المئين المذكورة وتحتها مطة بمعنى أن صور آحاد الآلاف تسير من ألف إلى تسعة آلاف وصور عشرات الآلاف تسير من عشرة آلاف إلى تسعين الفا وصور مئات الآلاف تسير من مائة ألف إلى تسعمائة ألف .

(*) قدم البحث إلى مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والخمسين .

9 8 7 6 5 4 3 2 1

90 80 70 60 50 40 30 20 10

900 800 700 600 500 400 300 200 100

وهكذا الى تسعة آلاف 1000

وهكذا الى تسعين ألفا 10.000

وهكذا الى تسعمائة ألف 100.000

وهكذا الى تسعة آلاف ألف 1000.000

وهكذا الى تسعين ألف ألف 10.000.000

وهكذا الى تسعمائة آلاف ألف 100.000.000

أما آلاف الآلاف وهي مايسمى اليوم الملايين فهي لآحادها صور الآحاد المذكورة وتحتها مطتان وصور عشرات الملايين العشرات المذكورة وتحتها مطتان وصور مئات الملايين فهي صور المئين وتحتها مطتان .

واليكم الآن لائحة بكل هذه الأشكال استخرجتها من رجز جدنا أبي السعود الفاسي وقد ألف العلامة القاضي ابوالعباس أحمد بن العياشي سكيرج شرحا لهذه المنظومة سماه « أرشاد المتعلم والفاسي في صفة أشكال القلم الفاسي » طبع على الحجر بفاس سنة 1316 هـ . (1898 م) وقد ورد فيه قوله : «أعلم ان وضع هذا القلم أنما قصد به الاختصار في الوضع العددي والتعمية على العوام خوف التبديل والتغيير ولما كان قليل الدوران بين العدول المتقدمين لايعرفو غالبا الا من له ممارسة وبحث واعتناء بالأمور وقد فشا ظهوره عند السادة الفاسيين فنسب اليهم وليس من وضعهم بما هو مأخوذ من القلم الرومي» . انتهى وفي هذا نظر إذ لو كان أصله يونانيا وهو ماتعنيه لفظة الروم عند العرب يبقى له أثر بالشرق واما الاتصال المباشر للمغاربة بالحضر اليونانية فإنه لم يقع قط والحضارة العربية المغربية لاتعرف الحضارة اليونانية الا عن طريق ماوقع من ترجمة لآثارهم أيام العباسيين ثم ان قوله :

إن هذا القلم كان قليل الدوران بين العدول المتقدمين فالمقصود بذلك ماقبل القرن العاشر والا فلدينا وثائق كثيرة من رسوم عدلية ومن رسائل سلطانية وغيرها مؤرخة بالقلم الفاسي . وفي خزانتي التي ورثتها عن أسلافي كتب لسيوطي زمانه أبي زيد عبد الرحمن الفاسي المتوفى سنة 1096 هـ . (1685 م) مكتوبة بخطه ومؤرخة بالقلم الفاسي ومن هذه الوثائق تركة لزوج جدنا أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي السعود عبد القادر الفاسي . وقد توفيت سنة 1151 هـ (1743 م) وكل ميراثها وتقسيمه على ورثتها بالقلم الفاسي .

واليكم صورة من هذه الوثيقة مع أصلها الذي مرت عليه اثنتان وخمسون ومائتا سنة .

ثم ان واضعى القلم الفاسى جعلوا
الاشكالا للكور وهى عبارة عن اعداد
الاحاد مع مدة صغيرة فى أسفل الشكل
إلى اليسار هكذا :

عُشْر   عُشْران

داعشار . وهكذا إلى تسعة أعشار

أما منظومة أبى السعود الفاسى التى
شرحها القاضى سكيرج فهى :

لواحد الأحاد هاء واقفة
ثان كمطة هبة فى الصفة
والثالث ارْسُمَنْه لامَ الألف
لكن يُمناه بذيل قد ردف
والرابع المخلاب رأسه يمين
والعين خامس وسادس يبين
صورة هاء غير أن عقدها
إلى اليمين وارسمن بعدها
علم سبعة كشكل الأربعة
لكن رأسه شمالا ارْفعه
والكاف واقف وهاء واقفة
هو الثانية ياذا المعرفة
والكاف تسعة وَرُدَّ صَرفَه
داخله وعاشريا فى الصفة
مردودة وشدة للعشرين
وَلِى اجْعَلَنَّها صورةَ الثلاثين
ثمت يبقى شكل اربعينا
لى لحـ ين وللتينا
صح ولعين شبه داره
وشدة من فوقها اشارة
إلى اليمين علم الثمانين
ولح أثر بها للتسعين
وبعده ارسمى لتطم المثين
فماته كصى ارسم ومائتين
ياء وتحت شرطة بغيرمين
ففهمنه ورتبه باليقين
وثالث المئين ياء أخرى
وفوقها مد منحت النصرا

ورابع الميّن لام الألـف
وهى لخمسمائة لفلتعرف

والعين ستمائة قـد ميزت
بشرطة داخليـا وخصصت

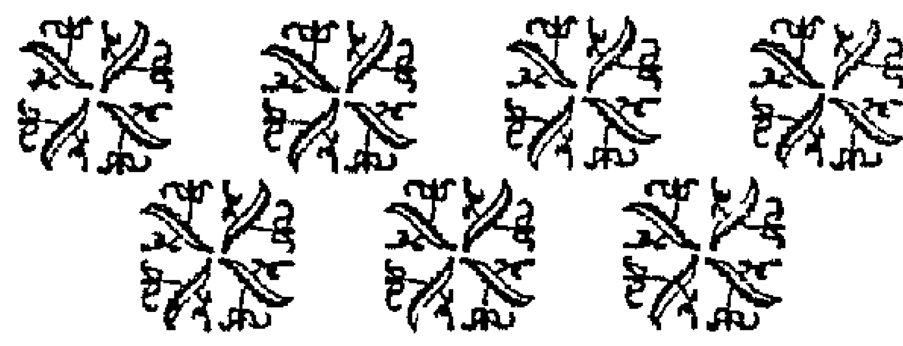
والياء فوق الياء سبعمائة
ثم الثمان الواو تحت شدة

وشدة من فوق ياتسعمائة
والمد تحت الهاء فى عشرمائة

وهـكذا مراتب الآلاف
تجعل مدا لكل الأحـرف

هذا وان القلم الفاسى ، لم يبق أحد يعرفه من عدول فاس وقضاتها وفى الماضى كان كل من يدلى برسم عدلى لدى أحد القضاة يبدأ هذا الاخير بالتعريف بالعدلين الموقعين عليه وبالقاضى الذى جعل عليه علامته ثم ينظر فى أشكال القلم الفاسى ويصدق على الكل بما يسمى الإكمال أى يجعل الوثيقة معمولا بها . لذا يعتبر هذا التحقيق الذى قمت به مفيدا للمؤرخين المختصين فى الحياة الإجتماعية والإقتصادية فى العصور السابقة وسأعمل على نشره بكيفية موسعة حتى تعم الفائدة به .

والسلام عليكم ورحمة الله .



[illegible]

مسألة الورثة … مسألة الأصل الوصية للوصية

أعلا للانصبة من الوصية … المذكورة أعلا

[illegible]

الإناث

[illegible]

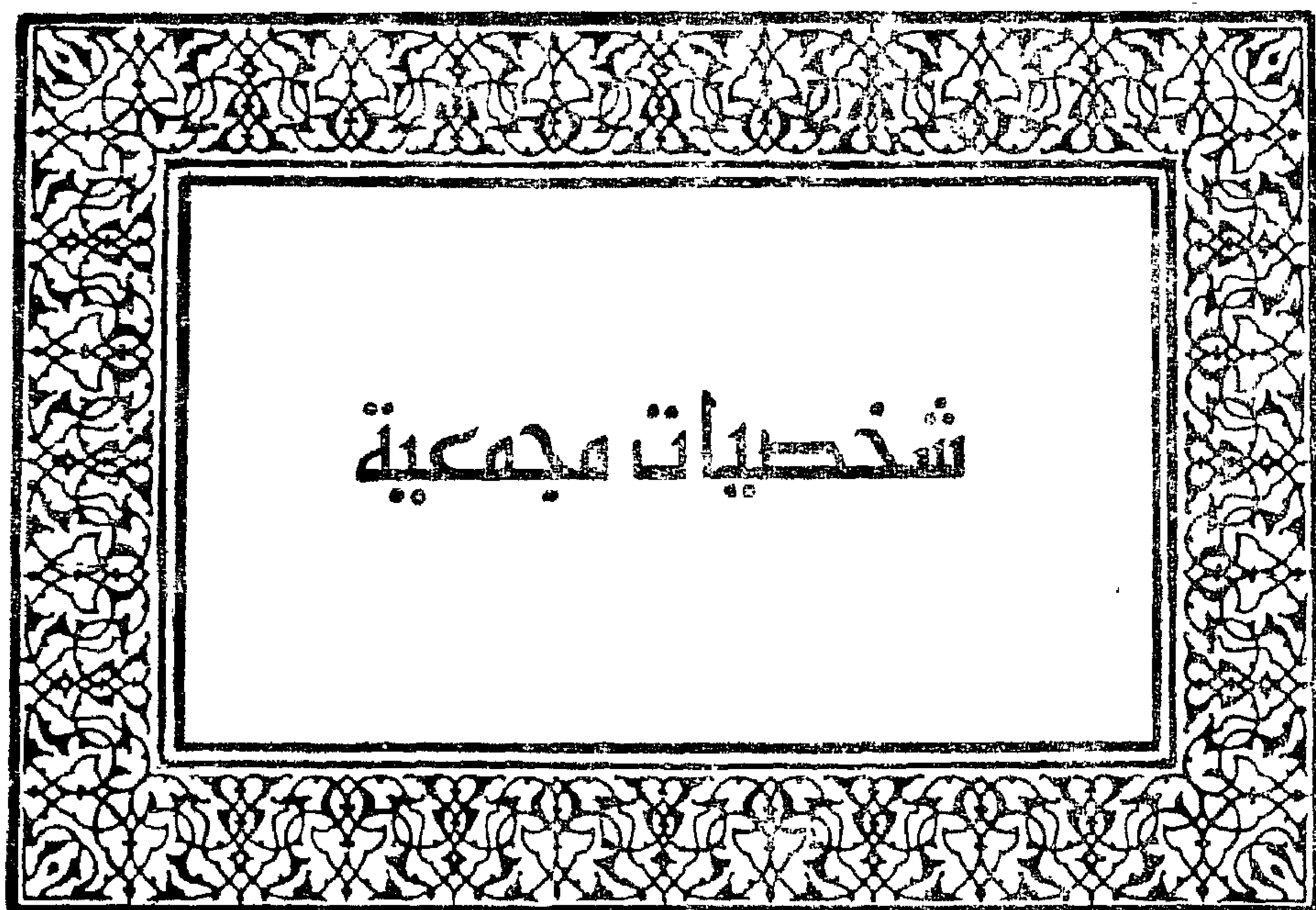
واجب … واجب … واجب

[illegible]

البابية للعاصبة والأربعة

[illegible]

الحول لها توريث المالك بالارثية [illegible] عنها وجدتها من تها وزوجها حيث اشير وطلبت من [illegible]
بالارث من [illegible] حيث اشير اجتمع بالاصول [illegible] الاول والاواقي وثلاثة
اوقية وثلاثة وتسعون اوقية الاربع الاوقية واجب الثلث [illegible] جميع الاوقية واحد ومائة اوقية واحد
وستة عشر اوقية [illegible] اوقية وثمانية بلوم [illegible] الاوقية [illegible] اوقية [illegible]
للاعداد الاربعة [illegible] سبعمائة اوقية وسبعة عشر اوقية [illegible] اوقية وثمانية
[illegible] بالاصول [illegible] ثمانمائة اوقية وخمسة عشر اوقية [illegible]
الورثة مائة اوقية واحد واوقيتان [illegible] وثمانية بلوم [illegible] المجتمع الذكور [illegible]
[illegible] اوقية اثنتان وتسعون [illegible] اوقية وستة [illegible]
[illegible] خمسمائة اوقية [illegible] وتسعون اوقية وستة اثنان [illegible] واربعة بلوم [illegible]
وتسع عشرة اوقية وتسعة بلوم [illegible] الشيخ [illegible]
[illegible] اوقية واحد وتسعمائة اوقية [illegible] اوقية [illegible] ثلاثمائة
اوقية [illegible] اوقية وسبعة اثنان واربعة بلوم [illegible] اثنان [illegible] اوقية [illegible]
[illegible] مائة اوقية واحد [illegible] عشرة اوقية [illegible] عليه تسع وعشرون [illegible]
[illegible] اثنان [illegible] احدى وعشرون اوقية [illegible] اثنان واربعة بلوم [illegible]
[illegible] اوقية [illegible] وستة بلوم [illegible] عليه [illegible] اوقية وستة اثنان [illegible]
[illegible] اوقية وسبعة اثنان وستة بلوم [illegible] عليه
[illegible] اوقية [illegible] واربعة [illegible]
[illegible] اوقية [illegible] ثلاثة عشر اوقية [illegible]
[illegible] اوقية [illegible]
[illegible] عليه تسع عشرة اوقية وستة اثنان [illegible] اجتمع بالورثة الذكور [illegible]
اوقية واوقيتان [illegible] وثمانية بلوم من هذا [illegible] اوقية اثنتان [illegible]
[illegible] مائة اوقية [illegible] وثمانية بلوم [illegible]
[illegible] الذكور [illegible] والدهم الذكور [illegible]
[illegible] سبع وعشرون اوقية [illegible]
[illegible] ثلاثة اوقية [illegible] الذكور [illegible]
[illegible] اوقية واحد [illegible]
[illegible] سبع [illegible]
[illegible] عليه [illegible]
[illegible] عليه [illegible]
[illegible] ثلاث عشرة اوقية [illegible]
[illegible] عليه [illegible] عشرون اوقية [illegible]
[illegible] الثلاثة اوقية [illegible]
[illegible] بلوم [illegible]
[illegible] المذكورين [illegible] جميع الورثة الذكور [illegible]
على [illegible]
[illegible]
[illegible] عليه [illegible]
[illegible]
[illegible] ثلاث مرات [illegible]


شخصيات مجمعية

كانت الساعة الخامسة من مساء يوم الأربعاء ٦ من رجب سنة ١٤٠٨ هـ (الموافق ٢٤ من فبراير (شباط) سنة ١٩٨٨ م) موعدا لبدء الجلسة العلنية التى عقدت بدار المجمع لتأبين المغفور له الدكتور عمر فروخ عضو المجمع من لبنان .

١ ـ كلمة الافتتاح

● للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

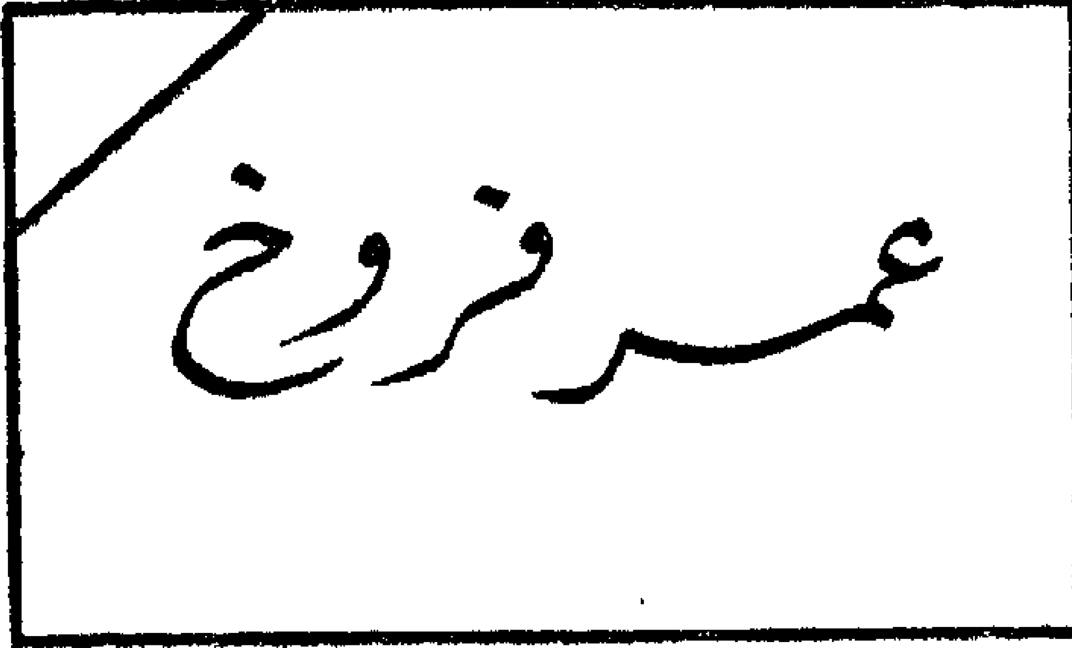
(إنا لله وإنا إليه راجعون)

نودع اليوم زميلا كريماً ومجمعياً كبيراً هو المرحوم عمر فروخ . عرفته منذ ربع قرن أو يزيد عرفت فيه الأخوة الصادقة والعلم الغزير والبحث الدقيق .

كان رحمه الله موسوعى المعرفة جمع بين العلم والفلسفة والأدب واللغة ، كما كان عالمى الإنتاج كتب بالعربية ما استطاع الكتابة فيها ، كما أنتج باللغات الأجنبية وكتب بها ، فكتب باللغة الإنجليزية واللغة الألمانية .

أما عطاؤه فى مجمع اللغة العربية فقد كنا جميعاً نترقب حضوره ونتعجب بملاحظاته وكلنا يعرف مدى إيمانه بما يذهب إليه من رأى ، وقد أبت الأقدار إلا أن تمتحنه فأصابه ما أصابه وفقدناه على عجل . تغمده الله برحمته وجزاه عما قدم لوطنه ولغته وأمته خير الجزاء ، وسيلقى كلمة المجمع الزميل الدكتور عبد الكريم خليفة عضو المجمع من الأردن .

كلمة الدكتور عبد الكريم خليفة

في تأبين الدكتور 

بسم الله الرحمن الرحيم

(كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون [1]).

صدق الله العظيم

سيدى الرئيس الجليل ، أيها السادة الزملاء أعضاء مجمع اللغة الخالدة بالقاهرة .

سيداتى سادانى . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فنحن نجتمع اليوم فى رحاب مجمعنا العتيد فى القاهرة كى نؤبن عالماً من علمائنا الأفذاذ ، كى نؤبن الأديب الفيلسوف عمر فروخ الذى عاش حياته للعلم وخدمة التراث العربى والإسلامى .

ولد الناقد الفيلسوف الدكتور عمر عبد الله فروخ — رحمه الله — فى مدينة بيروت يوم الثامن من شهر آيار (مايو) سنة ١٩٠٦ م .

وتلقى علمه الأول فى الكتاب وفى المدارس الرسمية العثمانية قبل ان ينزل الانتداب فى سورية ولبنان . دخل المدرسة الابتدائية التابعة للجامعة الأمريكية سنة ١٩١٩ م . وفى رسالة بعثها إلى أحد أصدقائه يلقى ضوءاً على هذه الفترة المهمة فى تكوينه الثقافى والفكرى . وذلك أنه فى سنة ١٩٢٢ ، وكان قــد مر فى صفوف المدرسة الابتدائية فى « مدرسة رأس بيروت » ، التابعة ، على حد قوله ، بحسب المنهج لا بحسب الإدارة ، للجامعة الأمريكية ، اتصل به نفر من جمعية المشروع الخيرى العلمى فى بيروت وعرضوا عليه أن يسلفوه أقساط الجامعة على أن يصبح بعد تخرجه فى الجامعة معلماً . ولنستمع إليه يقول :

« لقد قبلت هذا العرض للسبب التالى ، فى الدرجة الأولى : كانت أحوالنا الاقتصادية

(١) سورة الأنبياء : آية ٣٥ .

صعبة . فمنذ العام ١٩١٩ م (بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى) كنت أعمل فى الصيف فى النهار ، وأعمل فى الشتاء فى الليل فى سبيل الحصول على المبالغ الضرورية لأقساط الدراسة . كان ذلك هيناً على حينما كنت فى القسم الابتدائى . أما بعد ذلك ، حينما انتقلت إلى القسم الاستعدادى فقد أصبح من غير اليسير على أن أجمع بين الدراسة فى النهار والعمل فى الليل . وأسلفتنى الجمعية أقساط السنوات ١٩٢٣ — ١٩٢٨ م (نحو تسعين جنيهاً مصرياً فإن الجامعة الأمريكية فى بيروت كانت تستوفى الأقساط بالعملة المصرية) . ثم إنى وفيت هذا المبلغ كاملا فى عامين (١٩٢٩ — ١٩٣٠)[1] .

ولاشك أن النشأة الأولى ، تركت آثاراً عميقة فى شخصيته ، وفى نظرته للحياة وحب العمل والشعور المسؤول بالواجب ، فكان ، رحمه الله ، رجلا عصامياً بنى نفسه بنفسه .

دخل عمر فروخ المدرسة الابتدائية التابعة للجامعة الأمريكية فى بيروت وهو فى السنة الثالثة عشرة ، من عمره ، وذلك سنة ١٩١٩م وفى سنة ١٩٢١ م دخل السنة الثالثة الاستعدادية فى الجامعة الأمريكية ، ونال شهادتها فى حزيران سنة ١٩٢٤ م . وكان أحد خطباء حفلة التخرج وهذا يعنى أنه كان من الطلبة المبرزين . ثم دخل الدائرة العلمية فى الجامعة الأمريكية ، وتخرج فيها عام ١٩٢٨ م ، برتبة بكالوريوس علوم (متخصصاً باللغة العربية والتاريخ) . وبعد أن عمل عدة سنوات فى التدريس ، تابع أديبنا الناقد دراسته العليا فى ألمانيا وذلك من سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٧ م . فتخصص فى الفلسفة واللغة وتاريخ العرب فى أوربة ما عدا الأندلس ، وتخرج برتبة دكتور فى الفلسفة فى ١٩٣٨/٨/٢٧ م .

ويستطيع الباحث فى شخصية فيلسوفنا الأديب عمر فروخ أن يميز ثلاثة مصادر أساسية فى تكوينه الثقافى والفكرى . فكان المصدر الأول يتمثل بالكتاتيب والمدارس العثمانية إلى جانب حياة البيت والأسرة . التى كانت تمر بظروف مادية صعبة شأنها فى ذلك شأن معظم الأسر بعد الحرب العالمية الأولى . ويخيل إلينا أن هذا المصدر قد ترك بصمات واضحة فى حياة عمر فروخ وفى سلوكه ونظرته إلى الحياة وفى القيم والعادات الإسلامية التى نشأ عليها .

أما المصدر الثانى فيتمثل بمراحل التعليم المختلفة فى الجامعة الأمريكية ، ومع أن هذه المرحلة تعتبر أطول مراحل التعليم التى قضاها أديبنا الفيلسوف من عمره ؛ إذ تبلغ حوالى عشر سنوات ، فإن آثارها فى حياته العملية واتجاهاته الفكرية قد لاتتعدى كثيراً التكوين العلمى وتأسيس المنهجية الحديثة فى البحث والتحقيق .

(١) انظر الدكتور على زيعور ، صراع للتيارات المتشددة وعمر فروخ ص ٥١ — ٥٢ ، بيروت ، ١٩٨٥م .

أما المصدر الثالث ، فيتمثل بدراسته العليا فى الجامعات الألمانية وحصوله منها على شهادة الدكتوراة فى الفلسفة ، وعلى الرغم من أنها أقصر الفترات من حيث الزمن ، من سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٧ م ، إلا أنها تركت آثاراً واضحة فى اتجاهات عمر فروخ الأخلاقية والسلوكية من حيث جدُّه ومثابرته واحترامه لنفسه وللنظام والقانون ، وربما كان لها دور كبير فى اتجاهه الفكرى .

وأما حياته العملية فقد بدأها منذ تخرجه سنة ١٩٢٨ م ، مدرساً بمدرسة النجاح فى نابلس بفلسطين وفى سنة ١٩٢٩ م عين أستاذاً بجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية فى بيروت.. وبعد عودته من ألمانيا فى سنة ١٩٣٧ م ، حاصلاً على شهادة دكتوراه الفلسفة استأنف التدريس فى مدارس المقاصد الخيرية الإسلامية وفى سنة ١٩٤٠ — ١٩٤١ م عين أستاذاً للتاريخ الأموى والعباسى فى دار المعلمين العالية ببغداد . ومن سنة ١٩٤١ لم ينقطع عن العمل فى مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ، سواء أكان ذلك فى مجال التدريس أم التوجيه أم الرعاية العلمية والفكرية ، مخلفاً وراءه أجيال من التلاميذ يدينون له بالمحبة والاحترام والتقدير . فكان إلى جانب وجوده مدرساً فى جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ، فقد عمل أستاذاً زائراً فى جامعة دمشق للتاريخ الأموى وتاريخ الأندلس من سنة ١٩٥١ — ١٩٦٠ م . وأصبح أديبنا الفيلسوف ، رحمه الله ، أستاذاً محاضراً فى جامعة بيروت العربية للتاريخ العربى فى جانبه الحضارى ولتاريخ العلوم عند العرب ، وذلك منذ سنة ١٩٦١ م .

وكان لفقيدنا الراحل نشاط مرموق فى عدد من الهيئات العلمية والاجتماعية والأدبية فقد كان عضواً فى مجمع اللغة العربية بدمشق ، وعضواً فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، وعضواً فى جمعية البحوث الإسلامية فى بمباى ، وعضواً فى المجلس الإسلامى فى بيروت ، وعضواً فى مجلس الإدارة فى بيروت العربية فضلا عن نشاطه فى الأندية والمؤسسات العلمية الأخرى .

وكان ، رحمه الله ، فى جميع هذه المؤسسات موضع الاحترام والتقدير ، بما أضفاه عليها من خلقه الكريم ، وإخلاصه الجم ، وعلمه الموسوعى الخصب ، وتفانيه فى خدمة دينه وأمته ووطنه . وقد حاز على عدة أوسمة وجوائز علمية تقديرية .

وقد ترك الفيلسوف الأديب عدداً كبيراً من المؤلفات والمترجمات يربو على الستين . وإن إنتاج عمر فروخ يستحق أن يكون موضوعاً لدراسات علمية متعددة . فإنتاجه الأدبى والفكرى ، إنتاج غزير يشمل ميادين مختلفة وربما كان أهم ميادين هذه الدراسات فى إنتاج عمر فروخ الموسوعى ، يتحدد فى

قضايا الأدب واللغة والنقد والتاريخ والفلسفة والسياسة .. . وربما كان موضوع العروبة والإسلام فى فكر عمر فروخ من أهم الموضوعات التى تستحق الدراسة فى فكر فيلسوفنا الراحل . وسنحاول فى هذه الكلمة المقتضبة أن نلقى أضواء على هذه الجوانب المتعددة من أدب عمر فروخ . ولكن لابد لكل دارس لأدبه أن يأخذ بعين الاعتبار قضيتين أساسيتين ، أحداهما : الحياة السياسية والثقافية فى الوطن العربى بعامة وفى بلاد الشام بخاصة ، والأخرى شخصية عمر فروخ وتكوينه الثقافى والعلمى ، حيث شخصية العالم العربى توجه إنتاجه الخصب فى ميادينه المختلفة ..

ففى مجال الأدب وتاريخه ، عنى أديبنا عناية فائقة بالتراث ومحاولة تقديمه بثوب جديد ومنهجية علمية إلى الدارسين . فقد وضع كتابه الموسوم : « تاريخ الأدب العربى » فى ستة أجزاء . حاول فيه تقريب الموضوع للدارسين والباحثين وبسط ذخائر الجانب الوجدانى من الأدب العربى للمطالعين . وينطلق عمر فروخ فى تاريخه للأدب العربى من النظرة الكلية الشاملة لوحدة هذا الأدب ، وأنه إذا كان أرخ للأدب فى المشرق ثم أرخ للأدب فى المغرب ، لا يعنى على حد تعبيره أن الأدب المشرقى ينفصل عن الأدب المغربى ، ولكنه اتبع هذا المنهج لغايات الدراسة والبحث وسهولة التنازل . ونحن إذا استثنينا الدراسات التى عقدها حول العصور السياسية وخصائصها الأدبية ، فقد احتوت هذه السلسلة بأجزائها الستة مئات من تراجم الشعراء والخطباء والكتاب والأدباء من ذوى الإنتاج الوجدانى . ووضع المؤلف مقدمة لهذه السلسلة استعرض فيها المؤلفات التى كتبت حديثاً فى تاريخ آداب اللغة العربية ، ووضع كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » لبروكلمان المكانة الأولى ... ويعتبره مبتكراً وشاقاً لطريق لم تشق من قبل وهى دراسة قيمة على قصرها ، وتمثل أيضاً روح النقد عند مؤرخ الأدب عمر فروخ .

ومن بواكير أعماله فى دراسة التراث الأدبى كتابه الموسوم : « أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله » . وقد نشره فى بيروت سنة ١٣٣٥ هـ الموافق ١٩٣٥ م ، وذلك قبل أن يغادر إلى ألمانيا لإتمام دراساته العليا . وإن قيمة هذه الدراسة تكمن فى دلالتها التاريخية فى فكر عمر فروخ الذى ما فتىء ينمو ويتطور فى فترة زمنية تتجاوز الخمسين عاماً .. وفى هذه الدراسة يرى فى المربعات والمخمسات فى الشعر المشرقى جذور فن التوشيح ، ويذهب إلى اعتبار أبى تمام رائد فن التوشيح فى أبياته التى قسمها إلى أقسام متساوية أو شبه متساوية والتزم القافية فى آخر كل جزء أو جعله فى البيت قافيتين .

ولا شك أن عمر فروخ يتبنى بعض الآراء الرائجة فى بعض الأوساط العلمية حول قضية

اطلاع أبي تمام على الفلسفة اليونانية . ويرى أن من أهم المظاهر التي تمتاز بها مدائح أبي تمام ، إشادته بالقومية العربية والدين الإسلامي ... !!! — ليت شعري ما هي مقومات هذه القومية العربية التي يسقطها الباحث على أبي تمام !!! فمن الواضح أن عمر فروخ قد أقحم الحديث عن القومية العربية إقحاماً في هذا المجال ، وخرج من ذلك كله إلى الحكم على أبي تمام بأنه : « شاعر يمثل الإسلام والقومية أجمل تمثيل »[١] .

ولاشك أن عمر فروخ كان يقصد هذا التطور في سيرته العلمية خلال نصف قرن عندما يقول : « ... ومن حسن الحظ أن الكتب المتأخرة في التأليف أحسن وأجمع وأوسع ، وأي عامل لا يرجو أن يكون في يومه أفضل مما كان في أمسه ، غير أن الكتب الأولى ما تزال في المستوى الذي يدعو إلى الرضا »[٢] . وفي هذا المجال لابد من الإشارة إلى دراساته القيمة عن أبي نواس وابن المقفع والحجاج وابن الرومي والرسائل والمقامات وأبي فراس وشعراء البلاط الأموي وأحمد شوقي « وشاعران معاصران » وغيرها من الموضوعات.

وعنى عمر فروخ بالتاريخ دراسة وتدريساً وتأليفاً ، وكان له منهجه المميز ، فلم ير في التاريخ قصصاً وحكايات ساذجة يتناقلها الرواة بعد أن تعمل فيها الأهواء عملها ، ويتمثل منهجه في التاريخ بالتحليل العلمي لأحداث التاريخ وتحولاته . وقد أكسبه هذا المنهج العلمي قدرة كبيرة على النفاذ إلى معرفة الأسباب والعوامل المؤثرة في مجريات الأحداث والتفرق بينها وبين الأسباب والعوامل الثانوية ... وربما كان للتكوين العلمي في في ثقافة عمر فروخ تأثير كبير في منهجه العقلاني في دراسة تاريخ الأمة وتراثها . ومن هنا نشأت أفكاره في وجوب إعادة النظر رؤية جديدة لتاريخنا العربي ، لأن التاريخ الصحيح ، كما يراه ، لايكون إقليمياً ، فالإقليمية تشوه تاريخ العرب والمسلمين وتفقده عظمته وقيمته ومكانته ، ولذلك طالب بالرجوع إلى كتابة تاريخنا كما كان كتبه عمر بن الخطاب ، وعبد الملك بن مروان ، وطارق بن زياد ، والحجاج بن يوسف ، والمأمون ، وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم ...

ولو وقفنا قليلا عند كتابه « تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية » ، وهو كتاب قيم يمثل منهج عمر فروخ في الدراسة والتحليل ويحاول الربط بين ماضي الأمة وحاضرها ... فيقدم لكتابة هذا ، مقدمة تترجم عن فكره السياسي ، وتعبر عن أحاسيسه الحاضرة

---

(١) انظر عمر فروخ وآثاره في أربعين عاما ، ١٩٣١ — ١٩٧١ م ، بقامه ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٥

(٢) انظر عمر فروخ ، أبو تمام ، ص ٩٩ .

حيال أمة قد أوهنها التخلف ومزقتها الصراعات الداخلية وأطماع الدول الأجنبية. وربما لانعدو الحقيقة إذا قلنا إن هذا هو اتجاه عمر فروخ فى نظرته للتاريخ القومى. ولنستمع إليه يقول : « لقد أدى العرب بالإسلام رسالة الدين ورسالة اللغة ورسالة العلم ورسالة الثقافة ورسالة الرحمة ورسالة البطولة ورسالة الحضارة ورسالة الإنسانية . » وإلى جانب هذه الصورة من صفحات الماضى ، ينتقل عمر فروخ عبر اثنى عشر قرناً كى يتحدث عن الحاضر ، إذ يتم حديثه قائلا : « ولكنهم أدوا الرسالات فى ماضيهم البعيد ، أما فى حاضرهم فإن تاريخهم جانب من تاريخ الأمم القوية التى تستبد بحكم بلادهم وتتحكم بمصائرهم .. » ثم يعلو صوته صارخاً متحدياً فيقول : « أى شعوب العرب يخط اليوم طريق مستقبله بيده ؟ أى شعوب العرب يحارب أعداءه اليوم بسلاح من صنع يده ؟ أى شعوب العرب يقف إلى جانب جيرانه كما يقف جيرانه إلى جانب جيرانهم . . . وبعد هذه الصرخات ، وهى أشبه عندى بنفثات مصدور ، وقد ضاق صدر عمر الواسع بالصورة المهينة التى يرى فيها أمته العربية ، فيقول : « أنا أؤمن بأن الأمم تمر أدوار من الصعود والهبوط ، وأنا مؤمن بأن الشعوب العربية سيأتى عليها دور تهتدى فيه إلى طريق صعودها ، ولكننى لا أدرى متى سيأتى هذا الدور . . . » ، وفى مكان آخر من هذه المقدمة ، لتاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية يقول : «وفى عام ١٩٤٥ نشأت جامعة الدول العربية ، وكان أعضاؤها ثمانى دول ... أما أعضاؤها اليوم فتسع عشرة أو يزيد ، وقد كنت أنتظر أن تكون دول العرب اليوم دولة واحدة أو أربع دول على الأكثر ... » ولا شك أن مؤرخنا يرى الطريق واضحاً وأن الحل كامن فيها صح به أمر هذه الأمة فى تاريخها الأول ، فيقول : « ولن نستطيع أن نبدأ طريق الصعود ونحن نتجنب عمداً تلك الطريق التى صعد عليها أسلافنا »[1].

لا أريد فى هذا العرض أن أناقش منهج فيلسوفنا المؤرخ فى كتابة التاريخ ، ولكننى فى كتابة التاريخ وتأكيد دوره فى حياة الأمم كى تعرف حاضرها ومن ثم تستطيع أن ترى مستقبلها ... ويتناول ذلك كله من خلال منهج علمى يعتبر فيه دراسة التاريخ ، على حد تعبيره ، على أنه علم من علوم الفلسفة ، كما يقول ابن خلدون ، قائم على تعليل الحوادث (ربط أسبابها بنتائجها) لا على أنه قصة من القصص .

وعلى الرغم من تأكيد فيلسوفنا المؤرخ أدوار الرجال الأعلام فى صنع التاريخ ، عندما يتحدث عن عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه وعن عبد الملك بن مروان وعن المأمون ... وعن صلاح الدين ... ولكنه يؤكد دوماً دور الأمة فى صنع تاريخها ،

---

(١) انظر : عمر فروخ : تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية بيروت : ١٩٧٩ م ص ٧ – ٨ .

إذ يقول : « إن التاريخ إنما هو تاريخ الحضارات ، لا تاريخ الأفراد ، وتاريخ الأمم الراقية لا تاريخ الجماعات العائشة فى هذا العالم الفسيح ، لأنها عائشة فى هذا العالم الفسيح فقط ... » وبعد هذه النظرة الخاصة إلى الأمم المستعمرة ، المغلوبة على أمرها يقول : « ثم إن التاريخ هو الوجود الإيجابى للامم لا الوجود السلبى لها . قد يكون للأمم الحاكمة تاريخ ، ولكن الشعوب المحكومة ليس لها تاريخ ... لأن البشر المحكومين لا يطلق عليهم اسم « أمة » .. »[1].

ولكى نضع منهج عمر فروخ فى موضعه الحقيقى ، لابد وأن نسأل أنفسنا ، لمن يكتب عمر التاريخ ولماذا يكتبه ؟ وربما نقترب من الإجابة الصحيحة عندما نعلم ، أن مؤرخنا معلم يكتب التاريخ لطلابه فى جامعة دمشق وفى جامعة بيروت العربية وفى المدارس الثانوية أيضاً ، وذلك فى إطار فلسفته المحددة وفكره العربى الإسلامى .

وقد وضع عمر فروخ أيضاً عدداً من الكتب التاريخية تتفاوت فى موضوعاتها ومنها : تاريخ الجاهلية ، وكتاب العرب والإسلام فى الحوض الشرقى من البحر المتوسط ، والعرب والإسلام فى الحوض الغربى من البحر الأبيض المتوسط ، والعرب فى حضارتهم وثقافتهم ...

ويتجلى فكر عمر فروخ الفيلسوف فى ثنايا تآليفه وفى مواقفه الحياتية التى عاشها مخلصاً لرأيه وسط الزعازع والمؤثرات وحروب الحاقدين على تاريخ الأمة وتراثها والمنشقين عن كيانها . فقد آمن بوحدة الفكر الفلسفى ، وكان له موقف من قضية المعرفة يذكرنا بموقف أخوان الصفا وخلان الوفاء فى القرن الرابع الهجرى ، عندما حاولوا تقريب المعارف العلمية والفلسفية إلى أذهان عامة المثقفين وهذا ما يفسر مقولته : « ما دامت الشمس للجميع فلم لا تكون المعرفة للجميع أيضا » .

وكذلك كان فهمه للعلاقة بين الدين والفلسفة ، حيث رأى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى دعا الإنسان إلى التفكير فى كل شىء . . . . . وبينما كانت الفلسفة عدوة الدين عند النصارى ، كانت الفلسفة فى الإسلام ، كما يقول ابن رشد : « صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة » . . . . . . وهذه مقولة معروفة جيداً فى الفكر الإسلامى ، حيث يتمثلها التيار الذى أخذ على عاتقه التوفيق بين الفلسفة والدين . . . . . ومن خير ما يمثله قصة « حى بن يقظان » لابن طفيل . . . .

وتتميز فلسفة عمر بأنها إنسانية تربوية ، فالبراعة فى العلم على حد تعبيره ليست قائمة على الذكاء فقط ، ولكنها قائمة أيضا على

---

(١) انظر : عمر فروخ ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، بيروت ١٩٧٩ م ، ص ٥ .

الجهد وعلى السعي والمثابرة وأن البارع في عمل ما إذا انقطع مدة عن ممارسة ذلك العمل قلت براعته فيه ، وربما بطلت . . . .» وكثيرة هي الآراء المتناثرة التي تعبر عن فلسفة عمر . . . . وهو يحل العمل والخبرة محلا مهما إلى جانب الاستعداد الفطرى . إذ يفسر الحالات التي تطرأ عند الشخص الواحد فيقول : « إن الاستعداد الفطرى واحد ولكن الإختبار إذا طال صقل الاستعداد وسهل عليه العمل ، ثم أكسب العمل تنظيما ووضوحا . . . . « وكان الالتزام أساساً في سلوك عمر فروخ وفي قلمه .فقد وجد في مهنة التدريس مهنة وسلوكاً ، ونظراً في الحياة وطريقاً لنهضة المجتمع واستعادة القوة للإسلام في الحضارات الراهنة .

أما نقد عمر فروخ ، فهو جزء من نظرته إلى الحياة ، في إطار فلسفته والتزامه الفكرى وهو أيضاً يعكس شخصية عمر في حدته وجداله . والنقد عنده أداة معبرة من أدوات الوصول إلى الحقيقة والدفاع عنها . . . وقد شمل النقد عنده معظم ميادين المعرفة ... وكما يترجم عنه صوته الحاد إذا ما استثاره الغضب فإنه يترجم عنه أسلوبه اللاذع إذا ما تعلق الموضوع بالإساءة إلى تراث الأمة أو لغتها أو فكرها ..... ولنقف قليلا عند تقييمه لبعض الكتب في تاريخ الأدب يقول عمر ، رحمه الله ، « أما إذا كان هنالك كتاب ككتاب اسمه « الآداب العربية وتاريخها » لجرجس كنعان (بيروت سنة ١٩٣١ م) فمن احترام العلم ومن الستر على صاحبه ألا يذكر . ومثل هذا يقال في كتاب شعراء النصرانية قبل الإسلام ، وشعراء النصرانية بعد الإسلام للأب شيخو ، وفي الكتيبات التي استقت منها . فإن هذه الكتب كلها بنيت على أساس فاسد ، وما بني على فاسد فهو فاسد . كان الأب لويس شيخو . . . . ينقب وينقر ويجهد نفسه ولا هم له إلا أن يثبت أن شاعرا من الشعراء الجاهليين كان نصرانياً على مذهب معلوم . . . . « وكذلك فعل عمر في نقده لأعمال » هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأمريكية ببيروت . . . وجملة القول فإن النقد الأدبي والاجتماعي والفكرى واللغوى يكون معلماً بارزاً في حياة فيلسوفنا الناقد . . .

أما أسلوب عمر الساخر اللاذع ، فإنه أداته في جميع المجالات، ولا يقتصر على ميدان بعينه ، ولكنها سخرية ، تذكرنا بأسلوب الجاحظ ، تدفعنا إلى الضحك دون تجريح أو إثارة أحقاد ، ونسلك في هذا الباب الدعاء الذى ختم به كتابه القيم الموسوم « التصوف في الإسلام » يقول : « اللهم فاحمه من أصحاب المراء وسراق الآراء الذين يظهرون العلم ويبغون الظلم ، ثم يسطون على آراء الناس وهم يتسترون بمناصب وصلوا إليها ودعايات اقتدوا عليها . واحمه اللهم أيضا من حسود حقود كنمور كنود ، لا ينفع الناس بشيء ولا يدعهم يلجأون إلى فيء ، يعز عليه أن يرى رجلا يكتب كلمة لا يستفيد هو فيها درهماً ، فيرى الناس كلهم من خلال نفسه ويود أن لو دفعهم جميعاً إلى رمسه .

اللهم إن أمثال هؤلاء قلدى فى عين العلم فانفه عنها . إنك السميع المجيب »[1]

وأما نتاج فيلسوفنا المنافح عن الإسلام ، فإنه يستحق الدراسة والبحث . فقد كانت له بحوث وموضوعات ألقيت فى عدد من المؤتمرات والمناسبات أو نشرت فى المجلات والصحف ، وقد نذر حياته كلها للدفاع عن العروبة والإسلام . وقد جمع كثيراً من هذه المقالات ونشرها فى كتابه الموسوم : « تجديد فى المسلمين لا فى الإسلام » ، بيروت ١٤٠١ — ١٩٨١ م . وقد قدم إليها بقوله : فى هذه البحوث والموضوعات آراء يقصد بها هنا أن تكون من باب الاجتهاد الشخصى مأخوذة من مصادر الإسلام ومعروضة على العقل والمنطق . ومع أنها كلها راجعة إلى أعمال السلف ومعروفة المظان عند الفقهاء ، فليس معنى هذا أنها وحدها صحيحة وأنه لا يجوز العمل بغيرها : إنها آراء صحيحة فى نفسها إلى جانب الآراء الصحيحة الواردة عند الفقهاء ، ثم إنها أيضاً خاضعة للمناقشة » ونحن نرى فى هذه التقدمة خلاصة وافية لمنهج عمر فى دراسة التراث متكئاً على النصوص فى مصادرها الأولى ، ومعناً النظر فيها من خلال العقل والمنطق .

وأما كتابه المعروف « التصوف فى الإسلام » بذل فيه جهداً علمياً كبيراً .... وإن موقف عمر من التصوف مبنى على دراسة قد امتدت حسب تعبيره إلى أكثر من عشر سنوات . . . وقد اختار عنوان كتابه بعناية ودقة فهو « التصوف » فى الإسلام ، وليس «التصوف الإسلامى » لأنه ينكر أن يكون هنالك تصوف إسلامى .

ويربط الفيلسوف الأديب عمر فروخ بين الإسلام والعروبة ، ويرى أن اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، تمثل أمتن هذه الروابط وأقواها . وكيف أن هذه اللغة الشريفة قد اتسعت فى أوجه دلالاتها من غير أن تتبدل أو تنحدر عن فصاحتها . . . وله فى هذا الميدان كتاب « عبقرية اللغة العربية » وهو فى الواقع مجموع بحوث ، قد ألقيت فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، أو فى اجتماعات مختلفة . . . يؤكد المؤلف من خلالها مقدرة اللغة العربية على القيام بجميع وجوه التعبير فى جميع ميادين الحياة . . .

وإن الدارس الذى يستعرض الجوانب العلمية المتعددة لإ نتاج البحاثة الأديب عمر فروخ ، لا بد وأن يقف عند كتابه المهم الموسوم « عبقرية العرب فى العلم والفلسفة » وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية منذ سنة ١٩٥٤ م . ويحدثنا ، رحمه الله ، عن الغاية من وضع هذا الكتاب فيقول : «ليست الغاية من هذا الكتاب أن يكون أحكاماً براقة وكليات مرصوفة ، فيكون تمدحا بالماضى وفخراً بالأجداد ، ولكن الغاية منه أن ندل

(١) انظر : عمر فروخ ، التصوف فى الإسلام ، بيروت ، ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م ، ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

على مكانة العرب بما نعرضه من آرائهم ونظرياتهم . . . . « ويربط عمر دائما بين الماضي والحاضر فيقـــول : « فلعلنا إذا رأينا عظمة ماضينا ، ومدى تأخرنا فى حاضرنا ، أن نستطيع الوثوب إلى المستقبل وثبة صحيحة . » ويحتل التراث فى فلسفة عمر مكانة جوهرية فى حياة الأمم إذا يقول : « إن حياة الأمم رهينة بحياة تراثها . فالأمة التى لا تراث لها لا تاريخ لها . وإن الأمة التى لا تاريخ لها ليست إلا كتلاً بشرية لا وزن لها فى ميزان الأمم . » ويعلو صوت المؤلف فى موضع آخر فى وجه أعداء الأمة فيقول : « ولم نعلم فى تاريخ الإنسانية أن ثقافـــة ما هوجمت بمثـــل العنف الذى هوجمت به الثقافة العربية . ذلك لأن ثقافتنا بخصائصها وميزاتها سياج حقيقى لنا ، والرغبات فى تمزيق هذا السياج كثيرة ظاهرة للعيان ، لا حاجة إلى الدلالة عليها ، ثم إن الغاية من تمزيق هذا السياج تمزيق الأمة العربية نفسها وهذا ما يرمى إليه المستعمرون »[1] .

وفى آخر الكتاب ينقد المؤلف الأوضاع العربية الحاضرة ، ويؤكد أهمية العلم فى حياة الأمة ، وينعى على العرب حاضرهم الاستهلاكى ... وينقد أنظمة التعليم ومناهجه وبرامجه ويدعو إلى ثورة علمية وتربوية كى تستطيع أمتنا مسايرة الحضارة الحديثة .

وجملة القول فإنّ إنتاج عمر فروخ رحمه الله ، يستحق أن يكون موضوعاً لدراسات علمية متعددة . وأن هذا الإنتاج الخصب لا يمكن أن يفهم على حقيقته إلا من خلال دراسة الأحداث التى عاشها المؤلف . فقد أثر فيها وتأثر بها . . . وكان آخرها اغتيال ولده مازن ، فكانت قاصمة الظهر .

خاتمـــة :

وبعد اغتيال ولده ببضعة أشهر وفى يوم السبت الواقع فى السابع من تشرين الثانى سنة ١٩٨٧ م ، توفى الفيلسوف العربى عمر فروخ عن عمر يناهز الحادى والثمانين عاماً فقـــد كان ، رحمه الله ، وقـــد عرفته عن كثب ، زميلا كريماً وعالماً جليلا وفارساً لا تلين له قناة فى الدفاع عن الإسلام والعروبة وعن كل ما هو حق .

وقد أغنى الخزانة العربية بمؤلفات قيمة وقضى حوالى ستين عاماً من عمره الخصب المعطاء فى خدمة لغة القرآن وتأصيل جذور وحدة الأمة وإزاحة غبار القرون عن تراثها العظيم ، ليقدمه إلى طلابه وأبناء أمته فى ثوب قشيب ، تزينه اللغة الجميلة والمنهجية العلمية وكان ، رحمه الله ، حريصاً كل الحرص من خلال ما يضفيه من رونق عقلانى على بحوثه

---

(١) انظر : عمر فروخ ، عبقرية العرب فى العلم والفلسفة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ، ص ٢٢ — ٢٣ وتأتى بالمؤلف يشيرها هنا إلى كتابه القيم الذى وضعه بالاشتراك مع الدكتور مصطفى خالدى بعنوان : « التبشير والاستعمار فى البلاد العربية » وقد ترجم إلى اللغة الروسية .

وكتاباته أن يصل حاضر الأمة بماضيها وأن يكون رائداً لفجر مستقبل زاهر ، يستبين شعاعه من خلال حاضر مهين ، تلفه ظلمات تراكم بعضها فوق بعض ، وتكتنفه المؤامرات والفتن وتستهدفه النزوات الاستعمارية ، تبشيرا وفكراً واستغلالا واستيطاناً واجتياحاً عسكرياً فى البر والبحر والجو . . . .

وكان ولده مازن ، رحمه الله ، من ضحايا هذه الفتن العمياء . . وقد شاء القدر أن يفجع المربى الفيلسوف ، وقد دلف إلى أعتاب الواحدة والثمانين من عمره بفلذة كبده وقد ذهب ضحية قذيفة عمياء . . وسقط المصاب جللاً على نفس الوالد الشيخ ولكن غالبه بالإيمان العميق والصبر الجميل . ولم ينقطع البحاثة المؤرخ عن العمل والتأليف فقد حدثتنا الصحف أنه كان قبل أسبوع واحد من وفاته ، رحمه الله ، يحاضر من على منبر النادى الثقافى العربى فى ذكرى مرور ثمانمائة سنة على معركة حطين . وبعد ما نقل بعض الأخبار من مصادرها كما تقول الصحيفة ، تساءل بمرارة : « أين هو صلاح الدين منقذ الأمة العربية اليوم » . . . .

رحم الله عمر ، الفيلسوف والأديب والمؤرخ الناقد ، رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ، وجزاه الله خيراً عن خدمة أمته وتراثها العظيم ولغتها المجيدة لغة العروبة والإسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الكريم خليفة
عضو المجمع من الأردن

* * *

٣ ـ كلمة الختام

للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

الشكر الخالص للزميل الكريم على الدراسة الشاملة التى أعدها عن فقيدنا الراحل التى استوفت جوانب تاريخه الحافل .

وشكرا لكم على تفضلكم بالإسهام معنا فى تكريم الراحل العظيم تغمده الله برحمته .

* * *

كانت الساعة الخامسة من مساء يوم الأربعاء ١٣ من رجب سنة ١٤٠٨ هـ (الموافق ٢ من مارس (آزار) سنة ١٩٨٨ م) موعدا لبدء الجلسة العلنية التى عقدت بدار المجمع لتأبين المغفور له الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى عضو المجمع من العراق

١ ـ كلمة الافتتاح

فى تأبين الفقيد
الدكتور احمد عبد الستار الجوارى
للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

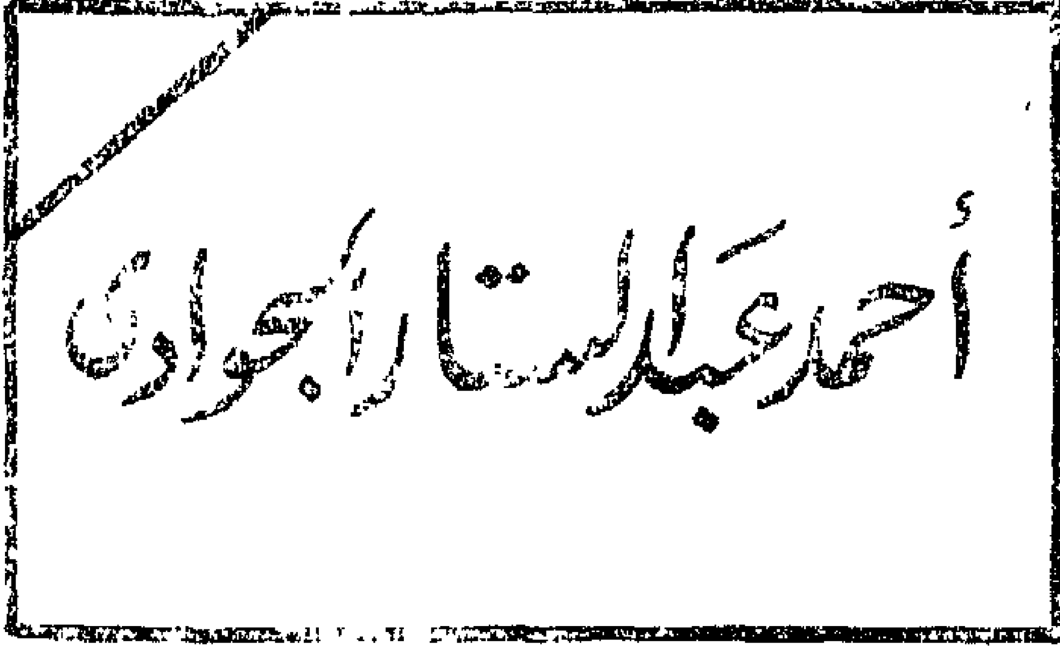
« إنا لله وإنا إليه راجعون »

نودع اليوم فقيدا عزيزا وفقيها عظيما ورفيقا أمينا هو الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى فالناس ـ أيها السادة ـ كخيل السباق ، السابق السابق فيها الجواد ، ولقد كان فقيدنا الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى رحمه الله ـ سابقا فى كل شىء ، سابقا فى درسه وتعلمه ، فقد نهل ما وسعه من حياض بغداد ، ويوم أن استكملها لم يقنع بها ، بل قصد القاهرة والتحق بكلية الآداب ، وحصل على الدكتوراة ، وكان سابقا أيضا فى عطائه لدى تلاميذه ، وأتباعه ، وقد خلف عنهم أجيالا ، وكان سابقا فيما كتب وألف إن فى النقد أو فى اللغة أو فى النحو والصرف ، وإن فى غير ذلك ، وكان سابقا فى أصدقائه ، يسأل عن الغائب ، ويجيب من كان فى حاجة ، وكان أحب الناس لمن اتصل به .

أما الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى المجمعى فأشهدكم أننا كنا نترقب دائما ملاحظاته الدقيقة ، ولم يكن يتكلم مطلقا لمجرد الكلام ، تغمده الله برحمته وجزاه عما قدم لوطنه ، ولغته ، وأمته خير الجزاء وسيلقى كلمة المجمع عنه الزميل الدكتور عدنان الخطيب عضو المجمع من سورية .

ثم يعقبه الأستاذ عبدالسلام هارون الأمين العام للمجمع فيتلو كلمة أرسلت إلينا من اللواء الركن محمود شيت خطاب عضو المجمع المراسل من العراق .

كلمـة الدكتور عدنان الخطيب

في تأبين الدكتور 

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »

سيدى الرئيس سادتى الأجلاء :

لقد نعمت بصحبة فقيد العربية أحمد عبد الستار الجوارى في المؤتمرات السنوية لمجمع اللغة العربية لمدة سنوات خلت ، كان الفقيد أثناءها خير إنسان يصادق ، وخير رفيق يصاحب ، وخير زميل يعاشر إذا ما أوينا إلى الفندق نستجم فيه ، نتحدث معه فيفيد حديثه ، ونتحدث إليه ، فتراه مصغيا إليك بكل جوارحه إذا حدثك فألفاظه منتقاه تخلو من الحشو والابتذال ، وإذا حدثته أبدى البشاشة والتلهف لسماع بقية الحديث يجامل محدثه على أنه ينفر من الغلو في المجاملة ، وإذا جر الحديث إلى النقد رأيته ينتقد برفق ولين مبتعدا عن الغيبة والتجريح .

وأنا لست أدرى ما الذى ذكرنى بموقف أحمد شوقى من حافظ إبراهيم ، عندما نعى إلى الصديق أحمد عبد الستار الجوارى ؟ .

كان شاعر النيل حافظ إبراهيم أصغر سناً من أمير الشعراء أحمد شوقى ، غير أن رحمة الله استأثرت بحافظ قبل شوقى ، فرثى أمير الشعراء زميله حافظ بقصيدة استهلها بقوله

قــد كنت أوثر أن تقول رثائى
يامنصف الموتى من الأحياء
لكن سَبَقْتَ ، وكلُّ طول سلامة
قَدَرٌ وكل منيَّةٍ بقضاء
الحقُّ نادى فاستجبتَ ولم تزلْ
بالحقِّ تحفلُ عند كُلِّ نداء

❊ ❊ ❊

سادتى ، قبل عامين ، وفى إحدى جلسات مؤتمر الدورة الثانية والخمسين لمجمع اللغة العربية ، وقف الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى على منصة المجمع ، مع ثُلَّةٍ من العلماء ممثلين لعــدد من الأقطار العربيــة ، وكنت بينهم الأخير ، وقفنا يكرمنا المجمع بإعلان ضمنا إلى صفوف رجاله المناضلين عن الفصحى الذائدين عن لغة الذكر الحكيم .

ووقف الأستاذ الجليل عبدالسلام هارون الأمين العام للمجمع يقول باسمه : « ليس كنزا واحـدا هذا الذى نقدمه إلى مجمـع اللغة العربية بالقاهرة ، وإلى دنيا التقدير والتكريم ، إنه عِقْدٌ من الكنوز لايقدِّرُه الثمن ، ولا يقاربه التعداد والإحصاء لما حواه من درٍّ ، واشتمل عليه من ركاز . .

* * *

وقبل أن تندمل جراحنا بوفاة كبير المكرمين الدكتور حسنى سبح بدمشق ، جاءنا من بغداد من ينعى الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى . لقد كان فقيدنا الجديد فقيد مجمعنا الخالد بجهود أعضائه العاملين ثانى المكرمين فى الدورة قبل الماضية ، تلبية لدعوة الحق إلى لقائه ، رحمهما الله وحفظ الآخرين ذخرا للعربية ، إنه خير مسؤول .

* * *

إن وفاة عالم من العلماء خسارة للعلم وأهله كبيرة ، فإذا كان العالم من المرموقين المتضلعين بالعلم ، فالخسارة أجل من أن تقدر ، لذا كانت خسارة العربية بوفاة الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى جسيمه . جسيمة .

لقد كان فقيدنا أحمد واحدا من عصبة من العلماء الأجلاء الذين عقد مجمع اللغة العربية على جهودهم الآمال العراض فى خدمة العربية والزود عن الفصحى ، تحدوهم إلى ذلك عروبتهم الأصيلة ، إلى جانب إيمان راسخ بأن لغتهم شرفها الله بالذكر المبين ، فالحفاظ عليها واجب دينى ، والدفاع عنها سبيل إلى الشهادة .

* * *

لقـد استأثرت رحمة الله ، بأحمد عبد الستار الجوارى يوم الجمعة فى الثالث من جمادى الآخرة من عام ١٤٠٨ المصادف الثانى والعشرين من كانون الثانى (يناير) الماضى من سنة ١٩٨٨ فجاءة وهو يتهيأ لأداء فريضة الجمعة ، وكان فى أوج عطائه الفكرى وكامل نشاطه الذهنى .

وكان فقيدنا قد ولد فى مطلع شهر المحرم سنة ١٣٤٤ للهجرة الذى يصادف يوم الثانى والعشرين من شهر تموز — يوليو — سنة سنة ١٩٢٥ للميلاد ، فيكون يوم وفاته فى الثانية والستين وستة أشهر كاملة تغمده الله بالرحمة والرضوان .

ولد الفقيد بمحلة الكرخ أشهر أحياء بغداد القديمة ، العريقة ببيوتاتها ، الأصيلة فى انتمائها العربى ، ولد فى بيت من تلك البيوتات المشهود لها بالتقوى والورع والتمسك بأهداب الشريعة الإسلامية والتحلى بالأخلاق العربية المحمودة من حمية ووفاء ودماثة خلق واستقامة وصراحة ومودة وتآزر وتعاون على البر والمعروف .

أتم الفقيد دراسته الإبتدائية والثانوية فى الكرخ من بغداد ، ثم التحق بدار المعلمين العالية ، وتخرج فيها على أيدى قدامى شيوخها طه الراوى ، ومهدى البصير ، وعبدالوهاب عزام ، وزكى مبارك ، كما تابع تلقى

العلم على شيوخه يومئذ فى بغداد أمثال : قاسم القيسى وحمدى الأعظمى .

وجاز الفقيد فى تخرجه بدار المعلمين العالية على مرتبة الشرف ، فأوفدته وزارة المعارف — كما كان اسمها بعثة علمية إلى كلية الآداب فى جامعة القاهرة ، فتابع فيها تحصيله العالى ، حتى حاز درجة (الإجازة) مع الامتياز سنة ١٩٤٥ م ، ثم على درجة (الماجستير) بمرتبة الشرف سنة ١٩٤٧م حاملا تقدير كبار أساتذته فى مصر : طه حسين ، وأحمد أمين ، وأحمد الشايب ومصطفى السقا ، وأمين الخولى ، وأندادهم .

وعاد فقيدنا إلى بغداد فعين مدرسا للنحو فى دار المعلمين العالية ، ومع التدريس انتسب إلى كلية الآداب فى القاهرة مجددا للحصول على شهادة (الدكتوراه) ، فلما نال هذه الدرجة بمرتبة الشرف سنة ١٩٥٣ ، عاد إلى التدريس فى بغداد ، حتى إذا مانجحت ثورة تموز (يوليو) سنة ١٩٥٨ عين مديرا عاما لوزارة التربية فمارس وظيفته الجديدة دون أن ينقطع عن التدريس وإلقاء المحاضرات ، ثم عين عميدا لكلية الشريعة وأستاذا فى كلية التربية حتى عام ١٩٦٢ يوم انتخب نقيبا للمعلمين فى الجمهورية العراقية . وأسهم الفقيد بالحركة السياسية التى قامت بثورة الرابع عشر من رمضان الموافق لشهر شباط — فبراير — من سنة ١٩٦٣ فصار وزيرا للتربية والتعليم حتى شباط — فبراير — سنة ١٩٦٤ . وفى عام ١٩٦٨ إنتخب للمرة الثانية نقيبا للمعلمين ، وفى تموز (يوليو) من السنة نفسها عين من جديد وزيرا للتربية حتى أوائل عام ١٩٧٠ إذ عين وزيرا لشئون رئاسة الجمهورية ، ثم نقل وزيرا التربية حيث بقى حتى سنة ١٩٧٥ ، ثم عين وزير دولة فوزيرا للأوقاف حتى سنة ١٩٧٩ .

اشترك الفقيد بحكم المناصب التى كان يتولاها فى كثير من الندوات والمؤتمرات العربية والدولية ، وأسهم فى أعمالها وتحرير توصياتها حتى غدت له المكانة المرموقة فى المحافل والهيئات العربية ، معروفا بخلقه القويم وتمسكه بالمبادىء التى يحث عليها الإسلام ، وحرصه الشديد على أهداف الأمة العربية ومصالحها .

***

وفى سنة ١٩٦٥ انتخب المجمع العلمى العراقى الفقيد أحمد عبد الستار الجوارى عضوا عاملا فيه ، ثم انتخبه كل من مجمع اللغة العربية فى دمشق وفى القاهرة عضوا مراسلا ، وفى سنة ١٩٨٥ انتخبه مجمع القاهرة عضوا عاملا فيه بعد أن ظل سنوات عديدة يشارك فى مؤتمراته السنوية ، وقد استقبله أستاذنا الجليل عبد السلام هارون فى الجلسة الثامنة من جلسات مؤتمر الدورة الثانية والخمسين .

وكان ممثلو معلمى الأقطار العربية قد اختاروا الفقيد سنة ١٩٦٩ رئيسا لاتحاد المعلمين العرب وظل يجدد انتخابه حتى نهاية عام ١٩٨٢ .

إن للفقيد عددا من المؤلفات والأبحاث مطبوعة ومنشورة كما أنه اشترك مع نفر من زملائه فى تحقيق بعض كتب التراث وفى وضع عدد كبير من المصطلحات فى مختلف العلوم .

إن نظرة واحدة فى ماتركه الفقيد من مؤلفات ، وكلها قيم مفيدة تعطينا فكرة واضحة عن عمق تفكيره وسعة أفقه وشدة إيمانه وعظيم جرأته فى مخالفة علماء النحو العمالقة ، وبين يدى كتابه « نحو القرآن » وهو خير شاهد على ماأقول .

ذكر الفقيد وهو يقدم كتابه إنه ثمرة من ثمرات التأمل والإمعان فى العبارة القرآنية على مدى زمن غير قصير ، كان بدأ بممارسة ماكتبه ابن هشام فى شرحه على الألفيه وفى كتابه مغنى اللبيب ، من دقة العبارة واستبعاد للفضول فى الأسلوب وفى القاعدة النحوية ، حتى تكشفت له حقائق تثبت تقصير النحاة عن استقصائها والرضوخ لها ، مما دفعهم إلى وضع قواعد النحو مستندين إلى مالا يرقى إلى المألوف الجيد بله الرفيع من الكلام ، كما استندوا إلى القياس والاستنتاج الذى لايقوم على أساس موضوعى .

وانتهى الفقيد ، بعد كل هذا ، إلى القول : «كان خليقا بمن وضعوا النحو وأسسوا قواعده أن تكون المادة القرآنية أهم مايقيمون عليه تلك القواعد ويستندون إليه فى وضع النحو » .

وقد يسر الله لفقيدنا الكبير ، بتشجيع من زملاء رأوا فى أفكاره أمورا جديرة بالبحث والدراسة ، مما حمله على إصدار كتابه الملمح إليه ، عالج فيه إحدى عشرة مسألة من مسائل النحو العريضة فى أحد عشر فصلا ، بدأها بمسألة المبتدأ والخبر لأنهما عماد التركيب وأحد أصوله وصورة الإسناد فيهما بينة ولاخلاف على وجوب ذكر طرفيهما بالفعل أو بالقوة ، فإن حذف أحدهما ، أوجب النحاة تقديره حتما حتى يقوم ركنا الجملة فى الكلام .

وضرب الفقيد أسئلة كثيرة مستشهداً بآيات من القرآن الكريم ، ذاكراً إعراب النحاة للجمل الإسمية فيها مع تقديرهم لأحد ركنيها إذا وجدوه محذوفا تمسكا بجزئى الجملة فى القواعد التى وضعوها للجملة الاسمية . إلى أن قال : إن « تقدير مالم يذكر منها ، وتأويل الكلام بحيث تذهب روعته ، ويضمحل أثره فى النفس « فالزمخشرى لما أراد إعراب قوله تعالى

فى سورة يونس : « قل إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون * متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم[1] .. . * قال ، « أى افتراؤهم هذا منفعة قليلة فى الدنيا »

وينهى الفقيد تعليقاته بذكر حقيقة ذات طرفين هما :

الأول : إن بعض الأسماء التى يؤتى بها فى حالة الإسناد تكون مشحونة بالمعنى والإيماء بحيث لاتحتاج إلى مايوضحها أو يصفها أو يسند إليها .

الثانى : الاكتفاء بمجمل مايدل عليه السياق من معنى الوصف والإسناد دون التقيد بورود لفظ يشار إليه بضمير أو نحو ذلك .

وفى فصل عقده الفقيد لبحث مسألة (حذف القول) مما يكثر وروده فى القرآن الكريم ، وهو أشبه مايكون بلوحة أسقط منها مالاحاجة به من خطوط ابتغاء التنويه بجوهر الموضوع ، وهو أيضا ضروب الانقطاع الذى يحمل السامع أو القارى على توقع أمر ذى بال . ولو اتصل الكلام لما أثار قدراً من الانتباه والاهتمام مثل الذى يثيره الانقطاع ، تأمل قوله تعالى فى سورة الشعراء : * فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين * إن هؤلاء لشرذمة قليلون * وإنهم لنا لغائظون *

قال الزمخشرى فى كشافه (ج ٣ ص ١١٥) : « إن هؤلاء محكى بعد قول مضمر »

يقول الفقيد أحمد عبد الستار الجوارى تعقيبا :

« إن فى هذا الأسلوب الجميل أكثر من مظهر واحد من مظاهر الفنية التعبيرية ، فهو مركب من الحذف النحوى والإيجاز والفصل لشبه الانقطاع والالتفات .

وكثرة وروده فى العبارة القرآنية أمر يدعو إلى التأمل فقد عددت أكثر من عشرين موضعا لم يرد فيها فعل القول بلفظه أو بمعناه ، على الوجه الذى وضع النحاة حدوده حين بحثوا مسألة (إن) المفسرة . وشيوع هذا الأسلوب ينقض قواعدهم فى الحكاية ومقول القول .

أليس فى مايسبق القول المحكى من الكلام مايوحى به ؟

هذا أمر تنبه له غير واحد من الباحثين فى مسائل النحو ونقد مناهجه ، ولعل أولهم فى عصرنا هذا المرحوم الأستاذ إبراهيم مصطفى فى كتابه الجليل (إحياء النحو) .

* * *

إن موت أحمد عبد الستار الجوارى فجأنا وآلمنا وإنا على افتقاده لمحزونون ، نرجو أن يتغمده الله برحمته ورضوانه (وما عند الله خير وأبقى) سائلينه عزوجل أن يعوض العربية ومجمع اللغة خيرا ، إنه خير مسؤول .

عدنان الخطيب
عضو المجمع من سورية

---

(١) سورة يونس آية ٦٩ — ٧٠ .

٣ ــ كلمة فى تأبين المرحوم الدكتور احمد عبد الستار الجوارى

للـواء الركن محمود شيت خطاب

بسم الله الرحمن الرحيم

نودى للصلاة من يوم الجمعة الساعة الثانية عشرة والعشرين دقيقة ٣ من جمادى الآخرة من سنة ١٤٠٨ الهجرية المصادف للثانى والعشرين من ٢٢ من كانون الثانى (يناير) من سنة ١٩٨٨ الميلادية .

وحين كان النداء يرتفع إلى عنان السماء، ويسعى المسلمون إلى الجوامع لذكر الله ، تخلف الأستاذ الحكيم أحمد عبد الستار الجوارى عن السعى إلى الجامع الجار لأول مرة فى حياته ؛ لأن روحه فى تلك اللحظات التى ارتفع فيها النداء لصلاة الجمعة ، ارتفعت إلى جوار الله .

لقد رحل إلى رحاب الله ، ولن يفيده غير ماقدمت يداه ، ولكن أرجو أن يفيد الأحياء ما أقوله فيه والموفق فى دنياه من يستفيد من دروس غيره ، ليقول عنه الناس عند رحيله كما قالوا عن الجوارى، من كل قلوبهم : رحمه الله ، لقد كان رجلا صالحا طيبا .

(أ) نشأ فى طاعة الله سبحانه وتعالى ، وشب على تعلم الفروض الدينية وتطبيقها منذ نعومة أظفاره .

(ب) وكان حين يخلو إلى نفسه ، يقرأ ماتيسر من القرآن ، وقد دأب على تلاوة القرآن يوميا ، وهو حافظ القرآن، ولكنه لايقرأ عن ظهر غيب ، ورعا من وقوعه فى الخطأ فى اللفظ أو القراءة ، والجديد هنا ، أنه كان يتقن قراءة السبعة ، وكان مرافقه الذى لايتخلى عنه فى الحل والسفر هو مصحفه الصغير ، والمصاحف متيسرة فى غرف داره كافة .

(ج) كان الفقيد رحمه الله يحترم كل إنسان لأنه إنسان ، وصلته بالناس مبنية على أساس احترام إنسانية كل الناس ، لافرق بين غنى وفقير ، ومأمور وأمير ، وتابع ومتبوع ، ومسئول وغير مسئول . زاره مسئول كبير جدا فى داره بعد عودته من الحج ، فشيعه إلى باب الدار ، وزاره بعد ذلك فراش مكتبه فى وزارة الأوقاف ، فاحتفى به احتفاء كبيرا ، وقدم له الضيافة بيده وشيعه إلى باب الدار كما شيع

المثل الكبير . كان يحترم الناس ويتواضع لهم تواضعا ظاهرا ، ويجعل كل من يلقاه يشعر بأنه محترم فى أعلى درجات الاحترام وقد نشأ الجواري وترعرع محبا للعلم مقدما للعلماء ، وكان يندمج اندماجا كاملا مع أساتذته ، حتى يكاد أن يصبح أحد أبنائهم البارين بهم ، يزورهم ويكاد يتفرغ لقسم منهم ، كما تفرغ تفرغا كاملا لشيخه وأستاذه الشيخ توفيق الناصرى العالم التقى النقى الورع الذى ترك بصماته العميقة على حياة الجوارى كلها وسلوكه وأخلاقه .

* * *

ولما أصبح الجوارى أستاذا ، حرص على الاتصال بطلابه ، يزورونه فى داره ، ويفتح لهم قلبه ومكتبته ، ويجيب على أسئلتهم واستفساراتهم ، ويحل لهم مشاكلهم العلمية وغيرها أيضا ، ويفرح لفرحهم ، ويحزن لحزنهم ، ويتولى عيادة من مرض منهم ، فيسعى إلى دار الطالب أو إلى المستشفى الذى يرقد فيه لعيادته والاستفسار عن صحته ، ويقدم له الهدايا المناسبة فى زياراته .

لقد كان من مدرسة طلاب وأساتذة السلف الصالح : الطلاب الذين يعتبرون أساتذتهم آباءهم وأخوتهم ، والأساتذة الذين يعتبرون طلابهم أولادهم وإخوتهم ، حتى كان الأستاذ يعاون طلابه ماديا ما أحتاج الطلاب إلى المعاونة ، وما استطاع الأستاذ إلى ذلك سبيلا وكانت الصلة تستمر بين الطالب وأستاذه من المهد إلى اللحد ، كما يقول المثل ، ولاتنقطع أبدا بينهما مادام الوفاء من شيم أهل المروءات .

كان وفيا لأصدقائه ومعارفه وجيرانه ، عطوفا على أفراد عائلته ، صادقا فى أقواله وأفعاله مشاركا لأصدقائه ومعارفه وجيرانه فى أفراحهم وأتراحهم ، تقيا نقيا نزيها ورعاً ، عالما أديبا ، رسول سلام ، حلال مشاكل الأفراد والجماعات والعوائل — تلك المشاكل التى يستعصى حلها على أقوى وأعقل الرجال ، يقول الحق ولو على نفسه ، جلدا صابرا على الشدائد كتوما لايفشى سره ولا أسرار الآخرين .

أما سيرة الفقيد العلمية فنوجزها فيما يلى :

أكمل الدراسة الابتدائية والثانوية فى بغداد ، ولكنه عكف على تلقى العلم من شيوخ بغداد ، فى ساعات فراغه يوميا ، وفى عطلة نصف السنة ، وفى أشهر العطلة الصيفية كان أقرانه يلهون . وكان يعكف على الدروس فى المدارس الدينية . وهى الجوامع فى أيامه وقد ذكرنا من تلقى العلم عنهم من الشيوخ ، فلا بأس من ذكرهم هنا أيضا ، وهم الشيوخ : توفيق الناصرى والشيخ قاسم القيسى ، والشيخ حمدى الأعظمى وغيرهم ، درس عليهم القرآن

والتفسير والحديث واللغة والأدب ، ودرس في دار المعلمين العالية التي لقبت فيما بعد : كلية التربية ، وتخرج فيها بشهادة : الإجازة (الليسانس) بدرجة الشرف الممتازة سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٣ م) ، ثم أرسل في بعثة إلى كلية الآداب في جامعة فؤاد الأول ، وحصل منها على الإجازة (الليسانس) الممتاز في الآداب سنة ١٣٦٥ هـ (١٩٤٥م) ثم على درجة الاختصاص (الماجستير) بدرجة الشرف سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٧ م) وعاد من مصر إلى العراق ، وعين مدرسا في دار المعلمين العالية ، فمساعدا لعميدها وفي سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م) التحق بجامعة القاهرة ، ونال درجة : العالمية (الدكتوراه) في الآداب بمرتبة الشرف . وعاد إلى بغداد للاشتغال بالتدريس في دار المعلمين العالية — ثم شغل عدة مناصب إدارية آخرها منصب للمدير العام اوزارة التربية والتعليم بعد ثورة سنة (١٣٧٨ هـ) المصادف (تموز ١٩٥٨ م) . ثم عين عميدا لكلية الشريعة وأستاذا في كلية التربية حتى سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م)

وقد رشحه علمه وخلقه وحرصه واستقامته، إلى تولي وزارة التربية والتعليم في شباط سنة ١٩٦٣ م إلى شباط ١٩٦٤ م ، وظل يمارس خلال مدة وزارته التدريس في جامعة بغداد حتى أوائل سنة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) ، حيث أعيد تعيينه وزيرا للتربية والتعليم في سنة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م حتى سنة ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) ، ثم عين وزيرا لشئون وزارة الجمهورية حتى سنة ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) ، ثم وزير دولة فوزيرا للأوقاف حتى سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) .

وقد انتخب عضوا عاملا في المجمع العلمي العراقي من سنة ١٣٨٥ هـ إلى ١٣٩٨ هـ (١٩٦٥ م إلى ١٩٧٨ م) وأعفى من المجمع نحو سنة ، وأعيد إليه سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) واختير عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

ثم انتخب عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مطلع سنة ١٤٠٥ هـ (١٩٨٥ م) ، كما اختير عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية بدمشق ، وعضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية الأردني ، وعين عضوا عاملا في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في الأردن .

وانتخب نقيبا للمعلمين في العراق مرتين : الأولى سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) . والثانية سنة ١٣٩٨ هـ (١٩٦٨ م) ، كما انتخب رئيسا لاتحاد المعلمين العرب من سنة ١٣٨٩ هـ إلى ١٤٠٢ هـ (١٩٦٩ م إلى ١٩٨٢ م) .

وله أبحاث وكتب منشورة هي :

(١) الحب العذري — نشأته وتطوره .

(٢) الشعر فى بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجرى .

(٣) نحو التيسير .

(٤) نحو القرآن .

(٥) من دلائل القدم فى اللغة العربية .

(٦) رأى مصادر الأفعال الثلاثية (مجلة المجمع العلمى العراقى) .

(٧) حقيقة التضمين ووظيفة حروف الجر .

(٨) الوصف — نظرة فى قضايا النحو العربى .

(٩) البيان — نظرة أخرى فى قضايا النحو العربى .

(١٠) الوصف بالمصدر .

(١١) الوصف بالجملة .

(١٢) ضروب الصفة — نظرة أخرى فى قضايا النحو العربى .

(١٣) ضبط عين المضارع الثلاثى .

(١٤) نحو المعانى .

(١٥) اللغة والبحث العلمى .

(١٦) أسلوب التفضيل فى القرآن الكريم .

وعلى أهمية الكتب التى وضعها ، والأبحاث التى نشرها ، إلا أن المتوقع منه ومن أمثاله أكبر بكثير من هذه الكتب والأبحاث ، ويبدو أنه شغل بالتدريس أستاذا وبالوظائف الإدارية موظفا ، وبالوزارة وزيرا ، وشغل أكثر من كل ذلك بصلاته الاجتماعية التى شغلت كل أوقات فراغه .

وقد حرمت العربية لغة والإسلام من إنتاجه الفكرى المتميز الأصيل .

كان وفيا لأصدقائه وزملائه وطلابه ، يشاركهم الأفراح والأتراح ، ويعتبر ذلك واجبا لا يجوز التهاون فى حمله أو التخلى عن أدائه .

لقد جمع الفقيد فى برديه العصامية والذكاء وطوى فى عمره القصير أثارا طويلة ، فى تحصيل العلم ، والجهاد ، واستقطاب الأهل والأصدقاء والأصحاب والجيران والمعارف من حوله .

ولم يكن طريقه مفروشا بالورود والرياحين إذ اعترضته العقبات فذللها فى كياسة كأن به حصانة ضد اليأس ، وكأن الدهر قد عركه بعزم لا يلين .

عاش عف اليد والضمير ، مذكورا مشكورا بكل لسان ، حسن الصحبة ، مأمون السريرة ، يكره عداوة الرجال ، ولكنه يكره الفرار إذا أكره على النضال .

وعاش عفا زاهداً فيما يشبع الرغباب ، لا يأكل إلا ما يمسك الرمق ، أما عقله فيتزود من الغذاء أطيبه ، وأما روحه فطعامها سماوى علوى . كما عاش فى محراب العلم والدين والعمل للغير ، ولبلده ولأمته .

لقد اجتمعت كل هذه الصفات فى شخصيته ، فتضخم رصيده فى حساب المجد .

ولإخوانه فى كل مكان ، يعرفون فيه ما كان من سماحة : نبل خلق ، ونفس طيبة تتجافى عن العنف إلا فى الحق وتستمسك بالاتزان والوقار الذى لا تشوبه شائبة من شوائب التكلف أو التصنع . . . وإذا ما عنت قضية مشكلة ، تدبرها فى تواضع العالم ، وتكلم فكان قوله الفصل فى كثير من مشكلات اللغة والعلم .

إن المجمع العلمى بالعراق ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة إذ يودِّعان عضوا جليلا من أعضائه المخلصين ، ليستمطران شآبيب رحمة الله على جدثه الطاهر . جعلنا الله وإياه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

إن عبد الستار حين تولى
هدركنا ما كان بالمهدود
ما درى نعشه ولا حاملوه
ماعلى النعش من عفاف وجود

والحمد لله كثيرا ، وحسبى الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وإنا إليه راجعون . وصلى الله على سيدى ومولاى رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين .

محمود شيت خطاب
عضو المجمع المراسل من العراق

٤ ـ كلمة الختام

للدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع

الشكر الخالص للزميل الدكتور عدنان الخطيب على الدراسة الشاملة المستوعبة لتاريخ المغفور له الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى ، والشكر الخالص للزميل الأستاذ عبد السلام هارون على أداء رسالة الغائب ، والشكر الخالص لكم جميعا على تفضلكم بمواساتنا فى مصابنا ، ورحم الله الفقيد رحمة واسعة .

قام بمراجعة هذا الجزء من المجلة السيدان المحرران بالمجمع :

- سميرة صادق شعلان .
- عبد الحكيم صلاح عبد الحكيم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

رئيس مجلس الادارة
رمزى السيد شعبان

رقم الإيداع بدار الكتب ٢١٠/١٩٨٨

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية
٧٨٢٣ — ١٩٨٧ — ٢٠٠٢

